

المكتبة الصوفية

الرحلة المراكشية

أو
مِرَاة المَسَاوِي الوَقْتِيَّة

وَيَسَمَى أَيْضًا

السِّيفُ الْمَسْلُوقُ عَلَى الْمَعْرِضِ مِنْ سِنَةِ الرَّسُولِ ﷺ

تأليف

السيد محمد بن محمد بن عبد الله الموقت

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
1434هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25936277 / فاكس: 25938411-25922620
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الموقت ، السيد محمد بن محمد بن عبد الله
الرحلة المراكشية او مرآة المساوي الوقتية / تأليف : السيد محمد بن محمد
بن عبد الله الموقت
ط1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2012،
ص ، 24 سم
تدمك : 1-583-341-977-978
1- التصوف الاسلامي
ا- العنوان

ديوى: 260

رقم الابداع: 2012/16298

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾

[الذاريات]



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على مولانا محمد وآله وصحبه وأمته وعلينا معهم
حمدًا لمن جعل فى سياحة الأرض غنيمة واختبارًا. وفى سكان أهلها
تبصرة واعتبارًا. وصلاة وسلامًا على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه
وكل من جال من أمته فى الأرض. واخترق طولها والعرض. طلبًا لسلامة
دينه يوم العرض.

(أما بعد) فيقول الفقير إلى الله "محمد بن محمد بن عبد الله" المؤقت
بالحضرة المراكشية وقته، كان الله له: قد شغفت منذ زمان باختبار البلاد
والخلق، رغبة فى اللحاق بالطائفة التى لا تزال على الحق، فلم أزل أبحث
عن ذلك، وارتكب كل صعب فى التوصل لتلك المسالك، وانتقل من بلد
إلى بلد، وأتقلب فى أطوار السفر من سرور إلى نكد، أجوب أرضًا بعد
أرض، بين رفع وخفض، وترحال وحط، وضيق وبسط، وطال بى السير
وحصل الضجر، وفتر العزم وسئمت الحركة، فجلست أنتظر الفرج من موارد
التعسير، وأنفس كرب المسير، وصرت أفكر فى هذا الدهر وعجائبه، وما ناب
أهله من نوائبه، وقلت يا ترى هل أجد صاحبًا يكون عونًا لى على هذا
المرغب، الذى عز فيه الطالب والمطلب، صديقًا ودودًا مسفرًا كثير الأخبار،
بشعر بسام، وقلب أصبح خازنًا فى طيه ذكرى الواقعة، والوقائع الحادثة فى
المغرب.

ظفر المؤلف برفيق

فبينما أن في منازعة هذه الأفكار، مع ما حل بي من ترادف الأكدار، إذ ظهر في الفلا، غبار قد علا، فأعجزني كونه، وأزعجني لونه، فرقبته على تل رقبته، وحسبته امرأ خشيته، فانتعشت سحب حجه، عن رجل أخبرتنى مهجته، عن صدق بهجته، وأن له باعاً في العلم طويل، وعلى مقالاته التعويل، فحين دنا منى، سألتني عنى، فقال من أين وردت، وأى مكان أردت؟ فأنبأته بصدقي عن قصدي، وأطلعتني على ما عندي، فقال لى أفصح عن المقال، وأعرب عن الأسباب التي أوصلتك إلى هذا الحال، فقلت: كثرة المناكر، ومشاركة الناس بعضهم بعضاً في ارتكاب الكبائر، والتزبي بزى أهل الكتاب في الظواهر والسرائر، وإضاعته المال في اللهو والباطل، واختلاط النساء بالرجال في الأسواق والمحافل، واللهو عن العبادة والجماعات، والاشتغال بما فيه غضب رب البريات، وإحياء سنن الجاهلية في تدينها وأسواقها، وإحداث أحداث وبدع في الشريعة ليست من قياسها ولا سياقها.

فقال لى: أستغفر لذنبك، وتب إلى ربك، وانسلخ عن هذه البدع المحدثه في وقتك، التي من استحلها من الأثام، خيف عليه الردة عن الإسلام، وأحمد الله على تمييز الحال، بين بيوت الهدى والضلال، ولا تقلد اليوم في دينك إلا من معصوم، وليس إلا صاحب الشريعة مولانا، محمد ﷺ، أو من شهد له العصمة ﷺ الخبر، وهو القرن الأول والثاني والثالث، وأترك ما حدث بعدها خصوصاً ما عليه العلماء المترخصون والمتأولون الآخذون بظواهر أكثرها لا يصح ولا يستقيم، وأترك حال غالب أهل هذا الوقت، فإنه السخط والمقت.

فقلت له: خفت من غلبة النفس اللوامة، ولهذا ليست للسفر لامة،
لعلى أظفر بيغيتى، أو أموت دونها من حسرتى.

فقال: لقد غاظنى قولك حتى هاضنى، وأحنقنى حتى خنقنى، لاسيما
ما أحدثه أهل الجهل والابتداع، وسكت عنه علماء الوقت حتى شاع فى
الرعاع وذاع، ثم أطرق إطراق المتأمل، وسكن سكون الوقور. ثم رفع رأسه
وقال: لقد شوقنى: وفيما أنت بصدده رغبتنى، وأنا عون لك على ذلك،
لعل الله يحفظنا من تلك المهالك، وواعظك فى أشياء من الأخلاق اللطيفة
والأمور الغامضة التى لو حنكتك سن كنت خليقا أن تعلمها وإن لم تخبر
عنها. واصبر فان ترك مئونه شديدة، ورياضة صعبة.

فقلت له: ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً- ثم قلت
له: من تكون؟ فقال ظالم ومظلوم، وحاكم ومحكوم، ولائم ملوم، تزيا بغير
زيه، وأقام فى غير حيه. فقلت له: لست عن هذا أسألك، وإنما أسألك عن
اسمك، فقال: تدعى بالشيخ عبد الهادى. فقلت له: كم تحسن من العلوم
وكم لك فى تفصيلها من منطوق ومفهوم؟ فقال شىء كثير، والإحاطة بهما
أمر عسير، ولكن سأخبرك عن بعضها إظهاراً لشكر المنعم، واعتراضاً بما
تفضلت به يد الجود والكرم، وهو الفقه، والأصول، والفروع واللغة،
والنحو، والطب، والبيان، والبديع، والحساب، والأدب، والتاريخ، وعلم
الفلك، وصناعة الشعر، والفلسفة، والتوقيت.

فقلت: الحمد لله الذى من على بصحبتك، والكون من زمرتك. ثم
انصرفت بصاحبى وقد أخذت منه العظة، وجددنا السير فى الأرض، علناً
مقصودنا فى الطول منها أو العرض، وما دخلنا أرضاً إلا رأينا من أخلاق
أهلها، ما يكون سبباً فى خرابها.

فترلنا ببعض الأيام قطراً من الأقطار، يستغرب السامع ما نحكيه عنه من الأخبار، رأينا فيه روضة تجرى الأنهار من بينها، كأنها الجنة بعينها، وقصراً يقصر عنها الطرف، كما يقصر عنه الوصف، فأخذنا نرتاد خلاله، ونتفياً ظلالة، وأردنا المقام لولا فساد الأخلاق في أهلها. لأن الأخلاق إذا فسدت في أمة فقد فسد فيها كل شيء.

ارتحالنا لمدينة أخرى والاجتماع على صديق آخر

فارتحلنا لمدينة أخرى، وهكذا حتى طال بنا الحال، وتغيرت الأحوال، وكاد يكون طلبنا من قبيل المحال.

فيما نحن على ذلك، إذ بلغنا عنهم خبره بتلك المسالك، أن أرضاً بالمغرب يقال لها مراکش الحمراء، ذات محاسن غراء، ولعلنا نجد لباتنا بها فجددنا إليها المسير، ولا زلنا نخوض في أحشاء الليل، إلى أن أشرفنا على أسوارها، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا شابين بقرب السور يقول أحدهما للآخر: هل لك أن تذكر لي أقصى أمانيك في هذه الدنيا؟ فقال: نعم أقصى أمانى أن أصبح رئيس أهل هذه البلدة، قال ولم؟ قال لأنى أجلس لهم في كل شهر مرة واحدة أو مرة في سنة وألقى عليهم من الضرائب ما يقوم لى بنفقة العام كله، مع ما أنا فيه من الاستفراغ لشهواتى ولا مسئولية ولا حرج، ألم أتعلم أن أسعد أهل الوقت حالا وأخفهم بالا من سهلت له الأقدار الجلوس على ذلك الكرسي الذى لا يسأل صاحبه عن الخطل، ولا يخشى عليه من الوقوع فى الزلل، فامتأنا من هذا الحديث عجباً، وكاد الظن أن يعود منقلباً، فبينما نحن نتدبر كيف الدخول لهذه الحضرة، ونحاول من يأخذ بيدنا ممن له بها خبرة، إذ خرج شخص من الباب، تظهر عليه سمة أولى

الألباب . فقال ما شأنكما؟ فصدقناه الخبر عله يكون معيناً وسبباً في الظفر .
فقال إنكما ذكرتما بغية هيئت الببال وهاجت البلباب، ولعمري أنى اشتاق إلى
هذا الشوق الظمان للماء الزلال، وأتلمح شهود تلمح المتطعم للهلل، حقق
الله ذلك لمرجو والمأمول، وأنعم بذلك المتمنى والمسئول .

بيان ما عليه مدينة مراكش

على أن هذه الخصلة في وقتنا تنكر، وحالة لا ينبغى في هذا العصر أن
تذكر، وهذا مسلك صعب لا يسلكه إلا كبار الرجال، المتخلفين بأكمل
الأحوال، وصارت اليوم هذه الطريقة طريقة مرفوضة، وخصلة منقوضة،
ولقد قر ناظري، وانشرح خاطري، بطلعتكما البهية، ومحاسنكما المحمدية،
وها أنا في خدمتكما مدى الدهر، والظن بكما أن تجعلاني كأحدكما، فقلنا:
من أى أرض أنت يرحمك الله، فقال أهل هذه الخضرة المراكشية فقلنا لقد
هجيننا كلامك لسكنى هذا الحمى، وذكرنا أحبة فارقتاهم وكدنا نبكى عليهما
دمًا، ما اسمك؟ فقال: عبد الباسط . فقلنا: نعم الاسم ونعم المسمى،
فأخبرنا عن حال أرضك، فقال: هى مدينة لم تزل من حيث أسست دار فقه
وعلم وصلاح، وهى قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها فسيحة
الأرجاء، صحية الهواء، بسيطة الساحة، مستطيلة المساحة كثيرة المساجد،
عظيمة المشاهد، جمعت بين عذوبة الماء، واعتدال الهواء وطيب التربة،
وحسن الثمرة، وسعة المحرث، وعظيم بركته . فقلنا زدنا، فقال: حضرة
سنية، والشمس عن مدح المادح غنيمة، نعم البسيط المديد والرزق الجديد،
والسقى العديد، والصيد والقديد، ماؤها مسلسل، وهوؤها لا يلفى معه
كسل .

فقلنا زدنا، قال: هي قاهرة المغرب الآن وأكبر عواصمه وحواضره من حيث اتساع مساحتها، وكثرة عدد سكانها، واستفحال العمران بها، وتيسر أسباب الحياة فيها، والعيش بين أكنافها، بطرق متنوعة، ووجوه مختلفة، بحسب الحياة فيها، والعيش بين أكنافها، بطرق متنوعة، ووجوه مختلفة، بحسب اختلاف طبقات الناس وتباين مطامحهم ومصالحهم.

وناهيكما أن القطر المغربي بجميع حواضره وبواديه ينتسب إليها ويطلق عليه في الخارج اسم مراكش من باب تسمية الشيء بأكبر وأشهر أجزائه.

وهي العاصمة، الوحيدة على الإطلاق لها الجمال الطبيعي، والمحاسن الغريزية التي ترغب الناس فيها وتجذبهم إليها على الرغم من كونها لم تتجمل بما تجملت به العواصم المغربية الأخرى من بهرجة التحسين والإصلاح وزخرفة التتميق والتنسيق الحديث كأنها تعلم أن في حسنها الذاتي وجمالها الساحر ما يغنيها عن التجمل والتنكيل، وليس التكحل كالكحل.

إن أول مظهر من مظاهر جمال الطبيعة الذي يشاهده الوافد على هذه العاصمة المراكشية تلك الابتسامات الدائمة التي يراها مرسومة في ثغر كل منظر من مناظرها الخلابة، وفي وجوه جميع سكانها وأهاليها بل في طلعة كل ما نضمه جدرانها، وتحيط به أركانها، فأينما أدركنا نظرنا كما ترياّ ازدهاء ظاهراً، وازدهار باهراً، لا يلبث أن ترسم على مرآة محيا كما صورة منه وتستولى على مشاعرنا عوامله القوية وإن كنا مهمومين مغمورين، وأينما أدركنا بصركنا أبصرنا انشراحاً محسوساً، فسكانها دائماً منشرحو الصدور متهللو الوجوه، لا يعرفون معنى الكدر والعبوس، ومعالمها أبداً تبعث في النفوس ارتياحاً وانشراحاً كأن طبيعتها عجت بماء السرور ومزجت بمادة الانبساط والاعتباط.

الحكمة فى أن مدينة مراكش أهلها فى سرور

قلنا: والباعث على هذا ما هو؟ قال: أحفظ فى ذاكرتى من مطالعة جريدة أن بعض المؤرخين قال: أن مؤسسها رحمه الله تحرى بوساطة منجميه وضع أول حجر من تأسيس بنائها فى برج العقرب الذى هو برج الغبطة والسرور، لتبقى دائماً دار سرور وحبور.

وذاك السر فى كون السلو والنشاط يغلب على سكانها ويفيض من بين أركانها، وقال آخرون: إن السر فى روح السرور والانبساط التى يشعر بها المقيمون فى مراكش هو حرارة جوها، لأن الحرارة من شأنها أن تنعش النفوس والأرواح، وتحرك فيها كوامن المسرات والأفراح. قلنا: وهل يبقى شىء فى وصفها بعد هذا؟ قال نعم، قلنا هات، قال: مدينة ذات حرارة وبرد، وعكس وطرد، دار أحساب، وارث واكتساب، وأدب وحساب، كم من مغرور بها على الجمر قاعد، ونفس صاعد، وفتنة يعد بها واعد، وشرور تسل بسببها الخناجر، وفاجر يسطو بفاجر.

بيان ما عليه أهلها من الصفات المذمومة

فقلنا زدنا، قال: بهما من المكوس التى تطرد البركة وتنفيها، ومن الخيانة والخدع والمكر والظلم والتعدى والفجور إلى غير ذلك مما لا يكاد عاد يحصيها.

فقلنا زدنا، قال مزارعها لا ترويهما الجداول، ولا ينجدها إلا الجود المزاول، فإن أخصب العام، كثر الطعام، وإن أخلف الأنعام، هلك الناس بها والأنعام.

قلنا زدنا، فلقد أعجبنا حديثك ووصفك لأرضك، فقال بها من الصنائع الدبعة التي تروح في المعمور وتدور، ومنتزهات تشفى بها الصدور، وصيد ورقود، وأعناب كأنما زالت اللبات عقود، وأرانب تحسبهم أيقاظاً وهم رقود، إلى معدن الملح ومصير الزيت، والخضر المتكلفة بنخشب البيت، والفواكه الغير المقطوعة، والأنعام الممنوعة.

فقلنا حسبك فأخبرنا عن حال أهلها اليوم، فقال: صارت الرذائل مرعى خصيباً للأبناء بها، وكادت تنزل بهم إلى حضيض الموت وأصبحت بعد العزة حديث الأمس، وملحود الرمس، قد ظهر أنينها وبكاؤها، وتبدل جوها وساء مناخها، وتفرقت عشائرها، وتزلزت عناصرها، واندرس من أهلها عدة محاسن كأنها لم تكن، وذلك بسبب المواصلة الأوروبية وانسلخوا مما كانوا عليه من اللطافة والعدل ولين العريكة وحسن الجوار للذئ والاهم والعز والجبروت على الذئ خالفهم وعاداهم، وفي ذلك عبرة لذوى الألباب وصارت قلوب الكثير من أهلها أقسى من الحجر، ونفوسهم بينة الحسد والضجر، إلى غير ذلك من مساوئ الأخلاق، التي تقع بين الرفاق والأسباب الموجبات للشقاق، ولكن لم تنزل مع الظروف دار نساك، وخلوة اعتكاف وإمساك. فقلنا له: ادخل بنا إليها على بركة الله، فتقدم أمامنا ونحن خلفه إلى أن وصلنا إلى أحد أبوابها، فقال: أتعرفون ما يقال لهذا الباب؟ قلنا لا، قال يدعى بباب الرب، قلنا: وما وجه تسميته بهذا الاسم؟ قال كان أولاً منذ تأسيس هذه المدينة يسمى بباب الشريعة لإقامة الحدود به، فلهذا يقال له الآن باب الرب، فقلنا له أخبرنا عن وقت بناء هذه المدينة ومن الباني لها، فقال: أما وقت بنائها فكان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، والباني لها يوسف بن

تاشفين اللمتوني رحمه الله، والذي بناه منها: هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفاً من جامع الكتبيين منها، ويعرف اليوم بالسجينة .

الباني لسورها

ولما ولى بعده ولده على بن يوسف بنى سورها فى ثمانية أشهر، وذلك فى سنة ست وعشرين وخمسائة. وسبب تسوير مراكش وفتح أبوابها أنه قدم الإمام الشهير ابن رشد القرطبي لمراكش عند أمير المؤمنين على بن يوسف المذكور وذلك فى السنة المذكورة فوجد الفتنة قائمة بينه وبين المهدي ابن مرت، فأشار عليه بمحافظته على البلاد، وأن يجعل سوراً فشرع من حينه، وفى ثمانية أشهر كمل السور مع سعة البلاد وعظمتها، وصير عليه سبعين ألف دينار ذهباً، وبوبها ففتح باباً لبلاد دكالة، فسمى الباب باب دكالة، وفتح باباً مسامتا لفاس، فسمى باب فاس .

وفى آخر مدة ملوك السعديين سمي باب الخمسين كما فتح باب تغزوت وكان الناس يخرجون منه إلى الغزو فتوسع فيه فسمى باب تغزوت، وأما باب الدباغين فمن ذلك العصر لا زال لم يتغير اسمه لانسحاب الوصف الذى سمي به من أجله، وأما باب هيلانة فلا زال الاسم هو الاسم منذ أسس الباب فى تاريخه .

وموجبه أن قبيلة هيلانة من المصامدة كانوا يخرجون منه ويدخلون فسمى بذلك، وصار اليوم لا يعرف إلا بباب إيلان، وأما باب أغمات فلا زال الاسم منذ أسس السور المذكور تاريخه، وسمى بذلك لمسامته بأغمات وريكة، وأما باب الرب فقد قدمت لكما الكلام عليه .

ومن أبوابها باب أحمر أسسه السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى حين أسس قصره، وباب القصبه أسسه السلطان يعقوب المنصور الموحدى، حين أسس القصبه، إذ هو البانى لها فى تاريخ إحدى وتسعين وخمسائة، وباب أكناء، وأسسه يعقوب المنصور فى إحدى وتسعين وخمسائة حيث أسس القصبه وجعل قصره فيها محل قبور السعديين إلى الآن.

وزيد فى زماننا هذا بابان: أحدهما بقرب المأمونية، والآخر بوسط حديقه المولى عبد السلام.

دهشتنا عند دخول مراكش

فلما أردنا الدخول من الباب المذكور سابقاً تعرضت لنا جماعة متجدون متميزون بزى أوروبى وقالوا لنا هاتوا التسريح والتعريف، فقلنا لصاحبنا عبد الباسط ما شأن هؤلاء؟ فقال: مستخدمون من قبل الحكومة وظيفتهم البحث عن الغريب، ومن أى أرض هو وما شأنه، هل هو تاجر أو عابر سبيل؟ فإذا دفع الشهادة بالتعريف سلموا له فى الدخول وأذنوا له فيه وإلا قبضوا عليه حتى أمره، فهل عندكم تعريف يشهد لكم؟ فمكنوهم منه، قلنا لا نعرف هذا ولا خبرة لنا بهذه القوانين الجديدة وكل منا غريب ولا يعرف صاحبه قبل اليوم ولكن الأقدار ساقتنا للبحث عن أرض تكون من البدع سليمة، وأحوالها مستقيمة، فقالوا لا نعرف ما تقولون ولكن هاتوا التسريح وأغلظوا علينا فى المقال، وتكلموا بأشياء من السب لا تقال، وأرغبونا حتى كادت آمالنا أن تكون مرفوضة، ووجوه رغبنا منقوضة، وجموعنا مفضوضة.

انتشار الرشوة

فلما رأى ذلك عبد الباسط صار يذكر لنا بما يسهل علينا صعوبة هذا المطلوب، ويتنفس ما تصدعت بسببه القلوب، ثم قال عبد الباسط: هل عندكما من مال فأخرج الشيخ عبد الهادي قدرًا من المال ودفعه لهم وقال: لهم هذا لكم على شرط أن تغضوا الطرف عنا أو تذكروا خلاف ما سمعتم منا، فقالوا سمعًا وطاعة ولا يجزئكم بعد هذا شيء اذهبوا لما أنتم بصدده. فذهبنا سالمين من شرهم ولله الحمد، فقال عبد الباسط: أرايتم شر الطمع إلى أين وصل بهم؟ وصل بهم إلى نقض تلك القوانين المنوطة بهم من قبل الحكومة وهكذا وصف معظم موظفيها. فأدنى شيء من الطمع يخرجها عنها ولا نجد أحداً منهم يسلم منه.

كلام الشيخ عبد الهادي

قال الشيخ عبد الهادي: اسمعا ما أقول لكما واكتباه عنى فإنه عار علينا أن نقف مكتوفى الأيدى ساكنين ساكتين لا نطق بكلمة، وهو أننا كنا نرى ونسمع فى التاريخ وهو الأستاذ الخبير عن الدولة الفرنسية أنها بلغت من التقدم والحضارة ما هو مشهور حتى فاقت جميع الدول الأوروبية. وكان سبب ذلك أنها لا تختار للمناصب السنية، والوظائف الجليلة، إلا الرجال الأفكاء، ذوى الخبرة والاطلاع، والنزاهة عن الأطماع، وبذلك أمكنها أن تعيش عيشة راضية كما تشاء، وتحيا حياة سعيدة مثل ما تريد، لا سيما وأن أكثر قوانينها موافقة للشريعة الإسلامية، وكان من لوازم رجالها المذكورين الوقوف مع القوانين والسير بسيرها بحيث لا تتعدها ولو بقلمة ظفر، إذ وقوفها مع القوانين يقتضى الاستقامة فى الأمور كلها، والاستقامة هى صلاح الذوات والدنيا، بل هى روحها.

وإذا صارت الحكومة تتخذ من الجهال رؤساء وحكاما ونوابا
ومستخدمين يفعلون ما شاءوا، ويتركون ما شاءوا، لا يباليون بهتك أعراضهم
من شدة الطمع، بل قصدهم جمع المال، وترك الأحوال على أشرف حال،
فلترقب الضعف والوهن يسرى في مملكتها شيئاً فشيئاً إلى أن يخرج الأمر من
يديها فتصير هي الظالمة لا المظلومة .

واجب الحكومة نحو الموظفين ليتم النظام

فالواجب المتحتم عليها أن تنصب ميزان العدل والإنصاف بأن لا تولى
الخطط السامية إلا من كان ذا ديانة مسيحية أو إسلامية صاحب عزيمة وثبات
ورزانه ودراية، والمرجو من فخامتها قبول هذا المطلب فإذا تفضلت الحكومة
بهذا الطلب على هذا القطر المغربي هدأت أطماع النفوس واستقرت فيها ملكة
العدل والإنصاف، فعرف كل ذى حق حقه، وقنع كل بما فى يده عما فى يد
غيره، فلا يحسد فقير غنياً، ولا عاجز قادراً، ولا جاهل عالماً وأشعرت
القلوب بالرحمة والحنان على البائسين والمنكوبين، فلا يهلك جائع بين
الطاعمين، ولا عار بين الكاسين، وامتلأت النفوس عزة وشرقاً فلا يبقى
شئ من تلك الجبائل المنصوبة لاغتيال أموال الناس باسم الدين مرة والإنسانية
أخرى، ولا نرى طبيباً يدعى علم ما لم يعلم ليسلب المريض روحه وماله،
ولا وكيلاً يخدع عن قضيته ليسلب منه فوق ما سلب منه خصمه، ولا قاضياً
يجوز فى حكمه، ولا محتسباً يكون سبباً فى فساد الأرض بسكوته عن المضار
الوقتية لجهله وظلمه، ولا مفتياً يضرب الناس بعضهم ببعض حتى تسيل
دماؤهم فيمتصها كما يضرب القادح الزند ليظفر بالشرر المتطاير منهما، ولا
تاجر يشتري بعشرة ويبيع بمائة ثم ينكر بعد ذلك أنه لص خبيث .

وما دامت هذه المطالب أحلاماً كاذبة وأمانى باطلة فلا مطمع فى سلام ولا أمان، ولا أمل فى سعادة ولا هناء، وإن شاء المولى سبحانه فسوف يقع الالتفات إلى ذلك من جانبها وكأنى بها وقد آجابت المطلب، ووفت بالمرغب وأصبحت تستحق منا جزيل الثناء، ووافر الشكران.

فعند ذلك قال له عبد الباسط فجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً بذلت النصيحة، وكشفت الغطاء عن أسباب الفضيحة، وأنا لنصحك لمضطرون، وعلى إشاراتك لمعولون، وسيبقى ذكرك مخلداً صفحات التاريخ كمثل الحوادث الممتازة التاريخية المهمة.

مقالة أخرى للشيخ عبد الهادى

ثم قال عبد الهادى وأزيدكما مقالة أخرى: وهى أن الواجب على الحكومة لرعاياها المخلصين إذا وظفت عليهم قائداً مثلاً فى عرش من الأعراش وقبل أن تمنحه ذلك الوظيف الذى يحق له أن يفعل به ما شاء أن يفعله بالمساكين الضعفاء الذين لا يستطيعون الوصول إلى أعتاب حكومتهم إلا من بابه وبوساطة وكان هذا القائد قبل توليته لم يملك ثمن برنوسه أو قشابته وقبل أن تمر عليه أربع سنين من توليته أصبح ذا ثروة عريضة نجد الآن تحت يديه من التمولات القدر الذى يعدل بما تحت يد المولى عليهم. فواجب الحكومة إذ ذاك البحث عن تلك المادة الغزيرة المتكونة بسرعة الموجودة بتلك الصفة من أين كانت؟ يا ترى لاحتمال أن تكون من عصير دماء رعاياها الضعفاء الذين تراها تحرص كثيراً على معاشهم، أما الذى رأيناه ظهر بهاته الصفة وتكونت ثروته فى أقرب مدة فعدد كثير، وهذا ما نراه واجباً أن نوجه نظر الحكومة لمثله قياماً بواجب النصيحة.

ولما أصبحنا الله بخير الصباح توسطنا المدينة تشرفنا بمقابلة كثير من أفاضل أهلها وعرف بنا وبهم الشيخ عبد الباسط المراكشى فرحبوا بنا وأكرموا مشوانا وشكرونا على هذا القصد الفخيم، وتوجهنا نريد النزول بالصومعة اليوسفية ترويحاً للبال من حركة الاشتغال، والتوجه لما يرضى الكريم المفضل، فدخلنا المسجد اليوسفى ومكثنا بداخله شيئاً قليلاً ثم أطلعنا عبد الباسط للصومعة فوجدنا بها قباباً عديدة معدة للعبادة والخلوة والتفرغ من الأشغال الدنيوية، ولما حللنا بها تفاعل كلنا خيراً وقمنا بواجب دينى، وشعيرة مقدسة، فتهللت الطبيعة، وابتهجت النفوس، واستبشرنا بمستقبل زاهر، نتمتع به فى القطر المغربى، ثم أخذ كل منا مضجعه فاستراح ميلاً، وبعد برهة من الزمان دخل علينا حضرة العلامة اللوذعى صاحب الشمائل المرضية والمحاسن المحمدية، الشيخ عبد القيوم فابتهج بمجئنا لهذه الحضرة ابتهاج الكرام، وصحبته شىء من الطعام، فأكلنا وشربنا ودعونا له بخير وعافية، ونعم من الله متواليه.

وفى صحبته اليوم الثالث عن لنا الخروج لأجل التجوال فى البلد صحبة الرفيق عبد الباسط والتعرف بمن فيها من الأنجاب والاستطلاع على تراتيبها وهيئتها الوضعية، فألفيناها معمورة من أصناف كثيرة من الخلق، فبها من شئت من السياح والزهاد والعباد والمتصوفة والفقهاء على اختلاف مواهبهم وطرائقهم، والفلاسفة الطبيعيين، والمنطقيين، والمهندسين، والموسيقيين، والحسوبيين، والمنجمين، والفلكيين، والكتاب، والفسابين، والمتكلمين: على اختلاف فرقهم ومواهبهم، وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات والمتطبيين، والمسامرين، والمخرقين، والمغنين، والمضحكين، والشعراء

والمصورين، والمعرفين، والمشعبذين والسحرة، إلى غير ذلك من مثل هذا السبيل الزعر، والمبحث المترامي الأطراف، ووجدنا الأمر انعكست، وأصبح الحال على خطر.

الأمور المقلقة

ومن الأمور المقلقة التي تكدر صفو راحة القلوب ما عليه حالتها الحالية من نقص واختلال، خصوصاً في وظيفة الحسبة.

على أن هذا القطر المراكشي على ما بلغنا عن لشقات كان شديد التدين كثير التمسك بالشرع المطاع، ومن جملة ما أقلقنا أن حقائق الدين الإسلامي لا يعلمها الكثير منهم، والنادر ربما يعلم منه النزر اليسير.

ورأينا أكثرهم عن سبيل الشرع ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين. وكسدت سوق البر، وبارت بضائع أهله، وصار العلم عاراً على صاحبه، والفضل نقصاً، وأمول الملوك وقفاً على شهوات النفوس والجاه الذي هو زكاة الشرف يباع ببيع الخلق، ورجعت المروآت في زخارف البيوت وتشيد البنيان، ونبذت صنائع المعروف، وجهل قدره المألوف، وماتت الخوطر وسقطت همم النفوس، وزهد في لسان الصدق ووجدنا أكثرهم لا يؤذون الفرض، ولا يعرفون السنة من الفرض، أن عاملتهم أكلوك، وإن نصحتهم أبغضوك، وإن أقت لهم الشرع رفضوك، وإن ألنت لهم الجانب مقتوك، العالم عندهم حقير، والظالم عندهم كبير، عندهم قابض المال، أعز من الأب والعم والخال، إذا نظروا إلى منكر قرروه، وإذا رأوا معروفاً أنكروه، قد تفرقت منهم القلوب عند اجتماع عظام الخطوب، فكل أحد بنفسه مشتغل، ويحمل أعبائه مستقل، وانقسموا على قسمين، شامت وحاسد، ومنكر

للفضل وجاحد، وناصب حباله خداع ومكايد، ومجاهر بالعداوة ومجادل مجالد، ورأينا كثيراً من علماتهم قد استطابوا للراحة وخفض العيش، واستوطنوا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر في المصالح العمومية، وقلوبهم من تعب التفكير في عواقب الأمور.

وبالجملة فقد تأسفنا على هذه التعمية حتى فاضت آماقنا بالعبرات تأسفاً وتحسراً الله أعلم به، وهذا حادث جدير بأن تتجه الأنظار إليه، ولا سيما في هذه الأزمنة الهائلة التي لا يمكن تلافى أخطارها العاجلة والآجلة إلا بالتعاون التام على التمسك بالكتاب والسنة ورفض العوائد المألوفة الوقتية.

وعندما لاح فجر هذا المرض الذي لا يعالج إلا بوجود نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام سلام الله رجعنا للمقام، ومكثنا فيه مدة من أيام، وفي هذا المجتمع تناول الكلام جناب الشيخ عبد الهادي حفظه الله. وفاه بخطاب بديع وملح غريبة، وهناك بعضها:

قال رضى الله عنه: فأنا أنصح لمن أنس من نفسه بسطة في العلم أن يعرض عن الجاهلين، ولا يحضر مجلس المفسدين، فللمحاضرات نظام خاص يمنع من المسالة والأخذ والرد، ولا أحب للعالم أن يكون عدواً للنظام وإن كان في الباطل ما لم يكن غير أمر بالمعروف. قال وإنى أرى المسلمين الآن في المشارق والمغارب قد ملأ قلوبهم حب المال، واستقر ذلك الحب في قلوبهم، وقد عظم هذا الحب حتى صاروا حريصين عليه، وبخيلين به في كل حال حتى في الحال التي يجب فيها بذله، ولم لا يكون المسلمون كغيرهم من الطوائف الأخرى يبذلون الدرهم والدينار، وينفقون بسخاء واقتدار في سبيل نشر الدين وتبليغ الحق، هذا هو السبيل الذي ينبغي أن يسلكوه، وقد سلكه

من قبل نبينا محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وكفى بهم قدوة، وكفى بهم هداة، وعسى أن تكون هذه الحوادث المرزعة مرقطة لجساعة المسلمين، فقد طال رقادهم، وعسى أن تكون منبهة لهم فقد بعد مدى غفلتهم، ولا أدعوهم إلى تعصب ممقوت ومرذول، ولكنى أدعوهم إلى أن يتعصبوا لمكارم الخصال، وحميد الأفعال، ومحاسن الأمور التي يتنافس فيها المتنافسون، حتى إذا رأى الله منهم السعى في سبيله جعل لهم من الضيق فرجا، ومن الهم مخرجا، وأبدلهم العز مكان الذل، والأمن بدل الخوف، وأورثهم من الكرامة في الحياة ما لم تبلغ إليه الآمال، وصاروا في الأرض أئمة، وكانوا لها وارثين.

وقال رضى الله عنه: ابتلى الله الأمة الإسلامية في هذا العصر بفتنة أخذوا على عاتقهم أن يؤذوا المسلمين في دينهم وعقيدتهم، وأن يفتنوهم بما يحتالون في إسماعهم إياه من ضروب الباطل والكذب على الله وعلى العلم، وبما تنفته شفاهم وأقلامهم من صنوف اللغو واللهو، وكأنهم بما يعملون يظنون أنهم يستطيعون أن يكبوا الإسلام على وجهه أو يقلصوا ظله في وطنه فهم يخدعون ويغشون تحت ستار التجديد، وفي أثواب الدهاء والمكر ولو كانوا أهل إصلاح وتبليغ للخير وحب الإنسانية كما يزعمون لكانوا في أنفسهم مستقيمين صالحين، وفي الدنيا زاهدين، وبما أجمع الناس عليه من الفضيلة متمسكين. فهذه سبيل غير المتهمين من الداعين والمرشدين.

وقال رضى الله عنه: قال الله تعالى - (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - وقال - (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - تلك آيات الكتاب الحكيم، تهدى إلى الحق

وإلى طريق مستقيم - ولا يرتاب فيها إلا القوم الضالون - هل يخلف الله وعده ووعيده؟ وهو أصدق من وعد، وأقدر من أوعد. هل كذب الله رسله هل ترك أنبياءه وقلائمهم، هل غش خلقه وسلك بهم طريق الضلال، نعوذ بالله، هل أنزل الآيات البينات لغواً وعبثاً، هل افترت عليه رسله كذباً، هل اختلفوا عليه إفكاً، هل خاطب عبده برموز لا يفهمونها، وإشارات لا يدركونها، هل دعاهم إليه بما لا يعقلون، نستغفر الله. أليس قد أنزل القرآن عربياً غير ذى عوج، وفصل فيه كل أمر وأودعه تبياناً لكل شىء، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. إنه هو الصادق فى وعده ووعيده، ما اتخذوا رسولا كذاباً، ولا فعل شيئاً عبثاً، وما دعانا إلا إلى سبيل الحق والرشاد، - لا تبديل لكلماته - تزول السموات ولا يزول حكم كتابه الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول الله - ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون - ويقول - ولله العزة ولسوله وللمؤمنين - وقال - وكان حقاً علينا نصر المؤمنين، - وقال - هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً - هذا ما وعد الله فى محكم الآيات مما لا يقبل تأويلاً، وهذا عهده إلى هذه الأمة، ولن يخلف الله عهده، وعدها النصر والعزة وعلو الكلمة، ومهد لها سبيل ما وعدنا إلى يوم القيامة، وما جعل لمجدها أمداً، ولا لعزتها حداً.

هذه أمة أنشأها الله عن قلة، ورفع شأوها إلى الذروة، حتى تثبت أقدامها على قن الشامخات، ودكت عوالى الراسيات، وانشقت لهيبتها مراتر الجبابرة، وذابت للرعب منها قلوب الأكاسرة والقيصرة، هال ظهورها الهائل كل نفس، وتحير فى سبب هذا الظهور كل عقل، واهتدى إلى السبب أهل

الحق. فقالوا: أولئك قوم كانوا مع الله، فكان الله معهم ونصروا دين الله فنصرهم، واسترشدوا بهديه فهداهم.

هذه أمة كانت في بدء نشأتها فاقدة الذخائر قليلة الأسلحة غير موفورة العدد، فاخترقت صفوف الأمم العاتية المدربة على الحرب والقتال، وأست ديارها حيث شاءت، ولم تمنعها الأبراج ولا الحصون، ولا عاتقها صعوبة المسالك، ولا أقعدما عن طلبها فقرها وغنى عدوها، ولا قلتها وكثرتة.

كانت تطرق ديار القوم فيحرقون أمرها، ويستهيون بها، وما كان يخطر ببال أحد أن هذه الشرذمة القليلة تززع أركان تلك الدول العظيمة وتمحوا أسماءها من سجل المجد، وما كان يختلج بصدر أحد أن هذه الفئة القليلة تقهر تلك الأمم الكبيرة. لكن كل ذلك قد كان، أولئك قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوقاهم أجورهم مجداً في الدنيا وسعادة في الآخرة.

هذه الأمة يزيد عددها على مائتي مليون من النفوس، وأراضيها آخذة من المحيط الغربي إلى أحشاء بلاد الصين، وهي تربة طيبة، ومنابت خصبة، ومع ذلك نراها نهبة وسلباً، يتغلب الأعداء على هذه الأمة شعباً شعباً، ويتقاسمون أراضيها قطعة قطعة، ولم يبق لها كلمة تسمع ولا أمر يطاع.

لقد ضاقت أوقاتهم عن أن تتسع للكوارث التي تلم بهم، وصار الخوف عليهم أشد من الخوف منهم، ومن الرجاء لهم.

هذه هي الأمة التي كانت الدول العظام تؤدى لها الجزية عن يد وهي صاغرة، صار أهلها يرون بقاءهم في التزلف إلى أعدائهم.

أليس هذا بخطب جلل، أليس هذا أعظم بلاء نزل. ثم ما سبب هذا الهبوط، وما علة هذا الانحطاط؟

إن الله تعالى قد وضع لسير الأمم وحياتها العزيزة سنناً متبعة، فقال:-
ولن تجد لسنة الله تبديلاً - فالأمم التي يصيبها الذل والهوان إنما يصيبها ما
أصابها بسبب هجر تلك السنن ومعاداتها. فالله تعالى لا يغير ما بقوم من
عزة وقدرة وجاه وأمن وراحة حتى يغيروا ما بأنفسهم، من نور العقل،
وصحة الفكر، والاعتبار بفعل الله في الأمم السابقة، وكذلك يصيبهم هذا
الضرر وهذا البلاء لأنهم حادوا عن طريق الاستقامة، والصدق في القول،
والعفة عن الشهوات، والحمية على الحق، والغيرة على الدين والعرض،
وفوق هذا أنهم خذلوا العدل، واتبعوا الأهواء الباطلة، وانكبوا على الشهوات
الغاية المفسية، وارتكبوا أعظم المنكرات.

لقد خابت عزائمهم يوم شحوا بأرواحهم، وبخلوا بها في سبيل الدفاع
عن دينهم وعن حريتهم، وآثروا الذلة على العزة، والراحة على التعب،
والحياة في الباطل، على الموت في الحق. فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة
لمن يعتبر.

لنرجع إلى قلوبنا، ولنمتحن مداركنا وعقولنا، ولنختبر أخلاقنا لنعلم
بعد ذلك هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالإيمان، وهل نحن نقفو على
آثار السلف الصالح، ولنعلم حق العلم أن الله لم يغير شيئاً مما أنعم به علينا
حتى غيرنا ما بأنفسنا.

وأعظم العلل والأمراض التي اعترتنا: هي حب الحياة للحياة، والحرص
على المال والبخل به في سبيل العزة القومية، والرفعة الدينية، والحياة الهنية.

إن كل واحد من أفراد هذه الأمة يود لو يعيش ألف سنة، وإن كان
غذاؤه الذلة، وكساؤه المسكنة، ومسكنه البؤس والهوان؟ أيحسب اللابسون

ثياب المسلمين أن الله يرضى منهم بما يظهر على الألسنة، ولا يتغلغل في القلوب، وهل يظنون أن الله تعالى يرضى بأن يعبد على حرف فإن أصابهم خير اطمأنوا به، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم.

إن من النصيحة أن ينظر كل منا إلى نفسه، وأن يمتحن كل واحد منا قلبه ليعرف منزلته في المؤمنين الصادقين المخلصين؟ ألا يا أهل القرآن: لستم على شيء حتى تقيموا القرآن وتعلموا بما فيه الأوامر والنواهي وتتخذوه إماماً لكم في جميع أعمالكم: مع مراعاة الحكمة والعدل في العمل.

إنى أقول ولا أخشى لومة لائم: إن الإيمان الحق لا يمس قلب شخص إلا كان أول أعماله تقديم روحه وماله في سبيل هذا الإيمان.

إن كل اعتذار عن نصرة الحق، وعن نصرة دين الله آية من آيات النفاق، وعلامة من علامات البعد عن الله، والله الذي يحيى ويميت لو أن العلماء الأتقياء أدوا ما عليهم من النصيحة لله ورسوله وللمؤمنين، وأحيوا روح القرآن، وذكروا المؤمنين بمعانيه السامية الشريفة، ونهههم إلى عهد الله الذي لا يخلف، لرأيت الحق يسمو والباطل يسفل، ولرأيت نوراً يبهر الأبصار، وأعمالاً تحار فيها الأفكار؟ فهل من صيحة حق يجمع الله بها كلمة المسلمين وقلوبهم فحين يحصل ذلك يعفو الله عنهم، ويغفر لهم ما سلف من تقصير، ولقد صدق الله الذي يقول: من يهدى الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وقال رضى الله عنه: تضافر الكثير، وتضامن جم غفير من أبناء الملة الإسلامية على خراب بيوتهم بأيديهم وأيدي غيرهم - ليقضى الله أمراً كان مفعولاً - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فتراهم الآن ويا

للأسف! يفعلون في أنفسهم ما لا يستطيع أن يفعله فيهم عدوهم ولو حاول دهرًا طويلًا.

كان في علم الخلق كلهم، وفي علم الشيطان منهم على الخصوص: أن الأمة الإسلامية ما دامت متمسكة بهذب دينها القويم معتصمة بحبل كتابها العظيم: ذلك الكتاب الذى - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وذلك الارتباط المحكم العرى الذى لا يمكن أن تعمل فيه معاول الدهر كيفما تنوعت، ولا تعمل فيه خطوبه، وإن توالى، وهو شئ لا يرضى الشيطان ولا المشيطين أيضًا. فكان من واجبهم أن لا يهنا لهم بال، ولا يسكن لهم بلبال، إلا إذا فتحوا فى محيط ذلك العنصر التضامن الأفراد هوة يسهل معها أن تتموج أفراد العنصر، وتتلاطم جزئياته: فأعدوا لذلك عدتهم، وجمعوا قوتهم، وأوحى بعضهم إلى بعض أسباب تحويل الوجهة عن الرابطة الدينية إلى الروابط المذهبية، وهو العامل الوحيد، والخطوة الأولى فى السعى وراء انقسام جوهر الأمة الإسلامية، مع أنه شئ لا يوجب الانقسام لأن دائرة الإسلام أوسع من أن تقضى بتصادم المذاهب أو العشرة المختلفة فيما لا يرسل له بجوهر الدين، ولكن الشيطان لا يرضيه ذلك، إنما يرضيه أن يظهر فى كل مذهب بما يوجب استيلاءه على غيره بكل ما يستحق من الوسائل القولية أو الفعلية إن أمكن.

وبعد أن انقضى ذلك الدور المأسوف عليه أو كاد أن ينقضى وكيفما كان الأمر فاتضح أنه شئ لا يعتبر لدى الشيطان كافيًا فيما يريده من تنفيذ برنامجه فى الأمة الإسلامية، فطير لها على جناح مكره من التعاليم الغربية ما يراه كافيًا فى الغاية المنشودة، وأول شئ ساقه إليها من تلك التعاليم التى

يراهنا قاضية على البقية الباقية من وحدتها هذا التفنن فى الوطنية والإغراق فى إطرائها، الأم الذى قد تتلاشى معه سائر الروابط العامة الشاملة .

وقد وجد هذا التعليم أعظم عامل فى تحليل وحدة الدين، وقد تمكن عقيدة فى قلوب العصرين الأمر الذى تخضع أمامه كل عقيدة فلم يشعر العنصر الإسلامى ألا وهو عناصر متميزة عن بعضها امتياز النوع والجنس بضرورة الأقاليم والجهات .

وهذا السبب هو أعظم مخرب للدين الإسلامى، والأمر لله، ولو انتشرنا فى الأرض لرأينا حال غيرنا من الأمم الإسلامية سلط عليها مثل ما سلط على أهل هذه المدينة .

ثم قال الله عنه: وهذا الاختلال الذى حل بالدين وتفاحش أن منشأه تفرق القلوب، وتفرق القلوب هو الموجب لوقوع الأمة الإسلامية فى سيطرة غيرها، وهو لا ريب موجب للخزى فى الدنيا، والنكال فى الآخرة، وما خلت أرض من نظام ينفى بغير البعض عن البعض إلا كان ذلك سبباً فى تالشيها وخرابها، ولا يجوز فى القوانين الإلهية أن تبقى الحكومة أمداً طويلاً على الظلم والخطب فى الأحكام .

إذ الناس رب بقاءهم إلى أجل مسمى، فإذا لم يقوموا بما عهد إليهم من الملك، وتركوا الناس ينبغى على بعض قيض الله لهم من يزيل الظالمين، ويعدل بين الناس مهما كان دينهم: إن ربي على صراط مستقيم .

وقال رضى الله عنه: القرآن جمع بين مطالب الروح والجسد أو الدين والدنيا، أو العلم والعمل، أو الأدبيات والماديات، فانظر كيف ترى توصيفه لمحاسن الطبيعة، وما فى الكون من علوم ومعارف لتتحلى النفوس بكمالها وتسعى لمطالبها فى الحياة، وتسعد سعادتى الدين والدنيا .

أنا ليحزننا يا قوم أن نرى ما حل بالأمة الإسلامية، فقد أصبحت لا تلوى على كتاب ولا سنة إلا ما كان عن فيض يفيض، وما أنقصه من فيض، وما أضعفه من عمل. حرام علينا يا قوم أن يسبقنا الناس بطرق التعليم الحسنة، ونحرم أنفسنا وإخواننا من علوم الدين والتهذيب والعقل؟ يا قوم من لنا بهداة وعقلاء يقومون فينا بتغيير العوائد الوقتية التي كادت أن تصمحل من سيطرتها القوانين الإسلامية.

وحكى الشيخ عبد الهادي حادثة. قال: حدث رجلا من العالمين باللغات الأجنبية، في أحوال الأمم الإسلامية، وسألته عم يسمعه من الأوروبيين. فقال: ذكر لي سائح ألماني، وهو يحادثني أنه عاشر أهل العراق نحو عشرين سنة حتى اطلع على علومهم، وألف كتاباً برهن فيه على أن الأمم الإسلامية آخذة في الانقراض لرداءة طرق التعليم فيها وجود الأفكار، وجهلهم بتقدم الأمم الحاضرة، وما بعد موت الأفكار سوى انقراض الأجسام، فعجبت من كلامه كل العجب.

فيا ضيعة الإسلام أن لم يقم فيهم مصلحون، وحكماء مرشدون، ويا ويلهم إذا أرشدهم الحكماء وهم غافلون: - اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون.

وقال رضى الله عنه: ورد في الحديث الشريف: "أول ما خلق الله العقل. فقال له أقبل فأقبل: ثم قال له أدبر فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أعز على منك: بك آخذ، وبك أعطى، وبك أثيب وبك أعاقب".

وكم في القرآن من آية تسجل الخزي والعار على أمة لا تعقل، والفلاح والنجاح لقوم يعقلون.

قضت سنة الله أن تجرى الأمور فى أوائلها على الحكمة والسداد على
أيدى الكبراء المصلحين: كالنبي ﷺ وخلفائه. فإذا مضت قرون وتبعتها
أخرى نظر اللاحقون ما بأيديهم من الأقوال فأخذوا بالأورع منها والأحوط
طلباً لسلامة دينهم ودنياهم: فإذا لم يفعلوا ذلك تسبوا لقساوة القلوب.

نعم قست القلوب فأصبحنا لا نعرف من الصلاة إلا مجرد الرسم
والاسم ولا من الذكر إلا اللفظ، ولا من العلم إلا لقول، ولم ننظر لماذا
وضعت، وما غايتها حتى أصبحت الصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر،
لعدم مما زجتها للنفوس، وهكذا قراءة علوم الآلات والمقاصد، وهكذا القرآن
يقرأ ولا تفكر فيه ولا تدبر، وكم ندد الله بنى إسرائيل فى ذلك كقوله تعالى
- ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون - وهذا بعينه
هو الواقع فى الإسلام اليوم.

كنت ليلة فى قرية من قرى البادية، فرأيت رجلاً يقرأ وحوله السامعون
يتناولون الطباق ويتحدثون فخيّل لى أن الإسلام فى حركة المذبوح وهؤلاء
المتحدثون أطرافه المضطربة يميناً وشمالاً إلى أن يقضى عليه، لا قدر الله.

وقال رضى الله عنه: الدين والجامعة: الدين أقوى أساس تشاد عليه
دعائم الروابط الاجتماعية بين أفراد أمم النوع الإنسانى مهما تباينت مشاربهم
واختلفت أغراضهم، وتعددت لغاتهم: فرابطة الدين أقوى مؤثر فى النفوس
لأنها أحرزت الشرفين: وهما اتصال سندها بمبدع الكائنات، ودوامها إلى آخر
العمر.

والوحدة الدينية هى التى ألت الأوس والخزرج فى زمن النبوة مع ما
كان بينهم من شقاق وحروب دامت أعواماً كثيرة، فألف الله بين قلوبهم

بوحدة الإسلام، ونزع ما فى صدورهم من غل فصاروا إخواناً على سرر العزة متقابلين، ففعل بنفوسهم ذلك السلطان القاهر على الروح ما لا يفعله كل ما على الأرض من ذهب وفضة ومتاع - لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم -، وتلك الوحدة هى السبب فى تقدم الفتح الإسلامى وانتشاره فى بقاع الأرض فى أقرب زمن مما هو معلوم بأدنى التفات إلى التاريخ.

رابطة الدين إذا تمكنت من القلوب كانت حصناً حصيناً يلجأ إليه الخائفون عند الدفاع عن أوطانهم، والذب عن حياضهم.

أم تر كيف أرهب سيدنا معاوية رضى الله عنه قيصر الروم، وقد انتهب فرصة التشاجر بينه وبين سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه: فكتب إليه يهدده بالحرب أو دفع الجزية، فكتب رضى الله عنه يقول له: إن لم تكف عن هذا وإلا سلمت الأمر لصاحبى، وكنت أول سهم من سهامه يرمى به إليك، فكأنما أجم فاه بهذا الخطاب بما أوقع فى قلبه من الرعب مع اشتداد الأمر بينه وبين سيدنا على رضى الله عنه.

وقال رضى الله عنه: ألحق أقول: إن الهمم متى ضعفت لم تفهم من العلم الأعلى مقدارها "وكل إناء بما فيه ينضح" وما دمنا على هذا الحال، ويئس الحال خامدين خاملين فليست لنا دلائل على مبدأ حياة جديدة، ولا ولادة من العدم إلى الوجود، فإن أعمالنا لم تزل رديئة لا توافق القرآن ولا السنة.

وقال رضى الله عنه: لعمرى لن تنشط هذه الأمة الإسلامية من عقالها أو تقوم من رقدتها، أو تستيقظ من غفلتها، إلا يباعث يبعثها، ومنه يبعثها،

كذكر مجد أسلافها وتقليدها في أعمالهم، وإفهامها أن لهم استعداد للكمال،
ورجائهم الخير وتوسمهم إقبال الزمان، وتبسم الدهر في وجودهم
ويدخل تحت هذا علم تاريخ الأمة وذكر رجالها، وقراءة دينها، وتميزها
عن غيرها بالمفاخر: فكل هذا من دواعي الحمية والنجدة وشرف النفس.

إمسك الشيخ عن الكلام واشتغاله بالتسبيح

ثم إن الشيخ أمسك عن الكلام، وأخذ في تسبيحه. فقال الشيخ عبد
القيوم، وكان حاضراً معنا في جل هذه الأيام، يا ولي الله إن عندي سؤالاً
طالما بحثت في جوابه، فلم أقع فيه على الصواب. قال قل وأوجز. قلت:
إني امرؤ خفيف الحال، ثقیل الأعباء، رزئت بفقد أبي قبل أن أبلغ الغاية التي
إليها مدى أملی، وأمل الأهل والأقارب، فانقطعت عن الدرس لقصر یدی
عن بلوغ نفقة التدريس التي اشتطت فيها فأصبحت عيالا على أهلي، ولبشنا
نعيش جميعاً من فضله كانت لنا، حتى أمسينا ذات ليلة ولم نجد ما نستصبح
به في الظلام، فكرهت أن أجمع عليهم بين خفة الحال وثقل وجودي بينهم،
فخرجت أقصد وجوه الرزق لعلی أصل إلى عمل أكسب منه ما أرفع به عنی
شر العوز وذلة السؤال، فما زلت أنظر في وجوه الأعمال، وأتبصر في أيها
أقل مؤنة وأكثرها ربحاً، حتى فتق لي الذهن أن ألقى بنفسی في أغوار
العدالة، فصحت عزيمتي على الدخول في زمرة هؤلاء، وإن لم أكن معهم،
وأقدمني على ذلك ما أراه كل يوم من ترامي الناس على احتراف تلك
الحرفة، وغفلة أهلها عن الذود عنها حتى عبث بها الدعى، وغض منها
الالصيق.

ولما طوعت لى نفسى ذلك صرت أسأل كل من لقيته من أهل العلم عن ذلك إلى أن أكرمنى الله بالاجتماع بك، فالرأى رأيك فى ذلك .

فقال الشيخ: أى فلان فما أنت فى الرأس منهم ولا فى الذنب، ولا علمك من ذلك العلم، ولا أدبك من ذلك الأدب، ولكن تألق الشيطان لك فى تزيين هاتيك الضلالة، وألقى فى أمنيته أن تصير ذا ثروة كما صار كل من جال هذا المجال، فساقك إلى نحسك ونكسك، ووجد له منك معيناً على نفسك، وكادت صحيفتك أن تصبح أشد سواداً من صحيفة أبى لهب، وأظلم ممن افترى على الله وكذب، فتب إلى الله من اقتفائك آثار القوم، فأنت فيه الحقيقى باللوم، فما الذى غبطك من حالهم، حتى أردت الدخول فى زمريهم، والافتداء بأعمالهم، أما سمعت قول القائل فيهم:

إن العدول الذى جاد الزمان بهم عن العدالة والتوفيق قد عدلوا
أحداث سن وألباب كسنهم تالله لو شهدوا فى الكلب ما قبلوا

فعدول زماننا هذا فى هول عظيم، ونكد جسيم، وعناء شديد، وليس فيهم مدبر ولا ذو رأى حميد، أو نظر سديد، فناكرهم المتراكمة لا تقع على بناء إلا هدمته، ولا على بسيط مستوى إلا حفرته، ولا على عالية ولا اسطوانة إلا هدمتها، ولا على شجرة إلا أحرقتها أو أقلعتها، ثم أمسك عن الكلام، وأخذ فى تسييحه. فقال عبد القيوم: إنى صرت الآن تائباً، وفى الحق راغباً، وما كنت لولا الحاجة الوقتية بملتفت إلى تلك الضلالة المرء.

فقال عبد الباسط بعد هذا: رحم الله من قال: الناس فى زمانهم مخيرون بين أمرين، إما الفضيلة والتعس، وإما الرذيلة والعيش، ثم ودعه وانصرف.

ثم التفت الشيخ عبد الهادي إلى عبد الباسط: وقال له أخبرني عن الجامع العتيق بأرضكم هذه لأجل أداء صلاة الجمعة فيه غداً إن شاء الله. فقال: أما المسجد العتيق بهذه الحضرة فهو المسجد الذي أسسه السلطان يوسف بن تاشفين، وكان ذلك سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقي كذلك إلى عهد عبد المؤمن الموحدى وبنى بقربه مسجده المعروف بجامع الكتبيين، وكان ذلك سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأما مناره العجيب، فقد بناه حفيده السلطان المشهور يعقوب المنصور، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. وأما هذا المسجد الذي نحن فيه فالمؤسس له أولاً هو السلطان علي بن يوسف اللمتوني، وبنى مسجده هذا سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وكان فسيح الأرجاء، فسيح الساحة، مستطيل المساحة، والذي جدده على هذا الشكل البديع هو السلطان المولى سليمان العلوي رحمه الله، وكان ذلك عام خمس وثلاثين ومائتين وألف، والنظر إليك الآن.

ملخص سيرة علي بن يوسف

وعبد المؤمن، والمولى سليمان

قال عبد الهادي: فأخبرني عن ملخص سيرة علي بن يوسف، وعبد المؤمن والمولى سليمان ليتمكن لي التوصل لعين الصواب.

قال عبد الباسط: أما علي بن يوسف فكان رجلاً حليماً وقوراً صالحاً عادلاً متقاداً إلى الحق والعلماء، ذا ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب، ملك بالأندلس من بلاد الفرنج إلى البحر الغربي المحيط، ومن بلاد العدو من مدينة بجاية إلى جبال الذهب من بلاد السودان، وخطب له علي أزيد من ألفي منبر، وكانت أيامه أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن، وكانت

ذلك مصحوباً بطول أيامه ولم يكن في عمل من أعماله خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشاً الزكاة والعشر وكثرت الخيرات في دولته، وعمرت البلاد، ووقعت الغبطة، ولم يكن في أيامه نفاق ولا قطاع طريق ولا من يقوم عليه، وأحبه الناس إلى أن يخرج عليه محمد بن تومرت عفا الله عنا وعنه.

وأنا عبد المؤمن الموحدى فله مآثر تذكرك، ومحاسن عليها يشكر، وهو أول من وظف الخراج على أرض المغرب. قال عبد الهادي حسك. قال: وأما المولى سليمان فكان رحمه الله موصوفاً بالعدل، معروفًا بالخير، مرفوع الذكر عند الخاصة والعامة، أجرى الخلافة على قوانينها بإقامة العدل والرفق بالرعية والضعفاء والمساكين، ومن وفور عقله وعدله إسقاط المكوس التي كانت موظفة على حواضر المغرب في الأبواب والأسواق وعلى السلع والغلال وعلى الجلد وعشبة الدخان، فزهّد رحمه في هذا كله وعوضه الله أكثر منه من الحلال المحض الذي هو الزكوات والأعشار من القبائل.

فقال الشيخ عبد الهادي: الآن ترجح عندي أن المسجد العتيق بهذه الحضرة هو المسجد اليوسفي، هذا والصلاة فيه أولى من غيره نظراً لمؤسسه أولاً، والمجدد ثانياً.

فبينما نحن جلوس: إذ ورد علينا أبو زيد عبد الرحمن المشهور، وهو أحد فضلاه مراكش فتشرفنا بمعرفته والاجتماع به، فالتفت إلى الشيخ وقال لقد قصدتك لما اشتهر عنك من الغيرة الإسلامية، وكونك ممن لا زالوا يزاولون أوقاتهم السنية بكل اجتهاد فيما يعود عليهم نفعه عاجلاً وآجلاً.

كلام الشيخ عبد الهادي على حديث

من سن في الإسلام سنة حسنة الخ

وفي أثناء الاجتماع نثر جملا: منها أنه سأل الشيخ عن سبب الحديث المشهور، وهو قوله ﷺ "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

فقال سبب هذا الحديث هو أن النبي ﷺ كان جالسا يوما فجاءه قوم من مضر وآثار الفقر الشديد بادية عليهم، فخطب ﷺ في الناس وحثهم على الصدقة لأجل أولئك القوم، فابتدر رجل من الأنصار فجاء بصرة من نقود حاملا لها، وقد عجزت كفه عن حملها، فلما رأى الناس ذلك اقتدوا به وتتابعوا على الصدقة حتى اجتمع من ذلك كومان من طعام وثياب: فلما رأى ذلك ﷺ تهلل وجهه وقال: "من سن في الإسلام سنة" الحديث.

ثم قال الشيخ: وسببه ينطق أن من سن سنة حسنة في الإسلام فله ثواب فعله ومثل ثواب من يعمل عمله، ولا يفرق الحديث بين مجتهد وغير مجتهد فمن سن في الزراعات سنة بها حسنت المزروعات واستراح الناس من كثرة العناء وبذلك أصبح قوت المسلمين رخيصة أوسن في البر أو في البحر آلة تسهل على الناس المواصلات من الجهات القاصية في أوقات قليلة بلا أدنى مشقة أو سن في التعليم سنة تسهل على مريدي التعليم الوصول إلى معرفة ما يجب عليهم في زمن وجيز بلا أدنى مشقة، أو سن في قيام الليل سنة تجعل الطاعة فيه سهلة على الناس، أو سن في الحروب سنة بها يستطيع قومه أن

يكونوا هم الغالبين، أو سن معنى به يصبح الناس فى الارتباط والاتحاد بدرجة لا تقبل الانحلال، أو سن أى معنى من المعاني التى لا تخالف كتابا ولا سنة سواء فى العادات أو فى العبادات فهو مثاب بلا شك، وإن لم يكن من المجتهدين، ومن خصص حديث الرسول ﷺ فقد جهل الدين، وعمى عن مقاصد الرسول ﷺ ولا ينافى ما تقول حديث "وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" فذلك موضوعه محدثة مخصوصة خالفت كتابا أو سنة.

بيان أن الذكر ليس قاصرا على اللسان

وسأله عن الذكر: هل هو قاصر على اللسان فقط أو يعم الجوارح؟ فقال الشيخ عبد الهادى: اعلم أن الذكر ليس قاصرا على ذكر اللسان فقط، بل يعم الجوارح كلها: فذكر اللسان بالثناء، وذكر العينين بالبكاء وذكر اليدين بالعطاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضى.

وسأله عن قوله ﷺ كما فى صحيح الإمام عن جابر (رضى الله عنه) "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"، فقال: دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تاركى الصلاة من الدين وعدم اتصافهم به. ثم قال: وانظر إلى غالب أهل زماننا كيف تركوا الصلاة، ولا أظن أنه كسل منهم بل اعتقاد أنها ليست من الدين، ولربما سخروا من فاعليها وهزئوا به، ولا سيما من تخرج من المدارس الوقتية ودرس كتب الطبيعة فإنه أشد سخطا وأسرع تجاهرا بعداوته، واللوم كله فى ذلك يرجع إلى علماء الدين وأئمتهم لأنهم لو تقربوا إلى الأمراء وبينوا لهم ما ينشأ عن ترك الصلاة من المفاسد المضرة بالمجتمع والمصالح العمومية بدليل قله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر - وطلبوا المساعدة منهم لأخذوا بيدهم وأعانوهم على مطالبهم، ولو اعتنى رؤساء العلم والدين بإرسال خطباء ووعاظ إلى البلاد والقرى، يرشدون الناس إلى ذلك ويحثونهم على التمسك بدينهم وإظهار شعائره، ويلقنونهم العقائد الصحيحة والمسائل الراجحة، والدلائل الشرعية والعقلية، لساد الدين وظهرت معالمه، لكنهم تساهلوا، وعن الأهم أعرضوا، وإلى الوظائف والمراتب جنحوا، وإلى الذين ظلموا ركنوا، أنى يظهر الدين، والعلماء ساكتون؟ نسأل الله السلامة.

ثم قال الشيخ بعد هذا: فأحوال هذا الجيل والذي قبله قد باينت الشريعة الإسلامية غاية التباين، وانعكست عوائد الناس فيه غاية الانعكاس، وانقلبت أطوار أهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع متصرفاتهم في مسكنهم، وفي أسعارهم، وفي سائر نفقاتهم، بحيث ضاقت وجوه الأسباب على الناس بسبب ذلك، وصعبت عليهم سبل الرزق والمعاش.

ومن أعظم الأسباب أيضا التي أوصلتهم إلى هذا الحد ملابتهم للعوائد الفرنجية في السر والعلانية، والأمر لله.

وبالجمله فما نقول في زمان تقدمت فيه الجهلاء على الفضلاء، والأشرار على الأخيار، واشتبه فيه الأمر، وصار القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، وحظى فيه المومسات والقواد والمتمسخرون كما قال الشاعر:

قد رمينا من الزمان بسهم قدم النذل والكريم تأخر
مات من عاش بالفضيلة جوعا وحظى كم يقود أو يتمسخر
فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هل يكفى عن الزكاة القدر المأخوذ ظلما

وحكم الضرار منها

وسأله (رضى لله عنه) عما يرتكبه غالب الناس اليوم فى الزكاة من كونهم يحسبون من الزكاة القدر المأخوذ منهم ظلما هل يصح ذلك أم لا؟ فقال لا يصح ذلك، وليس بشيء بل القدر المأخوذ منهم ظلما وقهرا إنما هو معاقبة مالية لا غير، أو ما دروا أن الله أوجب عليهم الزكاة ففى أموالهم فلا يبرءون إلا بدفعها على وجه شرعى، وما لم يكن فليس بزكاة، ومثلهم كمثل من أخذ لص ماله فعده من الزكاة فكما أن ذلك لا ينفعه كذلك هذا لا ينفعهم ولا يجديهم شيئا، فليحذر العاقل ولا يغتر بقول بعض المفتين الفتانين المغترين المعروفين الذين يحرقون الكلم عن مواضعه، تبعا لأغراضهم الشيطانية، والأهواء النفسانية، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا.

ثم قال الشيخ، ومن أغرب ما يرتكبه هؤلاء الناس اليوم أنهم يستغرقون أموالهم فى شراء الأماكن الزائدة على قدر الحاجة، ثم إن جميع الاستغلالات الشهرية الخارجة من كرائها يشترون بها محال آخر، وهكذا حالهم بحيث ربما لا يوجد بيدهم قدر من المال. ولا يخفى ما فى هذا من تضييع حقوق الفقراء والمساكين، بل كان ينبغى لهم بعد أن لم يقفوا مع الحد المأذون لهم من قبل الشرع، أن يقوموا الكراآت الشهرية على رأس كل سنة ويخرجوا منه الزكاة الواجبة عليهم، وبهذا تبرأ ذمتهم يوم القيامة وإلا فلا. . ولما لم يفعلوا سلط الله عليهم من يأخذ منهم مثل ذلك القدر بل وأزيد ظلما وعدوانا على رأس كل سنة جراء لفعلهم القبيح مع متابعتهم بذلك القدر إلى يوم القيامة ولا يخفى أن الأشياء كلها إنما يباح منها القدر الضرورى ليس إلا، وما زاد على

ذلك وبال على صاحبه ألا أن يكون صاحبه مراعيًا فيه وجع الشرع المتعلق به فيه .

وسبب هذا كله البخل الذى استفحل شره فى هذا الوقت، ورحم الله الحسن البصرى إذ يقول: لم أر أشقى بماله من البخيل لأنه فى الدنيا مهتم بجمعه، وفى الآخرة محاسب على منعه، غير آمن فى الدنيا من همه، ولا تاج فى الآخرة من إثمه، عيشه فى الدنيا عيش الفقراء، وحسابه فى الآخرة حساب الأغنياء .

قال العلماء: كل من لم يخرج زكاة ماله عن طيب نفسه، سلط الله عليه وجوها من الظلم يصرفه فيها. قلت وهذا أمر حاصل الآن غنى عن الإيضاح، وقد صار الشح بالزكاة عامًا طبعًا فى أكابره وأصاغرهم فقرائهم وأغنيائهم، وهذا بهتان وإثم مبین، فإن الله قد أوجب الزكاة على نفس الزرع فى ذاتها، ولو لم يبق منها لصاحبها بعد دراسها ولا حبة واحدة حتى أنه إذا درس ثم سرق جميع ما خرج منه أو نهب لا تسقط الزكاة، فبالأولى إذا باعوه بأنفسهم قبل أو بعد أو سلموه للظلمة أو غير ذلك .

وانظر هذه الآية الشريفة، وهى قوله تعالى ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب آليم﴾ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون﴾ ونظائرها الدالة على توبيخ مانعى الزكاة وتقريعه وتعذيبه العذاب الأليم، والأحاديث الواردة ذلك مما يحتمل الإنسان على إخراجه زكاة ماله وبدنه وإعطائها مستحقيها، لأنها تربي المال وتزيده حسا ومعنى، كما هو مشاهد لمخرجيها من حفظ ما لهم من الآفات، وعدم

تضييعه فى المهلكات، ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ وقعة، أو بحجر إسلام وإيمان، أو يفيد بيان، وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان واستبطنهم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصمخاخ، ثم ارتفع حتى باص وفرخ، فحشاهم نفاقاً وشقاقاً، وأشعرهم خروجاً وخلافاً، أخذوه قائداً يطيعونه، ودليلاً يتبعونه، ومؤامراً يستشيرونه، متى إلى الكتاب والسنة يرجعون، وبآثار السلف يقتدون؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قال الشيخ (رضى الله عنه): وأزيدكم بشارة سمعتها من بعض المشايخ، وهى أن الكافر يحرم دمه وماله بأخذ الجزية منه، كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار فى الآخرة إذا أخرج الزكاة بطيب نفس.

ومن العيوب التى نراها فى الوقت الحاضر أن المزكى يدفع ما عليه رديئاً أو ناقصاً إن كان من الذين يخافون الله تعالى فى هذا العصر وأراد إخراج الزكاة، وقد قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلى طيباً" كما رواه مسلم فى صحيحه، وقد شاهدناهم يخرجون ردىء الحب عن طيبه، وردىء الزيت عن جيده ويكيلون حق الله بأقل مما يكتالون به لأنفسهم، وذلك كله من الشح والجهل بالله، ويقال فى الحكمة: بشر مال البخيل بحارث أو وارث، وهذا أمره كمن يصلى الصلاة مفقوداً شرطها أو أحد أركانها، أفتراها مقبولة؟ والله يقول: إنما يتقبل الله من المتقين، وفعلهم هذا مناف لعمل التقوى بيقين إذ التقوى سلطانها يدك شوامخ الشح.

ومن العيوب المشاهدة أنهم يدفعون عن بعض الحرث دون البعض، كمن يخرجها من الشعير ولا يخرجها من القمح مثلاً، أو عن التجارة الفلانية

دون غيرها، إن كان من التجار، أو من الذهب ولا يخرجها عن الفضة إن كان من أهل الكنز، وقد أوجبها الله في الذهب والفضة أو ما يقوم مقامهما كهذه الأوراق الحالية المالية، وكذا في البقر والغنم وغيرها كما هو مقرر في كتب الفقه .

ومن عيوب من يخرجها الآن، ومخرجها اليوم في حكم الندور: أنه يحسبها ثم يخرجها شيئاً فشيئاً، وذلك أنه كلما وجد محتاجاً قصده يسأل كما هي عادة الفقراء يقدم له شيئاً منها سداً عن عرضه فيرى أنها أغنت عن الزكاة، ودفعت عن عرضه خشية أن يقذفه القاصد إذا لم يعطه حتى ينتهي ما عليه من الزكاة، ويدعى على رءوس الأشهاد أنه يخرج الزكاة، على أنه يجب تفرقتها فوراً بموضع الوجوب، ويأتم من أخرجها. فليخف الله ربه رجل ملك النصاب خشية أن يسلب ما لديه، والله عزيز ذو انتقام. وفي الحديث كما في صحيح البخارى: عن عقبه بن الحرث، قال: "صلى بنا النبي ﷺ العصر فأسرع، ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج فقلت، أو قيل له: فقال كنت خلفت في البيت تبراً من الصدقة فكرهت أن أبيته فقسمته". وفي كشف الغمة: أن رسول الله ﷺ قال: "يكون قد وجب عليك في مالك صدقة فلا تخرجها، فيهلك الحرام الحلال، فإن الصدقة ما خالطت مالا إلا أهلكته".

وأما تفاخره على رءوس الأشهاد بالإخراج فهذا مع الفخر رياء، والمراتب ملعون، والرياء محبط للعمل، وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء، يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم:

أذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء' أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

وحسب مانع الزكاة من الترهيب ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل، قال ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم ورودها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل يا رسول الله فالبقر والغنم، قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها شيئاً، ليس منها عقضاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار" الحديث. قوله (بطح) الخ: أى فرشت لها الحصباء (بقاع قرقر) القاع الأرض المستوية (والقرقر) الأملس: والمعنى يجعل لها أرض مستوية ملساء مفروشة بالحصباء ويطرح فيها مانع الزكاة وتمر عليه الأنعام تنطحه وتعضه وتطؤه حتى يقضى بين الخلق.

ويوم القضاء كما سبق في الحديث مقداره خمسون ألف سنة مع هذه

الشدة التى يلاقيها هذا المانع لزكاة ماله قوله (القصعاء) أى التى قرونها ملتوية إلى خلق (الجلحاء) أى التى لا قرون لها (العصباء) أى التى قرونها مكسور: أى أن هذه الأنعام ليس فيها بهيمة ملتوية القرنين ولا من غير قرون ولا مكسورة قرن بل كلها سليمة القرون قائمتها قوية على النطح .

فانظر بعينك أيها العاصى لله، الملعون بنص الحديث أفتقوى على ألم حديدة محماة دقيقة من الزمن، أفتقوى يا صاحب الذهب والفضة على صفائح الذهب المحماة بنار تخافها النيران لا دقيقة، ولا ساعة، ولا يوماً، ولا شهراً ولا سنة، بل خمسين ألف سنة توضع على جنبك وجبينك وظهرك كلما بردت عادت، يا صاحب الأنعام: أفتقوى على ألم وطأة بعير واحد وعضه، أم نطح بقرة أو شاة واحدة وعضها، أفتقوى على نطح أمة من الإبل أو من البقر أو من الغنم تفانت على يدك، يبعثها الله يوم القيامة كاملة سليمة قوية أجمعها على أرض مستوية ملساء معروشة بالحصباء لتمكن منك فى النطح، وليشتد عليك الأم حقاً، ماذا عليك أن تدفع على الإبل شاة وتتمتع بها، ماذا عليك أن تدفع عجلاً فى ثلاثين بقرة، أو شاة فى أربعين شاة وتتمتع بها، وتلقى الله على جناح الرضى والسلامة، ولعل هذا يكفى فى زجر مانعها .

ثم قال الشيخ رحمه الله . بعد هذا، ومن أعظم تجارات هؤلاء المتولين اليوم، شراء الملبانى خصوصاً القهوات والخمارات، وحوانيت الفسق والبيوت التى تصلح لسكنى النصارى واليهود، وقد اشترك فى هذا علماء الوقت وقضاته، ولا خوف من الله ولا حياء، وإنما مقصودهم الأهم هو جلب الدرهم على أى وجه كان .

ومن أغرب ما يسمع أن بعض قضاة الوقت ممن لهم الرغبة في هذه المسالك الشيطانية اكترى منه خمار محلا لأجل أن يبيع فيه الخمر، ووقعت بالقاضى شكايات فى أن يخرج من خمارته الخمار فأبى، وقال إلا إذا لم يبق بمراكش خمار، فحينئذٍ أخرج عنكم هذا، واستعطف بكل وجه فلم يقبل، وكان عاقبة الأمر أن وقع الناس شكايتهم لمن له الكبرياء والعظمة والسلطان.

ما قاله ابن الجوزى فى تأسيس إبليس على أصحاب الأموال

ثم قال الشيخ عبد الهادى: وقد عن لى أن أقل لكم كلام الإمام ابن الجوزى فى هذا الموضوع تميمًا للفائدة: فنقول. قال رحمه الله فى كتابه (فقد العلم) ولقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه. (أحدها) من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت، وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن ج معاملاتهم خارج عن الإجماع، وقد روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: "ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام"، (والثانى) من جهة البخل بها، فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلا اتكالا على العفو، ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه العقاب، ومنهم من يحتال لإسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحلول ثم يسترده، ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوبًا يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين، ويظن ذلك الجاهل أنه قد تخلص، ومنهم من يخرج الردىء مكان الجيد، ومنهم من يعطى الزكاة من يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجره، ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى، فيقول له إبليس ما بقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حبًا للمال فيفوته أجر المتصدقين، ويكون المال رزق غيره. وعن ابن عباس. قال، أوام ما ضرب

الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعته على عينه وعلى سرتة، وقال بك أطفى، وبك أكفر رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يبعثني. قال وعن الأعمش عن شقيق عن عبد الله، قال إن الشيطان يريد الإنسان بكل ريدة فإذا أعياه اضجع في ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئاً، (والثالث) من حيث التكثير بالأموال فإن العنى يرى نفسه خيراً من الفقير، وهذا جهل لأن الفضائل بفضائل النفس اللازمة لها، لا يجمع حجارة خارجة عنها، (والرابع) في إنفاقها، فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، تارة في البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور، وتارة في اللباس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء، وتارة في المطاعم الخارجة إلى السرف، وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه، وهو مسئول عن جميع ذلك، وعن أنس بن مالك قال. قال رسول الله ﷺ: " يا ابن آدم لا تزول قدمك يوم القيامة بين يدي الله عز وجل، حتى تسأل عن أربع: عمرك فيما أفنته، وجسدك فيما أبليت، ومالك من أين اكتسبته أين أنفقتة". ومنهم من ينفق في بناء المساجد والقناطر، إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر، فيكتب اسمه على ما بنى، ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه، لو كلف أن يبني حائطاً من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل، ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهو أولى. وعن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الصدقة على المسكين صدقة، والصدقة على ذوى الرحم اثنان، صدقة وصلة". ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية، فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره، ولو واساه كان له أجر لصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى، وقد روى عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ " إن

أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح" . ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة، وقد روى عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول" ، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "تصدقوا، فقال رجل عندى دينار، فقال تصدق به على نفسك، قال عندى دينار آخر، قال تصدق به على زوجتك، قال عندى دينار آخر، قال تصدق به على والدك، قال عندى دينار آخر، قال تصدق به على خادمك . قال عندى آخر، قال أنت أبصر به" . ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف يشاء، وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به، وعن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "من خان عند الوصية قذف فى الوباء، والوباء واد فى جهنم" . قال وعن الأعمش عن خثيمة قال: "إن الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم، فلن يغلبنى على ثلاث، أمره بأخذ المال من غير حقه، وأمره بإنفاقه فى غير حقه، ومنعه من حقه" انتهى كلامه رحمه الله .

الكلام على حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من يحب لنفسه

فقال أبو زيد بعد هذا للشيخ عبد الهادى: نعم الرجل أنت الذى خبر الأحوال، وذاق مرارة الأهوال، فأنت أقرب الناس إلى متابعة الرسول، ونعم القول الذى تقول، فأخبرنى عن معنى قوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" فقال الشيخ رضى الله عنه، أما الحديث، فقد رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وأما معناه فقد اتفق المحدثون على أن المراد هو أن الشخص الذى لا يحب لأخيه فى

الإيمان مثل الذى يحبه لنفسه من الخير لا يكون مؤمناً إيماناً كاملاً بل يكون إيمانه ناقصاً، والإيمان الناقص ضعيف وأنت تعلم أن ضعيف الإيمان لا يكون كاملاً فى الإنسانية، ولا كاملاً فى الدين، ومن كان كذلك كان عرضة لارتكاب الذنوب والآثام ما صغر منها وما كبر وكان عرضة لتسلط الشيطان عليه وإفساده قلبه، لأن الذى يدفع الشيطان ويبطل وسوسته هو الإيمان القوى الكامل.

إن صاحب الإيمان الناقص يعصى الله كثيراً ويهفو دائماً، ولا يكون راضياً بقضاء الله وقدره وكل الرضى، ويسبب ذلك يجرى الشيطان منه مجرى الدم، ويحقر فى نظره نعمة الله عليه، ويعظم فى عينه نعمة الله على غيره، فيسخط ويحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، "والحسود لا يسود" ليس عجباً أن يكون المرء محباً لنفسه لأنه مدفوع إلى هذا الحب بمقتضى الفطرة وبمقتضى حبه للحياة، وكراهيته للموت، ولكن العجيب أن يحب الخير لنفسه، ولا يحبه لغيره، وهو يعلم أن الكل عبيد لله، وأن خزائن الله ورحمة الله لا تنفذ ولا تفرغ، وأن حبه وكراهته لا يؤثران فى قضاء الله وقدره، فلم يكره الخير ولم يعود نفسه هذا الخلق الذميم الذى يدل على الشر والطمع؟ وكيف يلتذ الإنسان إذا كان فى النعيم وحده.

وأين هذا من شاعر الحكمة والاجتماع فى الإسلام الذى كره الانفراد فى النعيم لأنه رأى لذة الحياة، ورأى الإنسانية لا تتم إلا بالاجتماع، ولا تحلو إلا مع الجماعة، فقال:

ولو أنى منحت الخلد فرداً لما أحببت فى الخلد انفراداً

وبعد فهذا الحديث يصح أن يكون أساساً من أسس الدعوة إلى

الاشتراكية الحققة، التي تسعد لها الإنسانية، وتحلو الحياة، وتعمر الدنيا بلا سفك للدماء، وبلا حقد ولا حسد ولا طمع، فهل يعمل به المسلمون؟ وهل يسعى إلى تحقيقه من يظنون أنهم على ربهم يعرضون، وعلى حسب نياتهم يحاسبون.

الكلام على قولهم أن الأرض على قرن ثور

فقال أبو زيد: أخبرني عن قولهم: أن الأرض على قرن ثور، وهل له سند صحيح أم لا؟ فقال الشيخ: اعلم أن سرى في الشرق بل حتى في الغرب، منذ عهد قديم فكرة خاطئة لعلها ترجع إلى عهد اليونان أو عهد بني إسرائيل أو الفراعنة الأقدمين، تلك الفكرة الخاطئة هي أن الأرض قائمة على قرن ثور، وأن الثور إذا تعب نقلها إلى القرن الآخر فتحصل الزلزلة الأرضية، ومن المحزن أن تعلم بأن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها دخلت عليهم هذه الفكرة الفاسدة مع الإسرائيليات التي نقلت إليهم فصدقوها وحسبوها حقاً، فجمدوا عليها ولم يتحولوا عنها أجيالاً، وفي أخبار قصاص المسلمين أشياء عجيبة تضيق بها صدور العقلاء. وأنا أحكى بعضها لبيان ما أدخله القصاصون على الإسلام مما ليس منه فتقبلته العامة، وسرى إلى بعض الخاصة، فحسبوه من أسرار الكون التي خفيت على كثير من الناس، وإنك لا تزال ترى بعض الشيوخ من علماء المذاهب يصدقون هذه القصص ويتحدثون بها، ويعلمونها الناس في دروسهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

رووا أن الله تعالى لما خلق الأرض أهبط لها ثوراً من الجنة، ثم جعلها على قرنه، ثم خلق صخرة ليستقر عليها الثور، ثم جعل الصخرة على ظهر

حوت عظيم يسبح فى البحر، وبعد البحر ربح، وبعد الربح شىء لا يعلمه إلا الله. وبعضهم يروى أن الله جعل الأرض على حوت وهو النون الذى قال الله فيه (ن والقلم وما يسطرون) وجعل الحوت فى الماء وجعل الماء صخرة، وهى الصخرة التى ذكرت فى سورة لقمان فى قوله (يا بنى إننا إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله)، ثم وضع الصخرة على ظهر ثور، والثور على الربح، وما وراء ذلك مجهول للخلق، وإننا لنحمد الله كثيراً فقد صارت هذه الأقوال مما توجه الأذان وتسام حديثه النفوس لأنه باطل، والباطل لا يدون ولا يحب طويلاً، أما الذى قرره العلم الحديث هو أن الأرض كانت جزءاً من الشمس فانفصلت عنها ثم تكورت فهى تسبح فى الفضاء وتدور.

وبسبب هذا يحصل الليل والنهار، وتتغير الفصول، وهذا بعينه هو المفهوم من القرآن الكريم، قال تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما)، وقال: (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وقال (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء).

رحلة الناس إلى بلاد الفرنج

وسأله عن حكم ما عليه عمل جل المتولين فى الوقت من كونهم يشدون الرحلة للأراضى الأوروبية لأجل التفسخ فهل ذلك مباح أو مكروه أو ممنوع.

فأجابه الشيخ بقوله: كان عمل الناس فى القديم أنه لا يشتد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: مسجد المدينة المنورة، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى.

ثم صار عمل جل الناس اليوم على خلاف ذلك، فجعلوا كعبتهم أوروبا يقصدونها لأخذ علوم الفلسفة والطبيعة وعلوم الجدل وفنون الغش وأنواع المكر والخداع، ويلقون المذاهب المنافية لروح الإسلام ومدنيته، ويأتون ساخطين على الدين وأهله، ويعيبون على ما تمسك بقواعد الدين الحنيف، وينقمون على عادات أقاربهم وأهاليهم من صلاة وصيام.

وهذا ما جلبته أوروبا علينا بخيلها ورجلها، وهم يدعون أنهم وطنيون، لا! وقطع الله الوطنية التي تؤدي إلى إزدراء الدين، وتقويض دعائمه ومحاربة أهله، ومجانبة أهم أركانه. على أنك لو حققت سبب سرعتهم لانتهاز هذه الفرصة لوجدتها فرصة الحرية الموهومة التي يخدمون بها أنفسهم حيث لا يخشون متقدماً ولا يرون ذاماً فينقلون من بيت فسق إلى بيت ميسر، ومن حانة إلى دار رقص، وهكذا يقضون أيامهم حتى تظه خلتهم ويبين عوزهم فيعودون إلى بلادهم وهم مصابون في صحتهم وأموالهم وأخلاقهم حسبما ذكرنا، وليت المصيبة فيهم تقف عند هذا الحد بل أنهم ليسيئون سمعة بلادهم من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون.

إن الأجانب الذين لا يرون أمثال هؤلاء في بلادهم يظنونهم سراة القوم وعليتهم وقادتهم فماذا تكون الحال عندما يرونهم منهمكين في أسباب الجهالة، غارقين في بحار الضلالة؟ إنهم يعتقدون لا محالة أن أمة هذه حال سادتها لمن أحط أمم الأرض عقلاً وحلقاً، أمة يجب على الرشيدين من عباد الله أن يبسطوا إليها أيديهم ليغشوها من تلك السقطة، إن هؤلاء القوم الذين يذهبون منا إلى البلاد الإفريقية أكثرهم ممن ينتسبون إلى الإسلام ظلماً، وأنت لو سألت أحدهم أن يجعل إحدى رحلاته إلى زيارة الأماكن المقدسة أو

للتعرف بأمم الإسلام: مهبط المدينة الحقيقية لأجابك أنه لا يعنيه ولا يسره أن يسافر إلى بلاد لم يأخذ أهلها بأسباب المدينة، وقد يعتذر بأنه يخشى على نفسه بلاداً يضطرب فيها جبل الأمن، ولو أنصف الحقيقة لقال: إنه لا يعرف القصد من زيارة هذه الأماكن القدسية، ولا ما أوجبه الشريعة الإسلامية، لو سألته ماذا يفعل الإفرنج في حجر الطاعم أو التدخين أو حفلات الرقص: لرأيت له لسان فيلسوف محنك، قتل الموضوع خبراً وعملاً، بمثل هؤلاء تأخرت الأمم الشرقية، وبسببهم طمع فيها ذوو المآرب الاستعمارية، وسيبقون مستعدين لهم حتى يغيروا ما بأنفسهم، (إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

من لى بأن يعلموا أن تقليد الإفرنج الذى ذهبوا فيه كل مذهب هو المعول الذى هدموا به استقلال بلادهم، ودمروا ثرواتهم، وضيعوا قوميتهم فقد أصبحنا بفضلهم نقلد الإفرنج التقليد الأعمى، ونسير وراءهم خطوة فخطوة، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعناهم، وهذه حال نسأل الله السلامة من عواقبها.

ترى هل يقطع رؤسائنا عن هذه الأمور المخزية، وحسبهم من ضياع شئوننا ما مضى، وهل يجودون ببعض الأموال التى ينفقونها هنالك ذات اليمين وذات الشمال على أبناء أمتهم، فيسعون فى تعليمهم وتهذيبهم، ويؤدون ما يجب لبلادهم عليهم، وهل يجعلون وجهتهم فى السياجات كما كان يفعل سلفهم الصالح نحو الأقطار الإسلامية، والبلاد الشرقية، ويتعرفون بأهلها، ويتخذون منهم أصدقاءهم وإخوانهم ليتشاركوا فى السراء، ويتعاونوا فى الضراء، حتى يكونوا فى توادهم وتراحمهم: كمثل الجسد إذا اشتكى منه

عضو تألم له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، إنهم لو فعلوا ذلك لأنقذوا بلادهم ومجدهم ، (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون).

الكلام على الحديث الناهى عن الجلوس فى الطريق

وسأله عن قوله ﷺ: " إياكم والجلوس بالطرقات . قالوا يا رسول الله : ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال رسول الله ﷺ إذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه . قالوا وما حق الطريق؟ قال غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر " .

فقال الشيخ رضى الله عنه : أما الحديث فقد رواه البخارى ومسلم وغيرهما، وقولهم : ما لنا بد من مجالسنا : إنما هو إخبار بالواقع ، وبيان حاجتهم إليه فرجوا أن يخفف عنهم لذلك ، وزاد أبو داود على هذه الخمسة " وإرشاد ابن السبيل ، وتشميت العاطس إذا حمد الله " وزاد البزار ، " والإعانة على الحمل " : وزاد سعيد بن منصور " وإغاثة الملهوف " وزاد الطبرانى " واهدوا الضال " وزاد الترمذى وغيره " وحسن الكلام ، وأفشوا السلام " فمجموعها أربعة عشر أدباً ، والحكمة فى النهى عن الجلوس فى الطرقات أنه بجلوسه فيها تعرض للفتنة ، إذ لا تخلو الطرقات من الشهوات ، ومرور النسوة ، والفاجر والفساق ، وأنها مجمع الشياطين ، ولربما لا يتمكن من حفظ نفسه من الوقوع فى المكاره والمفاسد ، ففى منعه منها صيانتة من ذلك كله وحفظه ، فرخص لهم الشارع فى ذلك إذا قاموا بحقه .

وانظر هذا مع الحالة السيئة التى عليها الناس اليوم فتراهم مستغرقين جل أوقاتهم الليلية والنهارية فى الطرقات ولأشغل لهم إلا ذكر الخرافات والأضاليل وهتك العورات غائبين عما أمروا به فى السر والعلانية .

حكم التختم بالذهب واستعمال أوانى الذهب

والفضة ولباس الحرير

وسأله عن حكم التختم خاتم الذهب، وآنية الذهب والفضة ولبس الحرير. فقال الشيخ عبد الهادي رضى الله عنه أما خاتم الذهب فحرام بالإجماع على الرجال، وأما آنية الذهب والفضة فيكفى فى تحريمها ما رواه البخارى ومسلم عن أم سلمة. قال رسول ﷺ: "الذى يشرب فى إناء الفضة والذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم". وفى حديث آخر لهما: "لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما" الحديث. وأما لبس الحرير والقسى والديباج والميثرة والاستبرق قال النووى. كله حرام سواء لبسه للخيل أو غيره، وانعقد الإجماع على إباحته للنساء، وتحريمه على الرجال، (والميثرة) تعمل من حرير وغيره: كالفراش الصغير وتخشى بقطن أو صوف (والقسى) بفتح القاف وكسر السين المشددة ثياب مزلعة فيها حرير، يعنى هى ثياب كتان مخلوط بحرير، والاستبرق الغليظ من الحرير، والديباج الرقيق منه، وفى الحديث عن عمر رضى الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة" رواه أصحاب الكتب الستة، وظاهر الحديث أنه كناية عن عدم دخول الجنة، ولذلك قال ابن عمر: والله لا يدخل الجنة، واستدل على ذلك بقوله تعالى - ولباسهم فيها حرير -، ويشهد له أيضاً ما رواه الشيخان عنه "إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة" والخلاق - كما فى شروح الحديث، وكتب اللغة - النصيب.

وقد أجمع المسلمون على التحريم، وهذه الأحاديث إذا لم تفد التحريم

فليس في الدنيا محرم، ولا تلتفت إلى قول في المذهب أو رأى لبعض العلماء فإن ذلك من اتباع الهوى ودسائس الشيطان والعادات القومية المخالفة للشريعة المحمدية، وأصرح منه في الدلالة على المنع مطلقاً ما رواه البيهقي بسنده عن أبي اسحاق، قال: دخلنا على عبد الله ابن عمر وهو بالبطحاء، فقلنا يا أبا عبد الرحمن: إن ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل: قال: اتركوا قليله وكثيره.

فليت شعري من أين أخذ أهل عصرنا حل لبس الحرير والتفرقة بين قليله وكثيره، وبين حرير الدودة والحرير الهندي، ولا يبعد أن يكون تشبههم بالنساء وإطاعتهم لهن سولا لهم ذلك، ولا تغتر بما سطرته يد أئمة، أو أثبتته صحيفة سوداء، فإن ذلك مخالف لما قد علمت، والعصمة لله ولرسوله ﷺ. حفظني الله وإياك من الزلل.

ثم قال الشيخ بعد هذا: ما أحسن الفقيه إذا كان فقيهاً، وما أقبح الفقيه إذا كان سفيهاً، وما أحسن الفقيه إذا أخلص معاملة مولاه، وما أقبح الفقيه إذا ملكته نفسه وهواه! وما أحسن الفقيه إذا تواضع وانكسر! وما أقبح الفقيه إذا تجبر واستكبر! وما أحسن الفقيه إذا اتبه واتبع! وما أقبح الفقيه إذا تغافل وابتدع.

حكم الإناء المحلى بالذهب أو الفضة

وسأله عن حكم اتخاذ المجانة المحلاة بالذهب أو الفضة. فقال الشيخ: اختلف العلماء فيها. فمنهم من قال بالمنع، ومنهم من قال بالجواز، وعن رأى الجواز الشيخ عبد الرحمن الشنقيطي، ولفظه تقليد المجانة في الوقت جائز نص عليه البرزلي، واقتصر عليه الشيخ حلولو والحطاب في باب الوقت

المختار، وعزاه الكل لابن يونس فى كتاب الصوم، وحمل التى بها تحلية من ذهب أو فضة يجرى على حمل الحرز المحلى بالذهب أو الفضة. قال ابن شعبان فى كتابه الزاهى: الحروز التى تحمل للرقيا يجوز تحليتها بالذهب والفضة سواء كان فيها اسم الله أو غيره. نقله عنه الشيخ سالم والحطاب. وقال الشيخ إبراهيم الشبرخيتى المالكى عند قول الشيخ خليل، وعصى وصحت أن لبس حريراً أو ذهباً: ظاهره أن حمل الذهب بالكم والجيب ونحوه جائز وهو كذلك، ونص عليه الزرقانى بقوله: لا أن حملة بكمه أو جيبه أو نحوه مخرج له من العصيان، ونص الشيخ خليل فى توضيحه على جواز تحليه غمد السيف وهو محمول لصاحبه. ونص البرزلى على جواز تحليه الدواة وهى تحمل وتناول، ونص ابن الحاج فى المدخل وعزاه لظاهر المذهب أن معرفة الوقت فرض عين على كل مكلف. قال الحطاب: ظاهره أنه لا يجوز لأحد أن يقلد فيه أحداً. قال القرافى فى فروعوه هو فرض كفاية، ومن المعلوم عند أهل الأصول: أن الأمر الذى لا يتم الواجب إلا به واجب: لا سيما والبلد بلد غيم فى أكثر الزمان لا يعرف النهار فيه بالظل ولا الليل بالنجوم، فمست الحاجة إلى ما يعرف به الوقت فى زمن الغيم، وما رأينا آلة أضبط منا فى الغيم والصحو، فهى إما فرض عين على قول ابن الحاج، وإما فرض كفاية على قول القرافى فى إجراء الوسائل مجرى المقاصد، وإعطاء الوسائل حكم المقاصد اهـ لفظه والله أعلم بالصواب.

حقوق الجار

وسأله عن الجار وما يجب عليه له فى السر والجهار. فقال إكرام الجار والإحسان إليه ومواساته عند حاجته أمر محبوب ومأمور به، وبه جاءت

الشرائع، وقد نص القرآن على ذلك، ووردت أحاديث كثيرة في الإحسان إلى الجار وعدم أذيته، والجار عام يشمل المسلم والكافر، والتقى والفاجر، صديقاً كان أو عدواً، أجنبياً أو قريباً، إلا أن بينهم تفاوتاً فمن اجتمعت فيه الصفات المحمودة، والخصال الحميدة، كان في أعلى المراتب، ون كان فيه أكثرها فهو تابع له في المرتبة، وهلم جرأً فيعطى كل ذي حق حقه بحسب حاله، وباعتبار مقامه، يدل له ما رواه الطبراني والبخاري من حديث جابر مرفوعاً: "الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم: له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق: جار مسلم، له رحم، له حق الإسلام والرحم والجوار" فحفظ حق الجار من الإيمان، والإضرار به من الكبائر لقوله ﷺ في بعض الروايات "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره".

وانظر إلى أبناء زماننا كيف منعوا الجار حقه، واستبدلوا الإكرام بالإيذاء، والإحسان بالإساءة، حتى أصبح أقرب الناس جواراً أشدهم عداوة لجاره، وأعظمهم ضرراً، وأسرعهم تنكيلاً به، وأحرصهم على هتك عرضه، ولا سيما إذا كان بينه وبين جاره رحم وقربة، فإن الإيذاء له يزداد ويتعاضد، وكل ذلك من الجهل بالدين، وعدم انتشار آداب الإسلام، وتساهل العالمين بالأحكام، نسأل الله أن يوفق علماءنا الأعلام وأمراءنا الكرام، إلى استدراك الخطب قبل استفحاله، وقطع عرقه قبل سريانه، بنشر التعليم بين المسلمين عامة، وتخريج وعاظ ومرشدين قادرين على تفهم العوام أمر دينهم، وبيان حقوق الأفراد والجماعات، وما ينشأ عن الجهل وترك الدين وتقليد الأجانب في الأمور المخلة، والمفاسد المؤثرة في المجتمع من سقوط الأمة وانحطاطها

ووثوب العدو عليها وافتراسها، واستعباده إياها كما هو حاصل الآن، فيصبح الشعب متعلماً متيقظاً لنفسه، متمسكاً بحقوقه، محترماً لجاره ورحمه، مقتدياً بسلفه، عاملاً بشريعته ودينه، ناظرًا إلى منفعة أخيه ووطنه، مكبًا على رضا ربه، متباعدًا عما يضر بقومه وأبناء جنسه، متحاشيًا الرذائل، متحليًا بالفضائل، وغير ذلك من الصفات التي تقدمت.

حكم قراءة الجرائد والمجلات

وسأله عن حكم قراءة الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية. فقال: هذه الأقاويل تعجبك إن كنت ممن يحب التدجيل، ويؤمن بالخرافات، وتكون أفكوهة لك إن كنت ممن ينكرون تلك الوسوس، ولكن هل يتسع وقتك لقراءة مثل هذه الأقاويل للتفكه إن كنت ممن يحرصون على أوقاتهم. فقال أبو زيد فما رأيك في تلك الصحف التي باتت تنسج بغير فرقان على صاحب الدار والغريب، وتقرض بلا مبالاة عرض البعيد والقريب، أترى في وجودها ضررًا محضًا، أو منفعة خالصة، أم هي كالخمر في حياها، قد جمعت بين الإثم والمنافع، فوجودها بيننا ضار نافع.

وقال الشيخ عبد الهادي: لقد نظرت قبل اليوم في مثل هذا السؤال وما احتوى عليه من الهدى والضلال، فألقيت فيه شرًا قائمًا، وخيرًا جائمًا، فرأيت أن أزن الاثنين: فلما حملتهما إلى الميزان، ونظرت فيه بعين العرفان، شالت كفة النفع والخير، ورجحت كفة الشر والضرير، فقلت زدني بارك الله فيك، وأسמעنى تأويل ذلك من فيك. قال: أعلم أنه ما من شيء إلا وفيه منفعة ترجى، ومضرة تخشى، أما وجوه النفع في بقاء تلك الصحف، فهي عديدة إلا أنها لا تكاد تتجلى لغير علماء العمران والباحثين في ترقية شئون

بنى الإنسان: فمنها أن بقاء تلك الصحف على الحال التي هي عليها عنوان على وجود الحرية في البلاد التي تنشر فيها، ومنها انتشار اللغة في الجملة بانتشار تلك الصحف فإنك لا تعدم أن تجد في صحائف الأسبوع أسلوباً رقيقاً، ومعنى دقيقاً، يعز وجودهما. وأما وجوه المضرة في بقائها فكثيرة: منا ديب الفساد إلى أخلاق العامة لكثرة ما يقرأون ويسمعون من ألفاظ السباب، وإذا فسدت الأخلاق في أمة فقد فسد فيها كل شيء.

حكم ذبيحة أهل الكتاب

وسأله عن حكم أكل الذبيحة المحرمة عند اليهود المعروفة بالطريقة فقال الشيخ: اختلف العلماء فيمن تجوز تذكيته على ثلاث أقسام: قسم تجوز تذكيته مطلقاً، وهم أهل الإسلام. وقسم لا تجوز تذكيته مطلقاً، وهم المجوس. وقسم اختلفوا فيهم، وهم أهل الكتاب: فمنهم من أجازها بأن قال إذا لم يكونوا من نصارى بنى تغلب ولا مرتدين وبحوا لأنفسهم وذكروا الله على ذبيحتهم، وإذا لم يعلم أنهم سموا الله أو جهل مقصود ذبيحتهم أو كانت الذبيحة مما حرمت عليهم بالتوراة أو كانت مما حرموها على أنفسهم مثل هذه الذبيحة التي تكون عندهم فاسدة فلا تجوز.

ثم قال الشيخ: ومن المتعارف من مذهبهم الفاسد أن الطريقة لا تؤكل عندهم لأنها صارت بسبب ما عارضها على سننهم الشيطاني جيفة، وأخبارهم يقولون هذه جيفة ولا يشتريها ولا يأكلها إلا الجيفة، وأحق الناس بهذه الجيفة هؤلاء المسلمون، على أنه لو لم يرد فيها حكم المنع لكان الأولى للمؤمن أن يتجنبها احتياطاً لدينه، وفراراً من الوقوع في الشبهات، وقد بلغني عن أثق به أنهم إذا أرادوا بيعها للمسلمين لطخوها ببولهم تلطيحاً كلياً، وهكذا في أشغالهم كلها المخصوصة بالمسلمين والأمر لله.

فقال الشيخ عبد الباسط بعد هذا: فلو رأيت يا مولانا ما ظهر في الوقت مما هو مستغرب الوقوع زيادة على الأسباب التي حل بها السخط والمقت، لرأيت العجب، فقال له عبد الهادي: وما ذلك؟ قال جعل القديد - وهو الخليج بلغتنا المغربية - من لحوم الخيل والبغال والحمير المريضة: بل والميتة حتف أنفها، ولا مراقبة ولا مسئولية، وكون البائعين له طائفة من اليهود لا شغل لهم سوى ذلك، يأتون به يابساً لهذا القطر المراكشي: بل وغيره من الأقطار المغربية فيشتريه منهم أصحاب هذه الحرفة من المسلمين، وهذه النعمة قد ارتفعت الثقة بها اليوم بسبب ما خالطها من هذه الخيانات وارتكاب ما لا يجوز ارتكابه في جميع الحالات، فلتبتهل المسلمون إلى الله سبحانه في رفع هذا الغضب الذي ينزل ببطون عدد منها كل يوم.

حكم أكل الطعام الذي صنعه الكتابي

وسأله أبو زيد عن حكم أكل ما يصنعه الكتابي من الطعام. فقال الشيخ: ذكر العلماء أن ما يصنعه الكتابي من الطعام على ثلاثة أقسام: طعام عمر، وطعام كفر، وطعام مكر، فطعام العمر ما يصنعه لأكلهم، وهذا هو طعامهم، وهو حل لنا بكرامة لأن إمامنا مالكا رضي الله عنه كره للمسلم أكله سواء كانوا أهل ذمة أم أهل حرب. وقال الإمام سحنون لا يؤكل في آيتهم حتى تغسل. وطعام الكفر ما صنعه لكنائسهم وأعيادهم ونحو ذلك من ضلالهم، وهذا ليس من طعامهم، وإنما هو من طعام كفرهم فلا يحل لمسلم أكله لأنه مما أهل به لغير الله، وقصد به تعظيم الكفر برسول الله ﷺ. وطعام المكر ما صنعه لمسلم، وهذا ليس من طعامهم، وإنما هو طعام مكرهم، فلا يحل لمسلم أكله: لا سيما إن كان بلحم لأنهم أهل الغش

والخديعة والعداوة البالغة فكيف تأمنهم على أطعمتنا أو نصدقهم فى أنهم أتموا الذبح وكل ما يلزمنا، ولذلك لا يحل لمسلم أن يوكل كافراً على سمسرة أو بيع أو شراء أو صرف لأن لله فى ذلك حقوقاً أوجب القيام بها، وحقوق الله تعالى لا يؤمن كافر عليها، فكل ما زعموا أنهم ذبحوه لنا فهو جيفة، وكل ما زعموه أنهم صرفوه لنا فهو ربا، ولذلك أمر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن لا يكونوا جزارين ولا صيارفة، وأن يقاموا من أسواقنا كلها. وقال إن الله أغنى المسلمين بالمسلمين فلا تستعملوا الكفار فى شىء من أعمالكم.

فقال عبد الباسط بعد هذا: وقد رأينا اليوم عدداً ممن يدعى الإسلام وليس منه، يوكلهم فى قضاياها كلاً من أخذ وإعطاء وبيع وشراء ظاناً أنه بذلك تنجح مآربه وتصفو مطالبه.

فقال الشيخ عبد الهادى: سبب هذا لغفلة عن المصالح الأخروية، والإعراض عما أمرت به الشريعة المحمدية بل الذى يجب على كل مؤمن أن يستحضر بغض كل كافر لبينا ومولانا محمد ﷺ، ويستحضر عظيم عداوتهم لنا، وطعنهم علينا فى ديننا، وأن كل كافر منهم ولى الشيطان اللعين العدو المبين، قد استحوذ عليه فأخذ بعقله ومجامع قلبه، وقاده من ناصيته حتى لا يتحرك بحركة، ولا يتكلم بكلمة إلا عن رأيه، فيرى كل مؤمن حينئذ بنور إيمانه أن كل يهودى أو نصرانى إنما هو إبليس بعينه فيفر منه بدينه حتى لا يغتاله بقربه من حيث لا يشعر به، وأقرب ذلك أن يتجنب له بشىء من ماله أو أدبه حتى يوقع فى قلبه شيئاً من حبه يستوجب بذلك سحق ربه أو يطعمه من طريفة أو خمراً أو جيفة أو يدخل عليه ربياً فى كسبه. قال سهل بن عبد الله رحمه الله: من صحيح إيمانه، وأخلص توحيده فإنه لا يأنس إلى كافر،

ولا يؤاكله ولا يشار به ولا يصاحبه، ويظهر له من نفسه العداوة والبغضاء، ومن داهن كافر سلبه الله حلاوة السنن ومن تحجب إلى كافر لطلب عز في الدنيا أو غرض منها أذله الله بتلك العزة وأفقره الله بذلك الغنى، ومن ضحك في وجه كافر محبة فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يصدق فليجرب.

ثم قال الشيخ: وأما المعاملة للمبايعة العادية أو المجاورة أو للمرافقة بحيث لا تضر بالدين، فليست بمحرمة بل قد تكون محتسبة في مواضعها.

حكم الأخذ بعادات الكفار

وسأله أبو زيد عن حكم النزهة يوم السبت عملاً بمقتضى ما عليه أصحاب السبت. فقال كل عمل كان مخصوصاً بأعداء الدين لا يجوز ارتكابه إلا لعذر شرعى، ومن ارتكب ذلك أذاه إلى خرق طاقة صعب سدها، وفتن مترادفة عز دواؤها.

ثم قال الشيخ عبد الباسط مخاطباً الشيخ: وهذا الداء الذى سألك عنه أبو زيد من أعظم القوادح لوقتيه التى تظاهرت به عوام هذه الأقطار المغربية، وصاروا يتطالون إليه بالأعناق، ويتشرفون إلى طلعتة بالعيون والأحداق، وهذا داب الطائفة الملعونة وعاداتها، وسببه ارتكاب ما نهى عنه الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أن أهل الذمة لا يجاورون المسلمين، وقد أمر أن يكونوا بمعزل فى موضع معلوم منحازين عن المسلمين بكثير لثلا تقع بينهما موافقة فى شىء ما، وقد انعكست القضية والأمر لله الذى لا تخفى عليه خافية، وها نحن نرى ما عليه أهل الحرف اليوم يتركون شغلهم فى هذا ليوم ويذهبون للنزهة الجامعة لكل بلية وفتنة، اقتداء بالطائفة الملعونة عياداً بالله

مقتدياً في ذلك صغيرهم بكبيرهم، بحيث لو سئلوا عن هذه الداهية التي هم لها عاكفون. قالوا بلسان واحد: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، لا سيما وقد اتخذوا له المجالس الحفلية، واختاروا له القينات الجميلة، واعتكفوا عليه كاعتكاف أهل الضلالة، ودعاهم الجهل إلى ارتكابه والبطالة، وقد شاهدنا أقواماً منهم متعددة مجتمعين مع هذه الطائفة المتمردة في اليوم المذكور، على نهج ما هم عليه من الضلال والثبور، على أنه لا يخفى أن من تشبه بقوم فهو منهم، ومن المقرر أن كل جنس إلى جنسه مألوف.

فقال له أبو زيد، وما هو السبب الموجب لليهود اتخاذ يوم السبت دون غيره من الأيام.

قال عبد الباسط: هو أن إرادة الحق سبحانه اقتضت خلق السموات والأرض في ستة أيام كما قال جل من قائل (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام) خلق الله الأرض في يومين ولو شاء لخلق سبحانه الكل في لمح البصر، ولكنه تعالى علمنا بذلك التأني في الأمور، وأول الخلق الأحد، وآخره الجمعة.

ثم إن إخوان القردة لما رأوا ذلك ظنوا بزعمهم الفاسد، ورأيهم الكاسد أن الحق سبحانه استراح في هذا اليوم الذي هو يوم السبت واستلقى فيه على عرشه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، تركوا العمل فيه لأجل الاستراحة التي سولت لهم أنفسهم الخبيثة فرد الله سبحانه عليهم في قولهم: استراح واستلقى على عرشه يوم السبت بقوله سبحانه (وما منا من لغوب) أب تعب كما تظنون، وإذا كان مبني هذا ما سمعت فكيف يحل لامرئ مسلم يحب الله والرسول الاعتكاف على ما عليه عمل الطائفة الزائغة الملعونة،

والامر لله . اللهم لا إذا كان ذلك لقصد مخالفتهم والرد عليهم ، وتخريب عملهم . وهدم أساس بنيانهم فى ذلك اليوم ، فلا بأس به ، بل هو المطلوب ، وعليه عمل عقلاء الطائفة الجزولية ، ودليلهم قوله ﷺ : " أكثروا من الصلاة على يوم السبت فإن اليهود تكثر من سبى فيه ، فمن صلى على فيه مائة مرة فقد أعتق نفسه من النار ، وحلت له شفاعتى يوم القيامة " . وقال ﷺ : " عليكم بمخالفة الروم يوم الأحد ، قالوا يا رسول الله كيف نخالفهم؟ قال يدخلون كنائسهم ويعبدون أصنامهم ويسبونى ، فمن صلى الصبح يوم الأحد ثم جلس حتى تطلع الشمس ثم صلة ركعتين بما فتح الله عليه ثم يصلى على سبع مرات ثم يستغفر لأبويه ولنفسه وللمؤمنين غفر له ولأبويه ، وإن دعا استجاب الله له ، وإن سأل خيراً أعطاه إياه " خرجهما النبهانى فى كتابه سعادة الدارين ، وكذا فى أفضل الصلوات .

ويحكى عن العارف الشهير الفقيه القاضى أبى الفضل عياض اليعصبى المالكى رحمه الله : أنه كان لا يخرج من بيته يوم السبت ، وذلك لاشتغاله بتأليفه الشفا ، فى حقوق المصطفى ، عملاً بالوارد ، وهذا الفعل محمود ، لكن المتصف به على الحقيقة مفقود ، والنادر لا حكم له ، بل الغالب والمشاهد فى الوقت هو العمل فى ذلك اليوم على اتباع الأهوية والتشبه بسنن اليهودية ، فى الأقوال والأفعال الواهية ، كالتفكه بأكل لحوم الإخوان والجنسى ، وتتبع العورات الوقتية ، وإضاعة الصلوات المرعية الدالة على الخسارة والرؤية ، والاعتكاف على اللعبة المعروفة بالضامة والكرطة اللتين هما أعظم الملامى المزرية ، وأكبر من كل كبيرة دنية ، لما ينشأ عنهما من انفساد والخروج عن الأحوال المرضية ، والغفلة التى هى أعلى وجوه الخسران ومنبع كل فتنة وبلية ،

وتعمير أسواق الهزل والمزاح وغير ذلك من أسباب القواطع المردية، والمضار الدينية والدينيوية، اغترار بالرجاء وطول الأمل والأمنية، وهذا عمل الطائفة اليهودية، وأساس ديدنها بكرة وعشية، والأمر لله الذى لا تخفى عليه خافية، ومصداق هذه البلايا الوقتية، ما خرجة البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبراً، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟ " أى ليس أحد غيرهما.

فقال له أبو زيد بعد هذا: هذا والله ضلال فاحش، وتثبه متفاحش وطريقة محرومة، ومتابعة مذمومة، وفق الله أمير الوقت لقطع هذه المادة الشيطانية والعادة الكفرية.

حكم الإقامة بمحل كثر فيه المنكر مع عدم القدرة

على تغييره

وسأل أبو زيد الشيخ عبد الهادى بقوله: ما جوابكم فى موضع كثر فيه الظلم والأشرار، وانتشر فيه الباطل والمكس كل الانتشار، وذل فيه المسلمون وعز فيه الكفار، وارتفع فيه الجور والظلم، واتضع فيه أهل المعرفة والعلم، وتمكست فيه المبيعات على المسلمين، وأشكل الأمر على المسترشدين، ولم يظهر من فضلائه ناكر لمنكر، فلا أدري خوفاً على أنفسهم أم استهزاء بالأمر. ثم إن إنساناً اضطر إلى أخذ العلم من علماء الموضع المذكور، وخشى على نفسه مما هو قبل مسطور، فهل أعزكم الله يسوغ له المكث فى ذلك الموضع مع عدم قدرته على تغيير المنكر، وهل يسوغ له الشراء من بعض المبيعات الممكنة أن اضطر إلى ذلك، ويكون آمناً من الوقوع فى المهالك، وهل يسوغ

له أخذ العلم من علمائه مع عدم تغييرهم لما ذكر وإقامتهم بالموضع المذكور، ولا يناله توبيخ من المولى سبحانه يوم النشور، أم يجب عليه أن ينتقل من ذلك الموضع لغيره، لأن الرائع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، بينوا الأمر لمن اضطر إليه في خاصة نفسه، واحتاج إليه كل الاحتياج، ولكم الأجر التام والسلام.

فقال له الشيخ عبد الهادي: هذا السؤال تقدم نظيره، وأجاب عنه أبو العباس البيدرى التلمساني بما نصه: الحمد لله وحده، الواجب على المؤمن المحقق الناظر لنفسه نظر مشفق أن يفر بدينه من الفتن، ولا يقيم إلا في موضع تقام فيه السنن، ولا يأخذ من علم دينه ما يحتاج إليه إلا ممن تظهر الخشية والخضوع عليه، ويطلب ذلك في أقطار الأرض ونوحيتها بدليل (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) هذا مع الإمكان وإن تعذر عليه ذلك، واستدت عليه المسالك، ولم يجد موضعاً صالحاً مرضياً، ولا معلماً ناصحاً معدياً، فليقم هناك صابراً لله صبراً جميلاً، ويكون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وليقل كما قالوا إذا لم يجد معيئاً على الدين باطناً ولا ظاهراً (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لذك ولياً واجعل لنا من لذك نصيراً) ويأخذ من العلم ما يضطر إليه من كل متصدر في الوقت فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وقد يتعالج المؤمن المريض بدواء الطبيب الكافر، وقد يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر، ويشتري من المبيعات ما يحتاج إليه لبساً وطعماً، ولكن لا يتغشم في المعيشة غشماً، وليعط الورع حقه، ويستعمل في ذلك اجتهاده ورفقه، ويجتنب شراء الجزء المأخوذ في المكس من غاصبه، ولا

يشتري إلا ما بقى على ملك صاحبه، مع مراعاة قواعد الشريعة المقررة،
ومسائل الفقه المسطرة، والوقوف على حد الضرورة؛ وعدم الاسترسال في
الشهوات المباحات، فضلا عن المحظورات، فإن اقتصر على ضرورياته لم
يخف على دينه اختلالا، إذا لو كانت جيفة لكان قوت المؤمن منا حلالا والله
أعلم.

ثم قال الشيخ بعد هذا: وكان هذا السائل والمسئول من أهل القرن
العاشر، فكيف بزماننا هذا الذي صار كالليل الكافر، أما رؤساؤه فقد جروا
ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا
المخ، ولم يتركوا للناس دنيا ولا دينا، أما الدنيا فقد أخذوها، وأما الدين فقد
فتنوهم عنه، وهذا شيء شهدناه، لا شيء ظنناه.

اللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير، بجاه سيد الأوائل والأواخر،
مولانا محمد ﷺ.

حكم بيع الإماء مع عدم ثبوت رقتها

وسأله عن حكم بيع الإماء من غير مبالاة بثبوت رقتها ولا ببياضها ولا
بسوادها: بل المدار على بيعها في الأسواق سواء كانت مجلوبة من بلاد
السودان، أم القبائل المجاورة لنا، أم من بلدنا، ومهما اشترت إلا وطئت
بغير استبراء.

فقال له الشيخ: إن المساوي التي لا تزال موجودة بوجود الاتجار بالرقيق
تعد فضيحة كبيرة، وكم خربت هذه التجارة البائرة من أقاليم، ولا يزال
النحاسون يباشرون تجارتهم الممقوتة في الذكور والنساء والأطفال ويصطادونهم
كلما وجدوا لذلك سبيلا، وهذا أعظم حادث جدير بأن تتجه الأنظار لقطعه،

لا سيما فى هذه الأزمنة الهائلة التى فشت فيها هذه المدلهمة، وانتشر شرها وكثر ضررها، واتفق على فعلها الرئيس والمرءوس من غير احتشام ولا مبالاة بفعلهم المنحوس، بل مدار ديتهم على المآكل والمشارب وأنواع الملابس، والتجرؤ على المناكح كيفما تيسر لهم جمع الدراهم والفلوس.

ثم قال الشيخ: وهذه الأمة التى ذكرت ليست بأمة، وإنما هى حرة لا يجوز بيعها ولا شراؤها، ولا نكاحها إلا بصدق ووئى على القواعد المقررة فى كتب الفقه. قال عليه الصلاة والسلام: "لعن الله من باع حراً فأكل كل ثمنه"، وأما الأمة الشرعية الآن فليست بموجودة، فمن تجراً على نكاح شىء مما ذكر فإنما ذاك زنى محض، والحد واجب عليه، فإن لم يتمكن منه فى الدنيا يضرب بسياط من نار يوم القيامة، إلا أن يعفو عنه المولى سبحانه، ولا يلحق به الولد ويكون مقطوع النسب لا يرث ولا يورث.

قال عبد الباسط: وهذا يا مولانا الشيخ مما عمت به البلوى، فنرى فى كل سنة، بل وفى كل شهر، بل وفى كل يوم تجلب من بنات الناس وأولادهم القطائع الكثيرة من قبائل شتى، ويبيعهم فى سائر مدن المغرب وبواديها، ولا نرى ناهياً عنها ولا متبهاً فلا تغيير من ولاة الأمور ولا ارعواء على مر الأزمنة والدهور، ولكن صدق من قال:

إذا كان رب الدار للطبل ضارباً فلا تلم الصبيان فى حالة الرقص

حتى صارت هذه المسألة مطعنة فى ديننا من الأجانب، ويقولون ما معنى بيع بعضكم بعضاً واسترقاقه، مع أن الكل من بنى آدم، وهم مثلكم لحمًا ودمًا.

قال أبو زيد: وماذا على الإنسان أن يعمل مع من كان بيده من هؤلاء.

فقال الشيخ عبد الهادى: الواجب على من وقعت بيده أمة أن يحسن إليها ويعاشرها بالمعروف، وتكون عنده بمنزلة اللقيط، وإذا أراد نكاحها فلا ينكحها بملك اليمين، بل يعتقها أولاً اعتباراً بظاهر الحال، ويتزوجها بالصداق، وهذا هو الحق، وخلافه محض فسق ووبال، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

ثم قال الشيخ: وعار على الرجل إذا سمع الحق أن يكون مع ذلك مصراً على إنكاره، جامعاً فى زمام أوهامه، ذا كرا لحجج واهية، ودلائل عنكبوتية، ولكن المكابد للحق، لا يؤثر فيه تقريع الحق.

لقد أسمعت لو ناديت حباً ولكن لا حياة لمن تنادى

واعلم أن المتعاطى لهذه الأسباب على رءوس الأشهاد، خارج عن منهج الرشاد، حاكمة على المرتكب لها بالفسق والتحليل لما جاءت بتحريمه شريعة أفضل رسول هاد صلى الله عليه آله وسلم، ولكن (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

بهم يتوصل الإنسان إلى الكسب الطيب؟

وسأله أبو زيد عن الكسب الطيب بهم يتوصل إليه؟ فقال الشيخ بحفظ خمسة أشياء. أولها أن لا يؤخر شيئاً من فرائض الله تعالى لأجل الكسب ولا يدخل النقص فيها، والثانى أن لا يؤذى أحداً من خلق الله تعالى لأجل الكسب، والثالث أن يقصد بكسبه استعفافاً لنفسه ولعيله ولا يقصد به الجمع والكثرة، والرابع أن لا يجهد نفسه فى الكسب جداً، والخامس أن لا يرى رزقه من الكسب، ويرى الرزق من الله والكسب سبباً.

حكم تعاطى العدالة

وسأله عن تعاطى العدالة. فقال: كل من طلب العدالة فهو قاذح في عدالته لما احتوت عليه من الأمور الفظيعة، ولو لم يكن فيها من القبائح إلا ما أحدثوه من بذل المال فيها، وإن كان ذلك ليس خاصاً بها بل هي وغيرها من المناصب الدينية رجعت إلى بذل المال والاستعانة معه بمن لا يرضى حاله في الشرع الشريف، فكان ذلك سبباً قوياً فى أن يأخذ المناصب من لا يستحقها، ويحرم من يستحقها فى الغالب، فالأمر فى ذلك إلى أشياء فظيعة من أبطال الأنكحة والعقود وغير ذلك من أمور المسلمين، إذ أن الرابط والحل إنما هو بالعدول، لكن أكثر العدول فى هذا الزمان حالهم معلوم فلا حاجة إلى شرحه، ولأجل هذا المعنى كثرت شهادات الزور إذ أنه لو أخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية أهلها لقلت المفسد، بل تعدم بالكلية. واعلم أن ترك العدالة فى هذا الزمان هو العدالة، ألا ترى إلى حالهم إذا كتبوا كتابة يطلبون عليها مالا يستحقون، ويتشاحون فى ذلك، ولسان العلم يمنعه، وكل ما يتعاطونه فى هذا الزمان محرم اتفاقاً، وهو أن يطلب الشاهد مالا يستحقه ويمنع الحجة لأجله حتى يأخذ أكثر من ذلك حتى أدى الأمر إلى أن يترك بعض الناس الأشهاد على حقوقه لأجل الإجحاف به، وخوفاً من أعانتهم على أكل الحرام، وأقبح من هذا أنه إذا طلب من بعضهم أو أكثرهم اليوم أداء الشهادة عند الاضطرار إليها يتناساها كأنه لا يعلمها، حتى إذا أعطى شيئاً تذكرها إذ ذاك من غير ارتياب، سما فى صدقات النساء يفعل جلهم فيها فعلاً قبيحاً، وهو أن يمسك عقد الصداق عنده فإذا طلب منهم يقول حتى أفتش، فلا يزال يماطل حتى إذا اضطرت المرأة إليه بموت زوجها أو طلاقه إياها أو

طلبت حقها المذكور فى صداقها فىطلب منها إذ ذاك ما يختاره وإن كانت ضعيفة الحال .

ثم قال عبد الباسط بعد هذا: وإنى أعرف بحضرتنا هذه عدولا يشهدون الزور، وكل منهم يرتكب ذلك على قدر مخصوص، ومنهم من يشهد بطفيف يهدى إليه . وفيهم يقول شاعر زمانه:

ما للعدول أرانى الله جمعهم فى مرجل مطبق فى جوف تنور
قوم إذا غضبوا كانت سيوفهم قطع الشهادة بين القوم بالزور
شهد عدل عند قاض، فقال المشهود عليه: أتقبل شهادته أيها القاضى،
وإن أحب الأشياء إليه الخبز واللحم، فتوقف فى إمضاء شهادته فقبل له لم
توقفت؟ فقال يعنى أنه يشهد بأكلة .

ثم قال الشيخ عبد الهادى: وبالجملة فأقول لكم كما قالوا: الناس كلهم عدول إلا العدول .

تولية القضاء

ثم قال أبو زيد: ما رأيك فى تولية القضاء، فسكت ولم يبد له جواباً وشرع فى تسبيحه . فقال له عبد الباسط: لم أعهدك يا مولانا إلا ذا لسان تعجز به الفصحاء، وتبهر عقول البلغاء، لم أعهدك يا حبيب القلوب إلا بلبلا صداحاً، تشجعنا صباح مساء، بتلك المقالات التى تأخذ بمجامع القلوب، وترك فى النفوس أثرها اللذيذ، كذلك كنت أعهدك، فما بالك الساعة؟ وكنت إلى الراحة والسكون، وأعرضت عن سؤاله كأنه ارتكب جريمة تصيره فى دائرة الحمق أو الجنون، ولعمر الإنصاف لسؤالاته واجوبتك عنها من

الأعمال التي تذكر، وتستحق أن تذاع وتشر، وتسجل بقلم الثناء، العطر على صفحات الأيام بحروف ذهبية.

فقال الشيخ عبد الهادي: لا شك وأن كلام العلماء هو سبب ارتفاع الجهل وتنوير الأفكار، ولكن لما رأيت جل المتولين في الوقت قائمين على ساق، يتجشمون من أهلها المشاق، ويقدمون على المخاطر التي تفوق مخاطر الحروب الدموية، كل ذلك لنيل البسطة في المالية، وقد لبسوا بذلك الإسلام مقلوبًا، وفهموه معكوسًا، فلماذا لما سألتني عما سأل، وجدت في نفسي كدرًا ما عليه من مزيد، وإن كان ولا بد من الجواب. فاعلم أنه لم يزل السلف الصالح رضوان الله عليهم يهربون منه الهرب الكلى مع صفاء الزمان والمكان، فكيف به اليوم الذي اندرست فيه معالم الدين والعقائد، وعمت فنته القائم والقاعد، وحسبك ما ترى في الشاهد، والله يعصمنا من الزلل في جميع المقاصد، فإن كنت تسأل عن واجبات القضاء فاعلم أن الواجب على من تولى القضاء أن يتأني ويثبت ويجتهد بين عباد الله بما أنزل الله ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله، وفي الحديث "من جعل قاضيًا قد ذبح بغير سكين"، وفي الحديث أيضًا "قاضيان في النار، وقاض في الجنة، قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة، وقاض قضى بالباطل وهو لا يعلم أو يعلم فهما في النار" فليحفظ القاضي أرشده الله غاية التحفظ من المحاباة والمداهنة، ومراعاة خواطر الناس، وليراقب الله تعالى وحده، وليقض بالحق الذي أراه الله فإن التبس عليه أمر فليثبت حتى يتبين له الحق، فإن استبان وإلا فيعدل عن القضاء في تلك الوقعة إلى الصلح الواقع على التراضي والاختيار، من غير إكراه ولا إجبار وليعلم أن أمر القضاء خطر مخوف إلى

الغاية، ولذلك حذر منه الأئمة الأعلام من السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولم يزل أهل الحزم والاحتياط من هل العلم يفرون من تولى القضاء. ويمتنعون منه أشد الامتناع، خوفاً على أنفسهم، واحتياطاً لدينهم، عكس ما عليه أهل هذا الزمان.

وقد ولى قاضى القضاة الشيخ المحقق إسماعيل بن محمد الحضرمى اليمنى وولى بعض أصحابه قضاء زيد ثم إنه دخل عليه فى بعض الأيام، فرأى عنده ثياباً لم يكن يراها عنده قبل أن يوليه القضاء، فقال له: من أين لك هذه؟ فقال له: من بركتك يا أبا الذبيح. فقال له: ذبحنى الله إن لم أعزلك فعزله، وفى تخويف القضاء وتحذيرهم قيل:

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضى الأرض داهن فى القضاء

فويل للأمير وكاتبيه وقاضى الأرض من قاضى السماء

روى الحاكم مرفوعاً وقال صحيح الإسناد "من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم واحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم"، وفى رواية "من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرمى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"، وفى التبصرة لابن فرحون عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال "ما من أميراً واستقضى قاضياً محاباة إلا كان عليه نصف ما اكتسب من الإثم، وإن أمره أو استقضاه نصيحة للمسلمين كان شريكه فيما عمل من طاعة الله تعالى ولم يكن عليه شىء فيما عمل من معصية الله" انتهى، وفى الجامع الصغير أن رسول الله ﷺ قال: "أيماً راع استرعى رعية فلم يحصنها بالأمانة والنصيحة إلا ضاقت عليه رحمة الله التى وسعت كل شىء"، وقيل: بثس الزاد إلى المعاد، التعدى على العباد، ولقد أحسن من قال:

لكل ولاية لابد عـزل و صرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال على الأيام إحسان وعدل
وروى الطبراني " من ولي شيئاً من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى
يوقف على جسر جهنم فإن كان محسناً نجى، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر
فهوى به سبعين خريقاً، وهى سوداء مظلمة"، وروى الإمام أحمد " ما من
رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله به مغلولاً يوم القيامة يداه إلى
عنقه فكه بره أو أوثقه إثمه"، وروى ابن أبي الدنيا وغيره " لا يلى أحد من
أمر المسلمين شيئاً إلا أوقفه الله على جسر جهنم فزلزل به الجسر زلزلة فتاج
أو غير ناج لا يبقى منه عظم إلا فارق صاحبه، فإن هو لم ينج به فى جب
مظلم كالقبر فى جهنم لا يبلغ قعره سبعين خريقاً"، وعن عائشة رضى الله
عنها عن النبي ﷺ أنه قال: "يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة
العذاب ما يود إن لم يكن قضى بين اثنين قط". وقال ابن جعفر فى سلوة
الأنفاس من ترجمة الإمام الفشتالى: وسئل عن خطة القضاء، فأجاب: الذى
يظهر لى أنه صداع فى الرأس، وسم قائل فى الجوف، وسلسلة فى العنق،
وسنارة فى الحلق، وقد علمت أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح. قال
فى كنز العلوم واللغة ما نصه: لا يجوز شرعاً أن يولى القضاء من ليس من
أهل الاجتهاد عند الإمام مالك والشافعى والإمام أحمد اهـ.

قيل لبعضهم كيف تجدك. قال بخير ما أقول شيئاً من أمور المسلمين.
وقال ابن عباس رضى الله عنهما: ما ملك أحد قط إلا شوطر عقله،
وضوعف بلاؤه وحزنه. أخرج الإمام أحمد فى مسنده بسند حسن " من ولي
من أمر المسلمين شيئاً ثم أغلق بابه دون المسكين والمظلوم وذى الحاجة أغلق
الله تبارك وتعالى أبواب رحمته دون حاجته"، ولقد أحسن من قال:

بلاء الناس منذ كانوا إلى أن نهض الساعة
 طلاب الأمر والبهي وحب السمع والطاعة
 كان عبد الملك بن مروان يسمى حمامة المسجد، للزومه المسجد الحرام،
 فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره فوضعه وقال: هذا فراق بيني
 وبينك. وقال إنى كنت أخرج أن أظأ نملة، وإن الحجاج يكتب إلى فى قتل (١)
 فنام الناس فما أحفل بذلك. وقال له الزهرى يوماً بلغنى أنك شربت الطلاء.
 فقال إى والله والدماء، ولقد أحسن من قال:

تَحَكَّمُوا ظَلَمُوا جَارُوا فَمَا عَدَلُوا فَعَن قَرِيب كَأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ
 لَوْ أَنْصَفُوا نَصَفُوا لَكِنْ طَغَوْا فَبَغَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْآفَاتِ وَالْمَحَنُ
 فَأَصْبَحُوا وَلِسَانِ الْحَالِ يَنْشُدُهُمْ هَذَا بِذَلِكَ وَلَا عَتْبَى عَلَى الزَّمَنِ

وقد ورد عن سيدنا على كرم الله وجهه: أنه قال سمعت رسول الله
 ﷺ يقول: "ليس من قاض ولا وال إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين
 يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر صحيفة سيرته فتقرأ على رءوس
 الخلائق، فإن كان عدلاً نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به الجسر
 انتفاضة فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر
 إلى جهنم"، وقال مكحول: لو خيرت بين القضاء وضرب عنقى لاخترت
 ضرب عنقى ولم اختر القضاء، فالقاضى إذا لم يحكم بحق فقد وقع فى
 خطر عظيم. قال الله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
 الظالمون). وقال أيضاً " (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون).

(١) فنام ككتاب: الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه اهـ قاموس.

وقال أو وائل: سمعت عماراً يقول: فى بعض القضاء: كان كافراً. فقلت ما نقول؟ قال إن الله تعالى يقول: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

(غريبة): قيل إذا رأيت الرجل على باب القاضى من غير حاجة فاتهمه. وكتب بعض الملوك إلى عامل له ابعث إلى بمائة رجل كلهم يستحقون القتل لأجرب عليهم سيوفاً ابتعتها فإن لم تجدهم فى حسبك فتمم من أصحاب القاضى فإنهم يستحقون القتل.

شروط الحسبة وفضلها

فقال له أبو زيد، وما رأيك فى الحسبة. قال هى أعظم أسباب صلاح الزمان وفساده، فإذا صلحت صلح الزمان، وإذا فسدت فسد الزمان، ولا تعطى إلا لمن توفرت فيه شروط: منها أن يكون من أبر الناس بالإسلام، ومن أكثرهم علماً به، كبير السن، عالماً، ورعاً، زاهداً، ضابطاً للأمر، يعنى بالمصلحة العامة، قد حبس نفسه لخدمة البشرية والإنسانية بجميع الوجوه التى تراها الأمة إحساناً وخدمة، وهذا نظر السلف الصالح فى هذه الرتبة، وكذا مبلغ غاية الخلف.

فقال عبد الباسط: لو أعربت لك عن أحوال القائمين بها اليوم لعجبت كل العجب، ولتحقق عندك أن الدهر دار دورته حتى انعكست الأمور، وأصبح الحال فى كل شىء على خطأ وخطر، ولكن الله يمهل الظالم حتى يأخذه.

وهذا أحد الأسباب التى تقلقنا بهذا القطر المراكشى: بل وكذا غيره من أقطار المغرب، وهذه إحدى الوظائف الدينية التى فقدت من هذه الحضرة المراكشية منذ أزمان، وخصوصاً زماننا هذا والأمر كله لله.

فقال له الشيخ عبد الهادي: وإن لم تعرب لنا عن أحوالهم فالحرركات
الوقتية تعرب عن أحوالهم لأنها لا تستقيم إلا باستقامة الحسبة. ولا تعوج إلا
باعوجاجها، وما دام الغش والتدليس في جميع الحرف المتداولة في الوقت
شرقاً وغرباً دل ذلك على أن الحسبة تطوقها من ليس من أهلها. وصار
يتخللها من كان لا يطمع في لمس مروطها، وبذلك أدى الحال إلى تعطيل
شروطها، وقد وجدنا في الصناعات والحرف والتجارات من حيث هي،
والبيوعات والعطارات والصياغات والمصارفات من صور الغش والتدليس
والخيانة والمكر والتحيل بالحيل الكاذبة ما تنفر عنه الطباع، وتمججه الأسماع وقد
كشفنا الغطاء عن هذا في كتابنا: "الكشف والتباين عن حال أهل الزمان"
وسبب هذا كله خيانة المحتسب في حسبه التي هي أحد الأركان الدينية، وبها
فساد الزمان وصلاحه كما قدمنا، ولو اعتبرت غاية الاعتبار، بأن كان أهلها
من ذوى الكفاءة والافتدار، لما حصل هذا الخلل المؤدى إلى السخط في السر
والجهار.

حكم البسمة جهراً في الصلاة الفرضية

ثم أن أبا زيد عبد الرحمن التفت إلى الشيخ عبد الهادي. وقال له يا
سيدي بقى لنا عليك سوالات. قال قل. قال ما حكم البسمة جهراً أول
الفاتحة في الصلاة الفرضية؟ قال حكمها الكراهة مطلقاً في مذهب الإمام
مالك رضى الله عنه، وحجته في ذلك ما رواه البخارى في صحيحه عن أنس
رضى الله عنه أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما "كانوا يفتتحون
الصلاة بالحمد لله رب العالمين"، وكذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن
أنس بن مالك أيضاً "قال صليت مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان

رضى الله عنهم فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وفيه عن قتادة أنه كتب إليه يخبره عن أنس بن مالك أنه حدثه " قال صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول قراءة ولا فى آخرها " ومعلوم حال سيدنا أنس رضى الله عنه وشدة حرصه على اتباع رسول الله ﷺ وملازمته له سنين عديدة حضراً وسفراً، وكيف يخفى عليه حاله حتى يقال يحتمل أنهم كانوا يسرونها.

ثم قال الشيخ بعد هذا: فانظر لحال غالب أهل العصر من إضرابهم عن المذهل المالكي التي أجمعت الأمة المحمدية على أن مالكا هو القدوة فى الحديث ومذهبه أسد المذاهب وأولاها بالاتباع، وهو أعرف الناس بالمعمول به من الحديث والمتروك وسيرة الرجال، وأيضاً فالمرؤى عن الخلفاء الأربعة، وجماعة من الصحابة هو ترك البسمة فى صلاة الفريضة مطلقاً على أننا على يقين من أنه وردت أحاديث صحيحة فى ذكر بسم الله الرحمن الرحيم أول قراءة الفاتحة، ولكن أحاديث الترك أصح من أحاديث الإثبات، فلهذا عدل الإمام رضى الله عنه إلى ما هو أصح، ويكفى فى مذهبه أن عدداً من أفراد هذه الأمة تمذهب بمذهبه بعد ما كان مقلداً غيره احياطاً لدينه، منهم حجة الإسلام الإمام الغزالي رضى الله عنه وغيره.

ثم قال وغر هؤلاء المدنية العصرية حتى قالوا: بل نأخذ علمنا من الحديث والقرآن مباشرة على جهلهم بالمعقول والمنقول، وتالله أن الرجل منهم ليجهل أحكام وضوئه وغسله، فالأمر لله وحده.

ما نقل ذلك عن الأئمة الذين هم أمراء العلم بل كانوا مقلدين لسلفهم

فيما أخذوه، مسلمين لهم فيما نقلوه، وما سمعنا أن أحداً منهم عارض أو راجع فيما نقل عنهم، وهؤلاء القوم خبثت طواياهم، وساءت سرائرهم، واتخذوا الشيطان ولياً دون الله ورسوله وصالحى المؤمنين (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً ميئاناً)، وفى الحديث الشريف "عليكم بالسواد الأعظم فإن الله مع الجماعة". وقال ﷺ "يد الله مع الجماعة" وقال ﷺ "من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد"، وهؤلاء لا يفرقون بين الحق والباطل مع دعواهم العلم والتحقيق وليس لهم فيه سهم ولا طريق، بل هم والله من أخط من جهلوا دين الله.

فعلى العاقل أن يهرب منهم بدينه، فإنهم هم المصلون الذين يتخيلون لمن يجهل الأمر أنهم على شىء وليسوا على شىء.

حكم قبض اليد فى الصلاة وإرسالهما

وسأله عن قبض اليدين فى صلاة الفريضة. فقال له الشيخ، ومن إمامك من هؤلاء الأربعة. فقال أبو زيد: مالكى المذهب. فقال الشيخ: إن كنت مالكى المذهب فالسدل هو المعمول به فى مذهبه، وعليه مضى عمل أهل المدينة المقدم على ما فى الصحيح من لدن توفى ﷺ إلى هذا الحين، ولا ريب أن المدينة المشرفة هى ينبوع العلم، ومنها تفرقت مشاربه، ولا يمكن جهل الصحابة الذين توفى رسول الله ﷺ بين أظهرهم بآخر فعله عليه الصلاة والسلام، ولا يجوز لنا أن نظن مخالفتهم لفعله، وكذلك الذين أدركوا الصحابة من التابعين إلى الإمام مالك الذى أخذ بعلمهم، وعليه أدرك الناس من أهل بلده إذا لم يزل يتداول الناس فعله ﷺ جيلاً بعداً جيلاً إلى أن

كان جيل الإمام الذى أخذ به، ولو كان القبض معمولاً به عند أهل المدينة وكان هو آخر فعل النبى ﷺ لتبعهم الإمام رضى الله عنه على القبض، وأيضاً لا يمكننا أن نقول: أن أحاديث القبض لم تبلغه لأنه رواه فى موطنه، وعنه رواه أهل الصحيح، وما ترك العمل به إلا لأن السدل عنده أقوى، وهو المجتهد على الإطلاق فلا يمكننا الرد عليه، ولا يأخذ من الحديث اجتهاد الوجود القول بالمنع فى القبض، ولا يلزم من القول بالمنع فى القبض القول بالوجوب فى السدل كما هو مقرر فى محله، فلم يبق إلا التقليد الصرف، كيف والإمام رضى الله عنه هو القائل: لا أعرف القبض، أى جريان عمل الصحابة والتابعين عليه، وما كرهه على ما رواه ابن القاسم عنه إلا لأنه منسوخ بالسدل الذى هو آخر فعل النبى ﷺ وآله وسلم.

فعند هذا قال الشيخ عبد الصمد المصرى، وكان حاضراً فى هذه الجلسة: كسف يكون حديث القبض منسوخاً بالسدل، والقبض أخذ به الأئمة أهل المذاهب المتبوعة ما عدا الإمام مالكاً رضى الله عنه، ورواه أصحاب الكتب الستة وغيرها: بل رواه عن النبى ﷺ نحو ثمانية عشر صحابياً.

فقال الشيخ عبد الهادى: أما قولك فقد رواه أصحاب الكتب الستة وغيرها، فهذه الروايات مع كثرتها لم يوجد فيها حديث صحيح سالم من الطعن. فقال عبد الصمد: حتى روايتى البخارى ومسلم له، قال نعم:

فقال عبد الصمد: أظهر لنا رأيك فى هذا، فقال الشيخ عبد الهادى رضى الله عنه: اعلم أنه روى الشيخان فيه حديثين ولا يوجد لهما ثالث، وكل واحد منهما روى حديثاً غير الآخر، وما هذا إلا لكون كل واحد منهما اطلع على علة حديث الآخر، لكن البخارى اطلع على علة حديثه الذى

خرج أيضاً كما يأتى إيضاحه لكم، وأما مسلم فلم يذكر علة لحديثه، ولعله اغتفرها لكونه لم يحد في الباب حديثاً أصح عنده منه، أو لم يطلع عليها.

وها أنا أبدأ بالكلام على الذى أخرجه مسلم. لكونه أقل من الكلام على حديث البخارى. فأقول حديث مسلم أخرجه عن وائل ابن حجر، ولفظه: حدثنى زهير بن حرب حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا محمد بن جحادة حدثنى عبد الجبار بن وائل عن ملقمة بن وائل ومولى لهم أنهما حدثاه عن أبيه وائل بن حجر أنه رأى النبى ﷺ "رفع يديه حين دخل فى الصلاة كبر، وصف همام حيال أذنيه ثم التحف بشوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى، فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع، فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه فلما سجد سجد بين كفيه" اهـ لفظه، وهذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه. اثنان من جهة السند، وواحد من جهة المتن، فالأول من الحاصلين من جهة الإسناد هو الانقطاع، وإيضاح ذلك هو أن هذا الحديث رواه عبد الجبار بن وائل عن أخيه علقمة ومولى لهم، والمعتبر رواية علقمة، وأما المولى فهو مجهول لا عبرة به، وعلقمة بن وائل قال النووى فى تهذيب الأسماء. قال يحيى بن معين رواية علقمة بن وائل وأخيه عبد الجبار عن أبيهما مرسلتان لأنهما لم يدركاه، وكذا فى تهذيب التهذيب، وقد صرح أبو داود فى سننه بأن عبد الجبار لم يدرك أباه، ونصه فى باب رفع اليدين: حدثنى محمد بن جحادة حدثنى عبد الجبار بن وائل بن حجر، قال كنت غلاماً لا أعقل صلاة أبى الخ، ثم حدث عنه أو داود بعد ذلك عن أبيه كما يأتى قريباً * قلت قد قال المازرى فى شرح مسلم: أن مسلماً روى فى الصحيح أربعة عشر حديثاً منقطعة فلعل هذا الحديث منها فما

قيل به فيه من الانقطاع أقل أحواله نفى الصحة عنه، الوجه الثاني الاضطراب
 الواقع في سنده، وذلك أن الحديث عند مسلم رواه عبد الجبار عن أخيه
 علقمة ومولى لهم عن أبيه كما رأيت، ورواه أبو داود في باب رفع اليدين
 عن عبد الجبار بن وائل. قال كنت غلاماً لا أعقل صلاة أبي فحدثني وائل بن
 علقمة عن أبي وائل بن حجر. قال صليت مع رسول الله ﷺ الخ، وهذا
 مخالف لما مر عن مسلم. ووائل بن علقمة قال الذهبي في الميزان: لا يعرف،
 ثم رواه بعد ذلك عن عبد الجبار عن أبيه أنه أبصر النبي ﷺ يرفع يديه مع
 الكبيرة، فانظر هذا مع ما مر قريباً من قول عبد الجبار كنت غلاماً لا أعقل
 صلاة أبي، وهنا حدث عن أبيه بدون واسطة: ثم رواه بعد ذلك عن عبد
 الجبار. قال حدثني أهل بيتي عن أبي أنه حدثهم الخ، ثم رواه بعد ذلك عن
 عاصم ابن كليب عن أبيه وائل بن حجر، قال قلت: لأنظرون إلى صلاة
 رسول الله ﷺ كيف يصلى الخ، وعاصم بن كليب هذا كان مرجئاً ووثقه
 ابن معين. وقال ابن المديني لا يحتج بما انفرد به اهـ، هذا ما فيه من
 الاضطراب، وهو اضطراب شديد موجب للضعف الشديد كما هو مسطر في
 كتب أصول الحديث. الوجود الثالث الذي في المتن هو أن هذا الحديث روى
 عن وائل بن حجر بالروايات المتقدمة من غير الزيادة الآتية، ورواه أبو داود
 عن عاصم بن كليب الذي مرت الرواية عنه، وفيها "ثم أخذ شماله بيمينه".
 وقال في هذه الرواية الأخيرة "ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى".
 وقال فيه: "ثم جثت بعد ذلك في زمان فيه برد شديد فرأيت الناس عليهم
 جل الثياب تحرك أيديهم تحت الثياب" اهـ.

ففي رواية عاصم الأولى لم يذكر "ثم جثت بعد ذلك في زمان فيه برد

شديد الخ" ولم يذكرها غيره ممن روى هذا الحديث عن وائل بن حجر، وذكرها عاصم بن كليب في هذه الرواية، وهذه الزيادة إما أن تكون مقبولة أو غير مقبولة، فإن كانت مقبولة كانت دالة واضحة على نسخ ما رواه في المرة الأولى من القبض، لأن قوله: تحرك أيديهم تحت الثياب ظاهري في الإرسال لأن تحرك الأيدي حالة القبض غير ممكن بدون حركة الجسم جميعاً كما هو ظاهر بالمشاهدة والتجربة لمن شك في ذلك، وما هي دالة عليه من النسخ للقبض هو الذي نقول به نحن معاصر المالكية غير من شذ منا، وقال بالقبض كما يأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وقوله: ثم جئت بعد ذلك متصلاً بقوله: ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى صريح في أن ما رآه في المرة الثانية مخالف لما رآه في المرة الأولى، وإلا لما احتاج إلى ذكر ذلك، وإن كانت غير مقبولة لكونها مخالفة لما رواه الأكثر عن وائل بن حجر كانت موجبة لاضطراب حديث عاصم بن كليب عنه اهـ والله تعالى الموفق للصواب، فهذه هي أوجه الأعلال الثلاثة الحاصلة في حديث مسلم.

وأما حديث البخاري: فقد أخرجه من رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي، ولفظه: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد. قال كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة. قال أبو حازم لا أعلمه إلا ينمى ذلك إلى النبي ﷺ. قال إسماعيل ينمى ذلك ولم يقل ينمى اهـ، وحديث البخاري هذا معلول من وجهين: أحدهما أجيب عنه بجواب مخدوش فيه، والثاني لم يجب عنه. الوجه الأول قال الداني في أطراف الموطأ: هذا الحديث معلول لأنه ظن من أبي حازم. وأجاب عنه ابن حجر بأن أبا حازم لو لم يقل لا أعلمه الخ

لكان فى حكم المرفوع لأن قول الصحابى كنا نؤمر بكذا يصرف بظاهره إلى من له الأمر وهو النبى ﷺ لأن الصحابى فى مقام تعريف الشرع فيحمل على من بدر عنه الشرع، ومثله قول عائشة "كنا نؤمر بقضاء الصوم" فإنه محمول على أن الأمر بذلك النبى ﷺ، وأطلق البيهقى أنه لا خلاف فى ذلك بين أهل العلم، ورد بأنه لو كان مرفوعاً ما احتاج أبو حازم إلى قوله لا أعلمه، والجواب أنه أراد الانتقال إلى التصريح، فالأول لا يقال له مرفوع، وإنما يقال له حكم الرفع، هذا ما قاله ابن حجر فى فتح البارى، ولا يخفاك أنه شافعى، ومذهبه القبض، والعالم ينتصر لمذهبه طبيعة، وفيما قاله اعتراض من وجهين: الأول هو أن قوله أن قول الصحابى كنا نؤمر بكذا فى حكم المرفوع غير متفق عليه يأتى قريباً إن شاء الله تعالى، فيمكن أن يكون الدانى اعتمد شطر الخلاف الآخر فلا يرد عليه بشطر الخلاف الذى لم يعتمده، وقول البيهقى أنه لا خلاف فى ذلك بين أهل العلم رده ابن حجر بما مر، وهو كقول ابن عبد البر: إن قول الصحابى من السنة كذا له حكم الرفع اتفاقاً، وما قاله مردود بوجود الخلاف منصوصاً فى المسألتين. فقد قال ابن حجر بنفسه فى نخبة الفكر، بعد نقل حكاية ابن عبد البر للاتفاق ما نصه: وفى نقل الاتفاق نظر، فعن الشافعى فى أصل المسألة قولان، وذهب إلى أنه غير مرفوع أبو بكر الصيرفى من الشافعية، وأبو بكر الرازى من الحنفية، وابن حزم من الظاهرية. ثم قال: ومما هو فى حكم المرفوع قول الصحابى: أمرنا بكذا، أو نهينا عن كذا، فالخلاف فى الذى قبله. قال شارحه المناوى: والتصحيح فيه كالتصحيح فى الذى قبله. قال لأن ذلك ينصرف بظاهره إلى من له الأمر والنهى، وهو النبى ﷺ. وتمسك المخالفون باحتمال أن يكون المراد غيره كأمر القرآن أو الإجماع أو بعض الخلفاء أو الولاة أو الاستنباط،

ولذا قال على القارى الحنفى فى شرح موطأ محمد فى قول سهل " كان الناس يؤمرون " الخ ما نصه، يعنى يأمرهم الخلفاء الأربعة أو الأمراء أو النبى ﷺ، يعنى أنه يحتمل لذلك، وقد نص أبو عمر بن عبد البر فى التقصى على أن هذا الأثر موقوف على سهل ليس إلا، ويدل لما قاله المخالفون ما أخرجه ابن أبى شيبة كما فى تدريب الراوى عن حنظلة السدوسى. قال سمعت أنس بن مالك يقول كان يؤمر بالسوط فتقطع ثمرته ثم يدق بين حجرين ثم يضرب به. فقلت فى زمن من كان هذا؟ قال فى زمن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) اهـ. فهذا دلالة صريحة على الاحتمال الذى ذكره المخالفون، فبان من هذا أن المسألة خلافية وإن كان الصحيح فيها أن له حكم الرفع فالحديث المرى بذلك لم يقطع بنسبته للنبي ﷺ، ولذلك لم يقطع أبو حازم التابعى بنسبته إلى النبي ﷺ، وهذا القدر كاف فى ثبوت إعلاله. الوجه الثانى من وجهى الرد على جواب ابن حجر هو أن قوله: أن أبا حازم أراد الانتقال إلى التصريح فيه أن ما قاله ليس فيه تصريح لأن أبا حازم لم يقطع بأن الصحابى نعى ذلك للنبي ﷺ وإنما أتى بكلمة غير مفيدة للقطع إذ لو كان جازماً قاصداً التصريح لقال بدل هذه العبارة نعى ذلك للنبي ﷺ فبقى كلامه على ما قاله الدانى سابقاً من أنه ظن منه، الوجه الثانى الذى لم يجب عنه من وجهى الإعلال هو أن قول البخارى السابق وقال إسماعيل ينمى ذلك ولم يقل ينمى ذلك قصد به تبين أن رواية إسماعيل بن أبى أويس للحديث عن شيخه وخاله وابن عمه الإمام مالك رحمه الله تعالى مفيدة لكون الحديث مرسلًا لا متصلًا. قال فى الفتح قول إسماعيل ينمى ذلك هو بضم أوله وفتح الميم بلفظ المجهول، والثانى وهو المنفى رواية القعنبنى وهى بفتح أوله وسكون النون وكسر الميم، فعلى رواية إسماعيل الهاء فى لا أعمله ضمير الشأن

فيكون مرسلًا لأن أبا حازم لم يعين من نماء له، وعلى رواية القعنبى الضمير لسهل شيخه فهو متصل. قال وقدوافق إسماعيل بن أبي أويس على هذه الرواية عن مالك سويد بن سعيد فيما أخرجه الدارقطنى فى الغرائب ا هـ. فهذا تصريح من ابن حجر الذى مذهبه القبض بأن إحدى روايتى الحديث مرسله، وهذا كاف فى إعلاله، فإن الدليل إذا تطرقه الاحتمال سقط به الاستدلال، وإذا قيل أن رواية القعنبى مقدمة على رواية إسماعيل لكونه أوثق منه، فالجواب هو أن رواية إسماعيل اعتضدت برواية سويد بن سعيد، وعلى كل حال احتمال الإرسال لا يزيله تقديم رواية القعنبى على رواية إسماعيل. قلت وبما ظهر لك من اطلاع البخارى على إعلال الحديث الذى لم يرو حديثًا فى القبض سواء تعلم أنه لو اطلع على حديث صحيح فى القبض سالم من الإعلال الذى ذكره فى الحديث المروى من طريق الإمام مالك لأورده واقتصر عليه، وترك حديث مالك الذى صرح فيه بالإعلال، وحيث أنه لم يرو غير حديث مالك مع تبخره وشدة اطلاعه على الحديث علم أنه لم يجد حديثًا أقوى عنده منه، وهذا دل دليل على ما قدمناه من أن القبض لم يوجد فيه حديث صريح سالم من الطعن والله الموفق للصواب.

الكلام على حديث: إذا لم تستح فاصنع ما شئت

ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة، وتعجيل الفطر

وتأخير السحور

فقال له الشيخ عبد الصمد: وما قولك فيما رواه مالك فى موطنه عن عبد الكريم بن أبى المخارق البصرى: أنه قال "من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" ووضع اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة يضع

اليمنى على اليسرى، وتعجيل الفطر وتأخير السهور؟ فقال الحديث الأول مرسل، والمرسل وإن كان معمولاً به عند مالك لكنه بشرط أن يكون المرسل ثقة، والمرسل هنا متروك منكر الحديث لأنه عبد الكريم ابن أبي المخارق، وقد قال النسائي لم يرو مالك عن ضعيف إلا عبد الكريم فإنه منكر الحديث، وكذا قال ابن معين. وقال ابن عبد البر معتزلاً عن مالك في روايته عنه غير مالكا منه سمته، ولم يكن من أهل بلده فيعرفه، كما غير الشافعي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى حذفه ونباهته، وهو أيضاً مجمع على ضعفه. وقال غير ابن عبد البر قال مالك غرني عبد الكريم بكثرة بكائه في المسجد. ثم قال له: وما تقول في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبيهقي والدارقطني من رواية ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي عن علي (رضي الله عنه) قال "من السنة في الصلاة وضع الأكف على الأكف تحت السرة". قال: قال النووي في شرح مسلم عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي ضعيف باتفاق. قال: وما تقول في الحديث الذي أخرجه أبو داود والدارقطني من رواية عبد الرحمن بن اسحاق عن أبي هريرة أنه قال: "أخذ الكف على الكف في الصلاة تحت السرة". قال هذا فيه عبد الرحمن بن اسحاق وقد مر الآن أنه ضعيف باتفاق، وقد قال أبو داود بنفسه سمعت أحمد بن حنبل يضعف عبد الرحمن بن اسحاق، وهذا كاف في تضعيفه.

فقال له وما تقول في الحديث الذي أخرجه البيهقي عن ابن عباس وابن عمر بلفظ: "إنا معاشر الأنبياء أمرنا بثلاث: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، وأخذ اليمين على الشمال" قال: قال البيهقي تفرد به عبد الحميد وإنما يعرف بطلحة بن عمر عن عطاء عن ابن عباس، وطلحة هو ابن عمر بن

عثمان بن علي الحضرمي المكي . قال في تهذيب التهذيب: قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه . وقال أحمد بن حنبل لا شيء ، متروك الحديث . وقال ابن معين ليس بشيء .

وقد قال الشوكاني أيضاً في "نيل الأوطار" أن حديث ابن عباس هذا ضعيف ، وما ذكرناه في ضعفه أو نكارته .

فقال له : وما تقول في الحديث الآخر الذي أخرجه البيهقي أيضاً عن ابن عباس في قوله تعالى (فصل لربك وانحر) فقد رواه روح بن المسيب عن عمرو بن مالك النكري عن ابن الجوزاء عن ابن عباس . قال "وضع اليمين على الشمال في الصلاة" .

قال الشيخ عبد الهادي : وروح بن المسيب الراوي للحديث قال فيه ابن عدى يروى أحاديث غير محفوظة . وقال ابن حبان يروى الموضوعات لا تحل الرواية عنه ، وعمر بن مالك النكري قال فيه ابن عدى : منكر الحديث عن الثقات يسرق الحديث ، وضعفه أبو يعلى الموصلي ، فإن لك غاية ضعف هذا الحديث أو نكره لنكارة راويه .

فقال عبد الصمد : وما نقول في الحديث الذي أخرجه البيهقي أيضاً من رواية يحيى بن أبي طالب عن ابن الزبير . قال أمرني عطاء أن أسأل سعيد ابن جبير : أين تكون اليدين في الصلاة : فوق السرة ، أو أسفل السرة ؟ فسألته . فقال : فوق السرة . ثم قال البيهقي : أصح أثر روى في هذا الباب أثر ابن جبير هـ .

قال عبد الهادي : تعقبه مؤلف الجوهر النقي ، في الرد على البيهقي ، وقال كيف يكون هذا أصح شيء في الباب ، وفي سنده يحيى بن أبي طالب

وقد قال فيه موسى بن هارون أشهد على يحيى بن أبي طالب أنه يكذب فى كلامه، ولم يعن بالحديث. وقال أبو أحمد: محمد بن اسحاق ليس بالمتين، وقال أبو عبيد الآجرى خط أبو داود سليمان بن الأشعث على حديث يحيى بن أبي طالب. قلت بما ذكره البيهقى هنا من كون هذا الأثر هو أصح أثر فى الباب، والأثر قد بينا لك ما فيه من الضعف يظهر لك أن الباب ليس فيه حديث صحيح لأن البيهقى من القائلين بالقبض المنتصرين له جامعاً فيه أحاديث كثيرة، فإذا اعترف هو مع تبخره فى الحديث وانتصاره للقبض بأن أثر التابعى لم يروه عن صاحبه، وفيه من الضعف ما فيه هو أصح ما فى الباب علم بديهية أن الباب فيه حديث صحيح، والله الموفق للصواب.

وقد علمت مما مر أن الأحاديث المذكورة لم يسلم منا واحد من الطعن الموجب لضعفه حتى حديثنا الصحيحين.

فقال عبد الصمد: إن الأحاديث الضعيفة ترتقى إلى درجة الحسن أو الصحة فيجب العمل بها.

فقال عبد الهادى: هذا محله ما لم يعارض المجموع الضعيف ما هو أقوى منه كالصحيح لذاته والحسن لذاته. وهذه الأحاديث الضعيفة قد عارضها ما هو أقوى منها من الأحاديث وعمل أهل المدينة كما سترى إن شاء الله تعالى، مع أنا معاشر المالكية ل نقول: إن القبض لم يثبت عن النبى ﷺ: بل نعرف بأنه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام لكثرة رواته عنه ﷺ وإن كان ضعيفة، ولكننا نقول أنه منسوح بالإرسال كما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

فقال له عبد الصمد: اذكر لى أدلة القائلين بالإرسال. فقال أدلتهم فيه

أمران: الأول الأحاديث الدالة عليه، والثاني عمل أهل المدينة أما الأحاديث الدالة عليه فأبدأ بحديث أبي حميد الساعدي لصحته الصحة التامة، ودلالته على الإرسال دلالة صريحة، وقد قال في فتح الباري: إنه أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد وابن خزيمة، وأسوق هنا رواية أبي داود لما فيها من الزيادة الدالة على الإرسال صريحاً، ولفظه حدثنا أحمد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ح وحدثنا مسدد حدثنا يحيى، وهذا حديث أحمد. أنبأنا عبد الحميد يعني ابن جعفر أخبرني محمد بن عمرو بن عطاء. قال سمعت أبا حميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أو قتادة. قال أبو حميد: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ قالوا فلم؟ فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبة قال بلى؟ قالوا فاعرض. قال "كان لرسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً ثم يقرأ ثم يكبر فيرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصب رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه فيقول سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه معتدلاً رأسه ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجله إذا سجد ويسجد ثم يقول: الله أكبر ويرفع ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها حتى يرجع كل عظم إلى موضعه ثم يصنع في الأخرى مثل ذلك ثم إذا قام من الركعتين ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة. ثم يصنع ذلك في بقية صلاته حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخرج رجله اليسرى وقعد متوركاً على شقه الأيسر". قالوا صدقت هكذا كان يصلي ﷺ اهـ.

فانظر هذا الحديث الذى رجاله رجال الصحيحين إلا عبد الحميد بن جعفر أخرج له مسلم دون البخارى تكلم فيه بالقدر . وقال ابن المدينى كان يقول بالقدر ، وكان عندنا ثقة . وقال ابن معين ثقة ، وقد نقم عليه الثورى حروجه مع محمد بن عبد الله ، وقد قال النسائى وأحمد لا بأس به ، وهؤلاء الثقات الموثقون له يرد توثيقهم تضعيف سفيان الثورى له بسبب خروجه مع محمد بن عبد الله ، فحجته فى الخروج لم يطلع عليها سفيان ، ولا يقدر ذلك فى توثيقه مع أنه لم يتفرد برواية الحديث عن محمد بن عمرو بن عطاء ، فقد أخرجه البخارى فى صحيحه عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن محمد بن عمرو بن عطاء ، وكذا أخرجه أبو داود من طريق أخرى عن محمد بن عمرو بن حلحلة ، وهذا كاف فى ثبوت روايته .

فإذا علمت صحة الحديث سنداً ومنا الصحة التامة فأوضح لك موضع الدلالة منه والاستدلال به على الإرسال ، وهو قوله إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبىه ثم يكبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلاً . قال فى الفتح ، وفى رواية هشيم عن عبد الحميد ثم يمكث قائماً حتى يقع كل عظم موقعه ثم يقرأ الخ .

فغير خاف على عامى فضلا عن عالم ، أن معنى يقر ويقع فى الروائيتين يثبت ويستقر فى محله . ولا شك أن محل اليدين من الإنسان جنباه ، وذاك هو الإرسال بعينه لا ينازع فى ذلك إلا مجنون أو مكابر فى المحسوس إذا لا يمكن أن يقول عاقل أن وضع اليدين على الصدر أو تحت السرة وضع لهما فى محلها لأنه إنكار للمحسوس ، فالروائتان صريحتان فى الإرسال لا يمكن تأويلهما ، ولأجل هذا لم يذكر راوى الحديث القبض اكتفاء عما عبر به عن

الإرسال مع أنه معرض في وصفه لكل مستحب من مستحبات الصلاة مستوعباً لها لم يترك منها واحداً.

فقال عبد الصمد: إن الحديث المذكور دل على الإرسال أولاً ولكن يمكن أن يكون بعد الإرسال يقبض.

فقال عبد الهادي: إن هذا الجمال في محل البيان والتفصيل يحتاج إلى وحى يسفر عنه، ولم يقل أحد من أهل المذاهب الأربعة بالإرسال أولاً حتى يقر كل عضو محله ثم يقبض بعد ذلك، ولو كان كما قلت كان هو أولى شيء بالبيان لما فيه من الغرابة، فبينه الصحابي المتعرض لبيان وصف صلاته ﷺ وكشف حقيقتها لأصحابه، ولو كان الصحابي تاركاً له لينوه له، وقالوا له أخطأت، تركت كذا، ولم يقرؤا له بأنه هو أعلمهم بصلاته ﷺ، وقد نص العلماء على أن السكون في معرض البيان يفيد الحصر، والعشرة الذين مع أبي حميد راوى الحديث المقرون له بأنه هو أعلمهم بصلاة رسول الله ﷺ منهم أبو العباس سهل بن سعد الذي روى عنه مالك في الموطأ حديث القبض السابق، ومنهم أبو هريرة كما عند أبي داود، ومنهم أبو أسيد الساعدي ومحمد بن مسلمة كما عند الإمام أحمد، وأبو قتادة كما عند الترمذي وأبي داود. قال في النسخ ولم أقف على تسمية الباقيين هـ، فكون الصحابي الراوى لحديث القبض الذي هو سهل بن سعد حاضراً في الجماعة المقرين لأبي حامد مقراً له معهم بأنه هو أعلمهم بصلاة رسول الله ﷺ دليل واضح على نسخ حديث القبض لأنه لو لم ينسخه ما صدق أبا حميد ورد عليه تركه له، وما صدقه أبو هريرة الجامع لحديث النبي ﷺ الشاهد له عمر وغيره من أكابر الصحابة على أنه هو أعلمهم بحديث النبي ﷺ فما وقع لمالك في ترك

العمل به مع روايته له لظهور نسخة عنده وقع للصحابي له هو عنه، ويأتي مزيد لتقرير النسخ في آخر الآثار الواردة فيه، وفي بحث عمل أهل المدينة. هذا إذا رجعنا إلى النسخ كما هو الحق، وإذا رجعنا إلى الترجيح وسلمنا جدلياً أن حديث القبض لا علة له فحديث انفقت عليه عشرة من الصحابة زيادة على راويه أو براويه كما في الفتح دفعة في وقت واحد في مجلس واحد لا شك أنه أرجح من حديث روى عن آحاد من الصحابة متفرقين لم يعلم ما طرأ لكل واحد منهم بعد الرواية عنه فهل وقعت هذه الموافقة على هذا الشكل في حديث القبض، وأهل الحديث يعجبهم كون الصحابي الراوى للحديث متأخر الإسلام ليكون حديثه آمناً من النسخ، وهؤلاء نفر فيهم أبو هريرة وهو متأخر الإسلام ما قدم إلا في غزوة خيبر* ومن الأحاديث الدالة على الإرسال كل حديث وصفت فيه صلاة النبي ﷺ وتعرض فيه لذكر المستحبات، ولم يذكر فيها القبض لأن الإرسال هو الأصل كما لا يخفى، والقبض وصف زائد، فإذا لم يذكر بقى الحال على الأصل الذي هو الإرسال، ولأن السكوت عن الوصف في معرض البيان مؤذن بالحصر كما مر، ولذا قال حفيد بان رشيد في [بداية المجتهد] اختلف العلماء في وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة فكره مالك ذلك في الفرض وأجازه في النفل، ورأى قوم أن هذا الفعل من سنن الصلاة وهم الجمهور، والسبب في اختلافهم أنه قد جاءت آثار ثابتة نقلت فيها صفة صلاته ﷺ ولم ينقل فيها أنه كان يضع يده اليمنى على اليسرى، وثبت أيضاً أن الناس كانوا يؤمرون بذلك، وورد ذلك أيضاً من صفة صلاته ﷺ في حديث أبي حميد، ورأى قوم أن الآثار التي أثبتت اقتضت زيادة على الآثار التي لم تنقل فيها هذه الزيادة وأن الزيادة يجب أن يصار إليها، ورأى قوم أن الأوجب المصير

إلى الآثار التي ليست فيها هذه الزيادة لأنها أكثر، ولكون هذه ليست مناسبة لأفعال الصلاة، وإنما هي من باب الاستعانة، ولذلك أجازها مالك في النقل ولم يجزها في الفرض، وقد يظهر من أمرها أنها هيئة تقتضى الخضوع وهو الأولى بها اهـ بحروفه.

ثم قال عبد الهادي: وقوله أن في حديث أبي حميد وضع اليد على الأخرى في الصلاة غلط منه غير صحيح، فإن أبا حميد هو الذي روى الإرسال كما مر تقريره، ولم يأت عنه في رواية من رواياته التي رواها أهل الكتب الصحاح أنه روى القبض، وقد مر لك جل من روى القبض من الصحابة.

ونقل ابن عربى في [الفتوحات المكية] مثل كلام ابن رشد. فقال اختلف الناس في وضع اليد على الأخرى فكرهه قوم في الفرض وأجازوه في النقل، ورأى قوم أنه من سنن الصلاة، وهذا النقل مروى عن النبي ﷺ كما روى في صفة صلاته ﷺ أنه لم يفعل ذلك اهـ. فكلام هذين العالمين صريح فيما قلته من أن كل حديث فيه وصف صلاته ﷺ لم يذكر فيه القبض دال على الإرسال، وهذا النوع من الأحاديث كثير لا ينحصر، وها أنا أذكر منها جملة مختصرة: منها حديث ابن عمرو أن مالكاً أخرجه في الموطأ ورواه الشيخان، ولفظه: كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا بحذو منكبيه، ثم يكبر فإذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً وقال سمع لله لمن حمده ربنا ولك الحمد. وللبخارى ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع رأسه من السجود، ولمسلم ولا يفعله حين يرفع رأسه من السجود، وله أيضاً ولا يرفعهما بين السجدين اهـ،

ومنها حديث أبي هريرة رواه الخمسة إلا ابن ماجه، ولفظه: قال "كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه مداً الخ، ومنها ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه النسائي وابن ماجه عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ "أنه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته، وإذا أراد أن يركع، ويصنعه إذا رفع من الركوع، ولا يرفع يديه في شيء من صلاته وهو قاعد وإذا قام من السجدين رفع يديه كذلك وكبر"، ومنها ما رواه الشيخان عن أبي قلابة "أنه رأى مالك بن الحويرث إذا صلى كبر ورفع يديه وإذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا رفع رأسه رفع يديه، وحدث أن رسول الله ﷺ صنع هكذا"، وفي رواية عند أحمد ومسلم أن رسول الله ﷺ "كان إذا كبر رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه، وإذا ركع رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه، وإذا رفع رأسه من الركوع فقال سمع الله لمن حمده فعل مثل ذلك"، ومنها ما رواه أبو داود عن سالم البراد، قال أتينا عقبة ابن عامر الأنصاري أبا موسى، فقلنا له: حدثنا عن صلاة رسول الله ﷺ فقام بين أيدينا في المسجد فكبر فلما ركع وضع يديه على ركبتيه وجعل أصابعه أسفل من ذلك، وجافى بين مرفقيه حتى استقر كل شيء منه، ثم قال سمع الله لمن حمده فقام حتى استقر كل شيء منه، ثم كبر وسجد ووضع كفيه على الأرض ثم جافى بين مرفقيه حتى استقر كل شيء منه، ثم رفع رأسه فجلس حتى استقر كل شيء منه ففعل ذلك أيضاً ثم صلى أربع ركعات مثل هذه الركعة فصلى صلاته، ثم قال هكذا رأينا رسول الله ﷺ صلى اهـ.

فهل ترى هذا الصحابي الجليل المطلوب منه تعليم صلاته ﷺ كان يفعله، والموضع موضع تعليم وبيان للجاهل، وذلك يقتضى الانحصار كما

نص عليه ابن دقيق العيد وغيره . ومنها ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن معاذ بن جبل . قال " كان رسول الله ﷺ إذا كان في صلاته رفع يديه قبل أذنيه فإذا كبر أرسلهما، ثم سكت، وربما رأته يضع يمينه على يساره ا هـ، ومن الآثار المصرحة بالإرسال ما أخرجه ابن أبي شيبة عن الحسن وإبراهيم وابن المسيب وابن سيرين وسعيد بن جبير أنهم كانوا يرسلوه . وقال الإمام النووي في مجموعته قال الليث بن سعد يرسلهما فإن طال ذلك عليه وضع اليمنى على اليسرى . وقال الأوزاعي مخيرين الوضع والإرسال .

قال عبد الهادي : كلام الليث صريح في أن القبض عنده ليس من السنة، وإنما هو من باب الاستراحة، وهذا هو عين ما علل به مالك كراهيته لما فيه من الاعتماد، وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن سيرين أنه . قال حين سئل عن الرجل يمسك بيمينه شماله، فقال إنما ذلك من أجل الروم، وروى عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ كأتى أنظر إلى أحبار بني إسرائيل واضعى أيماهم على شمائلهم في الصلاة، وهكذا أخرج عن أبي مجلز وأبي عثمان النهدي وأبي الجوزاء، وهؤلاء كلهم من كبار التابعين، وما نقل عن جميعهم يفهم منه النسخ لأن نسبه لأحبار بني إسرائيل أو الروم دال دلالة صريحة على أنه ليس من سننه ﷺ لأنه لا يقتدى بأحبار الروم، ولا يأمر بالاعتداء لهم، ولا ينسب إليهم شيء من السنة : بل قد نهى ﷺ عن سؤالهم والاعتداء بهم، وعن النظر في كتبهم .

فيما ذكر يعلم أن عزو القبض لأحبار بني إسرائيل دال على الذم ويكون هذا بعد نسخه، فكأن النبي ﷺ كان أولا يقبض موافقة لبني إسرائيل لما ثبت في الأحاديث الصحاح من أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب موافقة أهل

الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ثم لما نزل عليه الإرسال ترك القبض وعز لأخبار بنى إسرائيل على وجه الذم.

ثم قال عبد الهادي: وقد روى ابن المنذر عن ابن الزبير والحسن البصري والنخعي أنه يرسلهما، ولا يع اليمنى على اليسرى.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن إبراهيم قال: سمعت عمرو ابن دينار قال: كان ابن الزبير إذا صلى يرسل يديه.

الأمر الثاني من أدلة الاستدلال: هو أن عليه عمل أهل المدينة، وعمل أهل المدينة عند مالك مقدم على خبر الآحاد، وجاعلا له كالناسخ لما عارضه من خبر الآحاد.

وذلك لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يأخذون بالمتأخرين من أقواله وأفعاله ﷺ ولا يمكن أن يخفى عليهم المتأخر منها، فإذا وجد مالك رضى الله عنه عمل أهل المدينة المشحونة من التابعين على خلاف ذلك الخبر عمل بعمل أهل المدينة وترك الخبر عهده ﷺ وعهد الصحابة الذى تلقوا منه الشريعة وتلقاها منهم التابعون، فلا يمكن للتابعين أن يجدوا الصحابة على عمل ويعملوا بخلافه، فعلم أن هذا العمل مستند إلى خبر متأخر ناسخ للخبر الذى قبله، فصار عمل أهل المدينة لهذا المعنى كالمتواتر، والمتواتر مقدم قطعاً على خبر الآحاد.

وحاصل تحرير القول فى حجة عمل أهل المدينة عند مالك رحمه الله تعالى وتقديمه على خبر الآحاد: هو أن عمل المدينة نوعان: أحدهما عملهم فيما لا مجال للرأى فيه من الشرع: كالعبادات. والثانى إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال.

أما النوع الأول فعملهم فيه حجة عند المانكية اتساقاً مقدم على خبير الأحاد بلا خلاف، وهو الذى أوجب عدول مالك رحمه الله عن القبض الذى روى حديثه فى موطنه إلى الإرسال، ولو لم يستند فى الإرسال إلى موجب أقوى من حديث القبض ما عدل عنه.

وقد قال ابن عبد البر: أن الأئمة أعاذهم الله تعالى من أن يثبت عند أحد منهم حديث صحيح ويرده إلا بادعاء نسخ، أو معارضة أثر غيره. ومعلوم أن مالكا (رضى الله عنه) من أجل العلماء وأشداهم اتباعاً للسنة.

فقال عبد الصمد: ما رأيك فى أن يصلى إن فعل القبض على وجه السنة لم يكن فعل مكروهاً؟

فقال الشيخ: هذا كلام غير معقول، وكيف يعقل أن محل كراهية القبض عند مالك، ومن قال بقوله من العلماء إذا كان فعله على وجه العيب بالاعتماد؟ فهذا أمر لا يختص به القبض، فكل نهو فى الصلاة اعتماداً كان أو غيره مكروه، فأى معنى بتنصيب مالك على كراهية القبض مع دخوله فى عموم العيب، وإذا كان إنما كره القبض عند قصد اللهو به والاعتماد، كيف يخالفه العلماء فى كراهيته، وأيضاً كيف يحكم على الشيء بأنه مكروه ويقال أن النية تصيره مندوباً؟ فيلزم على هذا أن كل مكروه تحول النية إلى القرية، وإذا كان المكروه كذلك يكون الحرام أيضاً كذلك يتحول إلى القرية بالنية:

وهذا كله باطل، لأن النية لا تصح إلا بموافقة السنة، قال ابن أبى زيد فى رسالته: ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة.

فمالك إنما قال بكرامية القبض لمخالفته عنده للسنة، فكيف يقال على مذهبه أن قصد به السنة كان مندوباً، وهو عنده مناف للسنة.

الكلام على رفع اليدين فى الصلاة

فقال له عبد الصمد: وما قولك فى رفع اليدين؟

فقال عبد الهادى: أما حديث رفع اليدين فى الصلاة، فقد رواه مالك فى موطنه، ولم يعمل به فى مشهور مذهبه.

ومع كثرة من رواه من الصحابة لم يعمل به أو حنيفة (رضى الله عنه) وكثير من الأئمة: كالثورى والنخعى وابن أبى ليلى والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس وعامر الشعبى وأبى اسحاق السبيعى وجميع أهل الكوفة، وإنما اعتمد مالك الذى رواه فى ترك العمل به، وجميع من ذكره على أنه منسوخ، واحتجوا على نسخته بما رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لأصلين لكم صلاة رسول الله ﷺ فصلى فلم يرفع يديه إلا مرة واحدة، وروى ابن عدى والدارقطنى والبيهقى من حديث محمد بن جابر عن حماد بن إبراهيم عن علقمة عنه بلفظ "صليت مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر، فلم يرفعوا أيديهم إلا عند الاستفتاح"، وهذا الحديث حسنه الترمذى وصححه ابن حزم. وقد قال إبراهيم النخعى للمغيرة حين قال له: إن واثلاً حدث أنه رأى رسول الله ﷺ يرفع يديه إذا فتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع. إن كان واثل رآه مرة يفعل ذلك، فقد رآه عبد الله خمسين مرة لا يفعل ذلك. وقد قال العينى: وفى البدائع عن ابن عباس أنه قال: العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ما كانوا يرفعون أيديهم إلا فى افتتاح الصلاة، وأخرج الطحاوى بإسناد صحيح عن مجاهد قال: صليت

خلف عمر، فلم يكن يرفع يديه إلا فى التكبيرة الأولى من الصلاة. وأخرج ابن أبى شيبه فى مصنفه عن مجاهد قال: ما رأيت ابن عمر يرفع يديه إلا فى أول ما يفتح إلى غير ذلك مما ذكره العيني وغيره، وقد قال ابن عبد البر: كل من روى عنه ترك الرفع فى الركوع والرفع منه روى عنه فعلة إلا ابن مسعود.

فأنت قد علمت أن القائلين بتسرك الرفع فى الركوع والرفع منه ما اعتمدوا إلا على أن الأحاديث الكثيرة الواردة فى الرفع عند الركوع والرفع منه منسوخة.

قال عبد الصمد للشيخ عبد الهادى: بقى فى قلبى من القبض شىء. قال ما هو؟ قال إن الإمام مالكا (رضى الله عنه) رواه فى موطنه كما ذكرت، ونحن نتمسك بما رواه ونعمل به ولا نلتفت بعد ذلك لا لكراهيته ولا استحبابه.

فقال الشيخ: هذا التمسك فى غاية البطلان، فلو كان الإمام لم يروه، واحتمل كونه لم يطلع عليه كان التمسك به وجه من النظر.

وأما بعد أن علمت أن الإمام اطلع عليه وعدل عنه فى الإرسال، وصرح بأنه يكرهه فى الفرض.

فلما أن تعلم أن عدول الإمام عنه لعد اطلاعه عليه كان لأمر أقوى عنده منه، فيقلده من هذا راض بتقليده من غير احتياج إلى التفتيش عن الدليل الذى استند إليه إمامه لعلمه بأنه يطلع على ما لم يطلع هو عليه. ولأن نصوص المجتهد فى حق مقلده كنصوص الشارع فى حق المجتهد، ويفتش عنه من ليس راضياً بتقليده إلا فيما ظهر له دليله عليه، وهذا فى الحقيقة غير مقلد ولا حاجة له فى التعلق بإمام كغالب أهل هذا العصر اليوم.

وأما أن تقول إن عدوله لم يكن لأمر أقوى عنده اقتضى العدول .
والقائل بهذا قائل بفسق الإمام (رضى الله عنه). حاشاه من ذلك ،
فيلزمه أن لا يقبل روايته لحديث ، لسقوط عدالته ، فضلا عن أن يقلده في غير
القبض . ومالك رحمه الله لم يرو عن فاضل من جميع الأمة قدح فيه .

ثم قال : ومما ينبغي ذكره والتذكير به أن كل مالكي معترف بأنه على
مذهب مالك لا يسوغ له القبض ، هو أن القبض في مذهب مالك فيه أربعة
أقوال : الجواز ، والندب ، والكرهية ، والمنع ، ولم يقل أحد من المالكية ولا
غيرهم بكرهية الإرسال ولا منعه ، فهو إما مندوب وإما جائز ، فكيف يسع
العاقل التورع أن يرتكب الخلاف ، ويذر ما اتفق على جوازه؟

فإن ما اختلف العلماء في منعه وجوازه هو الشبهة التي قال فيها عليه السلام
" إن من تركها استبرأ لدينه ، ومن وقع فيها كان كالراتع حول الحمى يوشك
أن يوقعه " وهذا وحده كاف للمالكي المنصف المتورع في ترك القبض .

ثم قال الشيخ عبد الهادي : وقد أملينا على سؤالاتك في القبض
ملخص ما كتبه الإمام المحدث الشهير الشيخ محمد الخضري الشنقيطي المالكي
حفظه الله في تأليف له سماه [إبرام النقض . لما قيل من أرجحية القبض] .

فقال عبد الصمد المصري : لقد أسعدني الحظ في هذه الأيام باللقى بك
والاجتماع بك ، والتمتع بجواهر علومك ، وأدركنا معك في برهة قصيرة من
الزمان من هاتيك العلوم العالية ، وقلائد الآداب الراقية ، التي قل أن توجد
لغيرك من أبناء هذا العصر ما لم ندرکه مع طول الأزمنة التي قطعناها في
البحث عن صحبة نظيرك .

ولكن من كان قصده الأهم، وغرضه الوحيد هو خدمة الإنسانية بكل ما فى وسعه وطاقته شأن المحسنين المصلحين، فكيف لا يكون هكذا؟
فعسى الله أن يحقق لك الرجاء، ويعمل الناس على تحقيق ما توده لهم، ولمدينتهم المحترمة، حتى تصبح هى أكبر محل دينى، وأغزر مورد علمى.

وبتنا على هذا النمط نتجاذب أطراف الحديث فى كثير من المواضع الدينية والأدبية حسبما تقدم بعض ذلك، ويقىناً على هذا إلى أن طوى بساط الغسق، وافترق ناديه، ونور الفلق وثوب مناديه، وبعد أداء المكتوبة، والاشتغال بأذكار هى لكل عاقل محبوبة، أوى كل منا إلى مضجعه، فاستراح ميلاً، ولما طلعت شمس النهار استيقظنا وأدنا سنة الضحى، وتناولنا ما تيسر من الطعام. وحمدنا الله فى المسير والمقام. وبعد برهة من الزمان تأهبنا لصلاة الجمعة. فنزلنا من الصومعة. وقصدنا بعض الحمامات لأجل غسل الجمعة. عملاً بقوله ﷺ كما فى صحيح الإمام البخارى من رواية ابن سعيد الخدرى (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال "الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم" وفى رواية أخرى عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن وأن يمس طيباً إن وجد، ومن رواية أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يسمعون الذكر".

هل فى ترك غسل الجمعة رخصة

فبينما نحن فى الطريق. إذ قال أبو زيد مخاطباً للشيخ: هل تعلم رخصة فى ترك غسل يوم الجمعة. قال: نعم: قال ما دليلك فيها؟ قال ما أخرجه الحافظ أبو داود فى سنته، وبوب له بقوله: باب فى الرخصة فى ترك الغسل يوم الجمعة. حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن سعد عن عمرة عن عائشة قالت "كان الناس مهان أنفسهم فيرواحون إلى الجمعة يبهتهم فقيل لهم لو اغتسلتم". حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد العزيز يعنى ابن محمد عن عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة "أن أناساً من أهل العراق جاءوا فقالوا يا ابن عباس أترى الغسل يوم الجمعة واجباً. قال لا، ولكنه أظهر وخير لمن اغتسل، ومن لم يغتسل فليس عليه بواجب، وسأخبركم كيف بدء الغسل، كان الناس مجهودين يلبسون الصوف ويعملون على ظهورهم، وكان مسجدهم ضيقاً مقارب السقف، إنما هو عريش، فخرج رسول الله ﷺ فى يوم حار وعرق الناس فى ذلك الصوف حتى ثارت منهم رياح أذى بذلك بعضهم بعضاً، فلما وجد رسول الله ﷺ تلك الرياح قال أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا وليمس أحدكم أفضل ما يجد من دهنه طيبه". قال ابن عباس ثم جاء الله بالخير ولبسوا غير الصوف وكفوا العمل ووسع مسجدهم وذهب بعض الذى كان يؤذى بعضهم بعضاً من العرق أه لفظه.

فلما دخلنا الحمام وجدنا من فيه مكشوف العورة ينظر هذا إلى عورة هذا، وهذا إلى عورة هذا.

فقال الشيخ: أهؤلاء مسلمون وأباؤهم مسلمون. فقلنا كذلك يزعمون. فقال بئست الحالة والله، أليس عار على الإنسان كشف كورته، أليس قبيح

بالإنسان إبداء سوائته، أليس اتفاق أمة أو جماعة على فعل حرام مما يعجل الله به العذاب، أليس الفاعل للمحرم والمقر عليه والساكت عنه مشتركين في الإثم، ومستحقين للعقاب؟ كلا: إن هذا من أعظم الكبائر والمصائب في هذه الأزمنة التي توجب غضب الجبار، في السر والجهار، وهذا الفعل لا يصدر إلا من سفيه ياجماع الأمة المحمدية، وحسبهم أنها خصلة يهودية، ألم يبلغهم قوله ﷺ "إذا دخل لعبد الحمام بغير مئزر لعنه الملكان" وقوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخلن الحمام إلا بمئزر" أيطنون أن العلماء سكتوا عن هذا الفعل المحرم بالإجماع أو غصوا عنه الطرف وصرقوا عنه الأسماع؟ كلا بل قاموا مراراً متعددة بالتشديد على فاعل ذلك وبينوا ما يجره فعله والسكوت عنه في المهالك، كما أبان الخطباء في خطبهم تحريم ما ذكر، وخوفوا مرتكبيه، فهل من مزدجرا! وأشاع الجميع تقبيح فعل ذلك في الفتاوى والمؤلفات، وبينوا معاييه في المنتديات والمجتمعات، وبذلك أدوا واجبه وفعلوا ما أمر الله به، فلم يبق إلا التشديد والزجر ومنع تلك المصائب بالتأديب المناسب صوتاً للآداب، وامثالاً لرب الأرباب، فإلى من ولاء الله في الوقت أمور المسلمين، وكلفه بأحوالهم لا فرق فيها بين أمور الدنيا والدين، أن يردوا بالهم لهذه الداهية الدهيئة، والمصيبة الدهماء، وأن يقوموا بإزالة هذا المنكر الوخيم، والفعل الذميم، ويختاروا لهذا الداء أنجع الأدوية، قبل أن ينزل غضب رب البرية، ويعم البلاء الطائع والعاصي وتعظم الرزية، وما ذاك على همة الولاية ببعيد.

ثم إن الشيخ أمسك عن الكلام وانتحي كل منا ناحية، هذا لا يعرف هذا، فلما فرغنا انصرفنا جميعاً.

حقيقة السعادة

فبينما نحن فى الطريق بعد أن خطونا خطوات، إذ لمحنا شيخين يمشيان على مهل، فدنونا منهما علناً نظفر بفائدة جديدة، فإذا أحدهما يقول للآخر، لقد أفاض الفلاسفة فى تعريف السعادة وتفننوا فى تصوير اللذة، ولكنى لم أجد فيهم من نفذ فهمه إلى حقيقة ذلك التعريف، جهلوا أن السعادة كل السعادة هى ادعاء المشيخة بين هؤلاء الأعمار والجلوس فوق السجادة، وأن أسعد الناس حالاً وأرخاهم بالأمن ادعاها، وثبتت قدمه فيها، يجرى رزقه من تحتها: فهى الجبة التى تجرى من تحتها الأنهار، نهر من نذور الدراهم، ونه من نذور الذبائح، ونهر من اعتقادهم فيه أنه يعطى ويمنع ويضر وينفع، فهى كالكنز الذى لا نفنى ذخائره أمد الدهر، وأسعد من هذا الحى: ميت يسخر الله له من بينى على قبره قبة عالية. ثم يدعو الناس التبرك بتلك العظام البالية، فتجىء سعادته فى مماته على قدر شقائه فى حياته، وتطير بذكر كراماته الأنبياء، وتحمسه على تلك النعمة الأحياء، حتى يقول فى ذلك قائلهم.

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات
من لى بحظ النائمين بحفرة قدمت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها بحر النذور وتقراً الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى ووسيلة تقضى بها الحاجات

فقال الثانى: لقد صدقت فى تعريفك، وأنصفت فى وصفك، ولكنى أعرف للسعادة منهجاً آخر، قد سلك فيه بعض الأقوام، فأصبحوا أسعد

الأنام، ألم تعلم وفقك الله أن السعادة كل السعادة فى الوصاية على لیتیم، وفى النظارة على وقف حبس على العظم الرمیم، يأكل الأول ما شاء ولا محاسبة، ويلتهم الثانى ما أراد ولا مراقبة، وإنى أعرف فى قطرنا هذا قوماً قد احترفوا الوصاية على الأیتام، فهم كلما وجد یتیم بالبلد رشحوا أنفسهم لتلك الوصاية، وعملوا جهدهم للوصول إلى هذه الغاية.

قال صاحبه: صدقت يا أخی، فقضينا منهم العجب ومررنا.

ذم التقليد بالإفرنج

فینما نحن فى الطریق إذ فجأنا شاب أبيض النون أزرق العینین قد حلق لحيته وليس بذلة أوروبية: يسب الدين، فبقى الشيخ عبد الهادى حائرا فى شغله. فقال له عبد الباسط: هذا أحد من نبغ فى هذه المدارس الوقتية. فقال الشيخ: أما المسلمون اليوم فلا يهتمهم كفر الشبان أو إسلامهم، وإنما يهتمهم أن يتقدموا فى الدنيا الفانية، وما عليهم أن أسلموا أم كفروا، ولقد تسببت الأهواء بالناس اليوم حتى جرهم فساد البواطن وظلامها إلى تقليد الكافر فى عوائده حتى حذوا حذوه فى كل حركاته وسكناته، ولقد طغت مدنيتهم الكاذبة عليهم حتى اعتقدوا أن الخير فيما هم فيه، وكادوا يصرحون بهمجية الشرائع الدينية، ورأوا أن وجود اللحية من الوساخة، وأن النظافة إزالتها حتى مسخت صورهم وغيروا خلق الله، والله يقول (لا تبديل لخلق الله) ولو سألوا أطباءهم عن منافع وجود الشعر طيباً لحرص الكثير منهم على وجوده، وفى الإحياء للإمام الغزالي عن كعب الأخبار (رضى الله عنه). قال: "يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة، ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم"، وعن أبى هريرة أن أصحاب الدجال عليهم

السيجان شواربهم كالصياصي، ونعالهم مخرطمة، أى نعالهم لها أعناق طوال مفرقة كالخرطوم. [والسيجان]: جمع ساج، الطيالس. [والصياصي]: القرون، وقد ارتكب غالب أهل هذا العصر أمرين شئيعين: أحدهما حلق اللحي أو جزها، والثانى توقير الشوارب حتى تغطى الفم أو أكثره، والكل حرام، وفى الصحيحين "خالقوا المشركين ووفروا اللحي وأحفوا الشوارب"، وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح "قصوا الشوارب واعفوا اللحي"، وفيه أيضا "إن آل كسرى يحلقون لحاهم وبيقون شواربهم. خالفوا المجوس"، وفى مسند الإمام أحمد أيضا عن ميمون بن مهران عن ابن عمر. قال ذكر رسول ﷺ المجوس "فقال أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالقوهم"، وأخرجه أيضا ابن حبان فى صحيحه والبيهقى والطبرانى. وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال "أحفوا الشوارب واعفوا اللحي ولا تشبهوا باليهود"، وقد ذكر العلماء فى حلقها من أنه دين الفرس وزبهم. قالوا وقد صار اليوم صنيع كثير من الإفرنج واليهود ومن لا خلاق لهم من المسلمين. قال الحافظ العراقى: وفى قص الشارب أمر دينى وهو مخالفة دين المجوس، وذنوبى، وهو تحسين الهيئة والتنظيف مما يعلق به من الدهن، وكل ما يلصق بالمحل كالعسل. وقد يرجع تحسين الهيئة إلى الدين أيضا لأنه يؤدى إلى قبول قول صاحبه وامثال أمره من دلالة الأمور ونحوها، والجمهور على أن ذلك مندوب، ومن العلماء من قال بوجوبه للأمر به فى قوله "قصوا"، ويدل له من حيث الجملة أحاديث كحديث "من لم من يأخذ شارب فليس منا" أخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى والضياء عن زيد بن أرقم. وقال الترمذى حسن صحيح، وحديث "من لم يحلق عاتته ويقلم أظفاره ويجر شارب فليس منا" أخرجه الإمام وحسنه.

فالتفت الشيخ عبد الصمد: إلى الشيخ عبد الهادي: وقال له يا سيدي لو رأيت حال قطرنا المصرى اليوم كيف انقلبت حقيقته لرأيت العجب، ولقد فارقه بسبب ما حل فيه من المناكر المجمع عليها: منها أن عدداً من علمائه قد حلقوا لحاهم، وهم يعلمون أن ذلك حرام بإجماع المذاهب الأربعة، ولكن جعلوا وجهتهم تقليد الكافرين، ومنها قط الشارب، وهو أنهم يحلقون من الشارب نصفه أو أكثر يمينا وشمالا على صورة تذهب بهجة الأدمية، ونمسخ كمال الإنسانية، ولقد هرع إلى هذا الفعل كثير من أبناء المسلمين حتى رأينا من يدعى الانتساب إلى طلب العلم والقرآن يرتكبه، ومها لبس عدد منهم القبعات، وهى ما يسمونه [البرنيطة] التى تسمونها أتم بالشمرير، وهو علامة الكافرين وميزتهم وإذا كلموا فى ذلك يقولون نضعها على رءوسنا من الشمس، وما هو إلا تقليد الكافر ليس إلا، ومنها ترك تحية الإسلام بتحية الفرنج، ومنها تغيير اللباس كهذا الشباب الذى واجهنا الساعة، ولقد عمد الكثيرون من الذين سرقت قلوبهم بفتنها مدينة الغربيين فغيروا الميزة الإسلامية واختاروا عوضاً منها الميزة الكفرية. وذلك لبعد أرواحهم عن ذوق المؤمنين، واستبدل فريق من أهل العلم العمامة بالطربوش استردالا لأمر العمامة وتسترا فى ظل الطربوش، فلعمري كيف هان على نفوسهم ذلك رسول الله ﷺ يقول كما رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء "إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمامة يوم الجمعة". وروى الديلمى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال "ركعتان بعمامة خير من سبعين ركعة بلا عمامة"، وذكر صاحب محاضرة الأوائل تبعاً للسيوطى أن أول من كور رأسه بالعمامة أبونا آدم عليه الصلاة والسلام، كوره جبريل بن السنى لما خرج من الجنة إلى الدنيا، وكان متوجاً فى الجنة، وأخرج ابن السنى والديلمى عن ابن عباس مرفوعاً "العمائم

تيجان العرب فإذا وضعوا العمامم وضعوا عزهم " ، وأخرج ابن أبى شيبه وأبو داود والبيهقى فى السنن عن على (رضى الله عنه) . قال : " عممى النبى ﷺ بعمامة سدل طرفها على منكبى ، وقال أن الله أمدنى يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمامة ، وقال إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان " ، وفى رواية " بين المسلمين والمشركين " ، وأخرج الترمذى وأبو داود عن ركانة بن عبد يزيد المطلبى رفعه " فرق ما بيننا وبين المشركين العمام على القلانس " وأخرج الديلمى مرفوعا " لا تزال أمتى على الفطرة ما لبسوا العمامم على القلانس " .

وبالجملمة فقد رأينا فى بلادنا وفى كثير من البلاد الشرقية ترك الشباب وكثير من الكهول لهذه السنة المكرمة التى هى سنة العمامة المحترمة تركا باتا ، ويستحى أحدهم أن يستعملها ويخرج بها إلى السوق ونحوه فضلا عن المحافل والمجامع ، وإذا فعل التفت إليه ، وربما تضاحك منه بعض أبناء جنسه وأكثروا من اللغظ عليه والهزاء به .

وأما الزوجات : فمنهن من لا تقبل اللفة بحال ، ولا تقدر أن تنظر إلى زوجها وهو بها فى حال ، حتى أن بعضهن يقلن على سبيل المبالغة : الدقة خير من اللفة ، يعنين أن دخول الدقة أى المغسل الذى يغسل عليه الموتى على إحداهن لغسل زوجها خير من دخوله عليها وهو متلفف متعمم ، فبلغت عندهم هذه السنة تلك الدرجة من الاستبشاع والقبح ، وكيف يستهجن سىء استحسنة سيد الكائنات؟ ومن لأجله خلقت الأرضون والسموات ، هذا شين وعار على صاحبه ونقص فى دينه ، بل ترك الكثير من الناس اليوم من الثياب ما أصبح ميزة أهل الإسلام إلى ما هو ميزة المنافقين والكافرين . ثم بعد أن

استبدلوا العمامة بالطربوش جرهم الأمر إلى استبدال الطربوش بالبرنيطة،
ووجدوا من أهل العلم من يؤيد رأيهم، وما هو إلا جهل وعناد وزور وفساد،
ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم. ومنها أن مدارس أمريكا عندنا
اليوم حتمت على أولاد المسلمين أن يصلوا معهم صلاتهم للمسيح فيصلون
معهم، ويقولون يا إلهنا المسيح افعل كذا وكذا كما يقول الكافرين، وأقبح من
هذا إدخال الأطفال الصغار المدارس التي تحت إدارة النصارى، فعندنا مدرسة
مديرتها نصرانية، بلغنى أنها جعلتهم مسيحين كأنهم بحيث لو سألت الولد
الذى اسمه محمد مثلاً لقال اسمى المسيح لما بثته فى قلوبهم من عقائد
الكافرين، وليس ذلك ببعيد. فإن ولد استلمته لا يعرف الأرض من السماء
وربته فليس من الصعب عليها أن ترسم فى ذهنه دينها وعقيدتها، إذ الفطرة
قابلة لأن يرسم عليها الهدى أو الضلال، ومتى عم ولى الصبى ذلك وفعل
كفر حيث رضى بالكفر، والرضى بالكفر كفر: كما هو معلوم عند العلماء،
ولا يخفى على كل عالم بأحوال الوقت أن المدارس التى تنشر فى سائر البلاد
الإسلامية يفتري فيها على الله الكذب، ويتقول فيها على الإسلام الأقاويل:
منها أن القرآن من عمل الرسول ﷺ، لا من عند الله إلى غير ذلك مما لا
يحصى كثرة، ومنها سفور المرأة، ولو رأيت اليوم ما حل بأرضنا عجباً؟ كنا
نعيب على المرأة فى تبرجها بالزينة لزوجها حتى رأيناها تكشف عورتها راغبة
فى أن يراها من يحرم عليها النظر إلى وجهه، قد اتخذت لباساً يصف
محاسنها، وياليتها أرسلته على كل البدن، ولكنها رأت الأكمام عيباً، والخمار
ذنباً، قد كشفت الساق، وطافت بالأسواق وزججت الحاجب، وأرسلت
العين فجرت لأهلها كل عار وشين، وأعانها على ذلك الرجال الأوغاد
الأنذال، وقالوا ذلك مدنية، وإن حرمة الملة الخفيفة، آثروا كفر الكافرين،

على شرع رب العالمين، ومنها إصلاح المرأة وشعرها بيد الحلاق، فيا ليت شعري أين غيرة الرجل إذا سمع أن امرأته الجميلة قام عليها في خلوتها رجل بدعوى أنه يصلح شعرها، وأن يكون إبليس الساعة، وكيف هان الأمر على الرجل، والغيرة من أخلاق الرجال، وكيف ساغ له بعد ذلك طعام أو شراب، أن ذلك لما تفضل فيه الأفكار، وتجار فيه العقول، ومن العجب إقرارها على ذلك وصدوره من مؤمن يعلم أن دينه القويم يحرم ذلك، إلى غير ذلك مما يطول بي ذكره لك في هذه الساعة.

فقال له الشيخ عبد الهادي: لا عجب في ارتكاب ما ذكرت، وإنما العجب في الانسلاخ منه: ألم تسمع قوله ﷺ كما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضى الله عنه) "لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، ودراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى. قال فمن؟" والمعنى أنكم لا بد وأن يأتي عليكم وقت تهجرون سنتي وتبعون اليهود والنصارى في مخالفتهم حتى لو دخلوا مدخلا رديئاً كجحر الضب لدخلتموه مثلهم. فصلى الله وسلم على من أطلعه الله عل مخبات المستقبل، معجزة لحضرته ﷺ.

فانظر بعينك كيف سلك المسلمون المسالك الرديئة مقلدين للكفرة في هتك أعراضهم وغيروا معالم دينهم بضلالات حاكوا فيها اليهود والنصارى: كالاستنشاق بالدخان وشربه، وشرب الخمر، وتغيير الزى الإسلامي وحلق اللحى، وكل ما دخل على المسلمين اليوم من المفاسد فممنشؤه تقليد هاتين الملتين، ولذلك لما قال الصحابة (رضى الله عنهم) "اليهود والنصارى قال فمن؟" أي فمن غيرهم: أي هم الذين يدخل عليكم منهم فساد دينكم، وفي

الصحيح عن حذيفة (رضى الله عنه) أنه قال "لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، ولتطون نساءكم وهن حيض، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة^(١) بالقذة، وحذو النعل بالنعل لا تخطون طريقهم ولا تخطىء بكم".

فقال عبد الباسط: إن الشباب اليوم قد ضرب بينه وبين الإنسانية سوراً منيعاً، وأقام حاجزاً كثيفاً فصار لا يرى حقائق الإنسان ولا ما يجب أن ينطبع عليه من فضيلة ونيل، فليست الإنسانية أن يتزيا بزى أعداء الدين بل الإنسانية أن يتزيا بزى سبل المتقين، إن المدنية الأوروبية التي انغمس فيها الشبان حتى انحطت أخلاقهم واضطربت عقولهم، وانعكس قانون منطقهم حتى أرادوا أن تكون الأرض غير الأرض، وأن تتبدل السماء غير السماء، غيرت أحوال تلك المدنية وغمرتها بفضائح وعلل باطلة باهتة من صنوف الأخلاق الضعيفة حتى استولى عليها سلطان كل رذيلة، وحازت أعظم نصيب من كل خسة، ولو كنت أعجب من شيء في هذه الحياة لعجبت من أمر هؤلاء المتزيين نرى الأجانب يدعون أنهم مسلمون وآباءهم مسلمون، فكيف يرضون إذا وصفوا بغير الإسلام، ألا ترى كيف تهافتوا على هذه الحضارة الغربية فتفرنجوا واندمجوا وأسرفوا في التفرنج والاندماج، حتى غمر التفرنج والاندماج منهم كل شيء، وحتى لا تبقى عليه سمة من سمات الإسلام، ولا يبقى ما يصح أن يتسموا به مسلمين.

وتأملوا في هذه الحضارة الغربية كيف مسختهم في أعين المسلمين حتى في أنفسهم، أى خلق حسن اليوم للشباب يكتب عنه الإنسان؟ وما هي الجيوش الجرارة منهم تسير شراذم في الطرقات. وقد لونوا وجوههم وأزالوا لحاهم وشواربهم، وارتدوا ملابس ليس فيها شيء من الحشمة والوقار، وزد

(١) القذة بالضم ريش السهم. اهـ قاموس..

على هذا أنهم يباشرون شعر رأسهم ووجوههم بالأدهان الرومية التي تقتضى الصقالة كما تاشر النساء رءوسهن ووجوههن بذلك، فلو رأيت وجوههم عند استيقاظهم من النوم لحكمت عليها بتمكن علة من العلل بها. ثم بعد استعمالهم تلك الأدهان الأوروبية تراها فى شكل آخر من سريان الدم الصورى، وهذا دأبهم صباح مساء.

ولقد غرتهم المدنية الغربية فأقصتهم عن الإنسانية، وحبت إليهم زخرف الحياة حتى خرجوا عن قواعد الشرف والكرامة وأدخلت عليهم الغرور ثوباً من النفاق بل ومن الكفر.

لقد انطبع أصحاب هذه المدنية اليوم على الكذب والخداع والغش والخيانة والمكر والفسوق، وكثير من أنواع الخسة والضعفة والامتهان.

والدين بهذه المدنية التي أصبحت آية كبرى قد تقوضت دعائمه، وتداعت أركانه، وأصبح فى عصرنا تتناقله الألسن كأسطورة من أساطير التاريخ البائدة، ولم يعد يحافظ عليه محافظة عملية إلا فئات من الفقراء وأوساط الأمة حتى اللغة التي حفظها القرآن الكريم على تداول الأجيال المتعمقة فى القدم قد بدأت أوراقها تسقط، فلو دخل أحدنا منزل أحد العظماء فإنه لا تفرع أذنه كلمة عربية خالصة، لا من طفل ولا من شاب: بل ولا من شيخ: بل كلهم عاكف على خليط من الفرنسية والإنجليزية وغيرهما، وهذا عار شديد وعيب عظيم.

ثم أن أبا زيد قال للشيخ عبد الهادى: هل لهؤلاء الذين يحلقون بعض رءوسهم سند فى ذلك؟ قال لا ولكن الذى بلغنا عن الرسول ﷺ أنه كان يحلق رأسه كله أو يتركه كله، ولم يكن يحلق بعضه ويترك بعضه.

ثم إن الشيخ عبد الصمد المصرى التفت إلى عبد الباسط المراكشى وقال: لقد كشفت الغطاء عن مساوئ شبان قطرک المغربى. وأما شباننا المصريون لو رأيت ما هم فيه لاستغربت وقوعه. قال وما ذلك؟ قال: الكثير منهم يقضى وقته فى اللهو واللعب، قليلو الإقبال على أداء الفرائض الدينية، فإذا دخلت مسجداً وقت الصلاة، قل أن تجد بين المصلين واحداً منهم.

وسبب ذلك عدم العناية بتعليم الدين، إذ لو تعلموا دينهم لأقبلوا على الصلوات فى أوقاتها، ولكان لذلك أثر جليل فى نجاحهم، وقوة فى أبدانهم، وصبرهم على المكاره، وإصرارهم على الفوز، واقتحام العقبات.

وبعض الشبان يسخرون من الصالحين ويؤلمونهم بما لا يليق صدوره إلا من فئة نشأت نشأة بعيدة عن الخلق الكريم، والصراط المستقيم، وأكثر إقبال الشبان على لعب النرد والشطرنج والرقص مع النساء على أنغام الموسيقى، ونحو ذلك مما يضع فيه الوقت ويتعب العقل.

وبالجمله لو شئت لكتبت كثيراً فى نقائص الشبان عندنا، ولأبنت ما هم فيه من تبرج وخروج عن جادة الاعتدال، والتورط فيما يكسب الوبال والنكال، ولو أن الشبان اكتفوا بذلك لهان الأمر، ولكنهم ساروا فى ميدان الإلحاد شوطاً بعيداً، واجتماع الإلحاد والتهاون بالدين خطر يجب دفعه بكل قوة.

وبينما نحن مارون فى الطريق. إذ دنا من عبد الباسط فى مقتبل العمر وريعان الشباب. وتبدو على محياة سيما الكآبة والأسى، فسلم عليه تسليم العارف له وقال: ألا تذكرنى؟ فشخص بصره إليه. ثم قال له: يا صاح أذكر أنى رأيت شخصك، ولكن لا أدرى أين ومتى رأيتك، وقد غاب عن ذاكرتى

اسمك، فلا تؤاخذنى بما نسيت. قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن: قرينك فى التعليم الابتدائى، فذكره وأقبل يحييه تحية المشتاق إليه المرحب به. ثم قال له: ولكن مالى أراك فى تلك الهيئة الرثة والحال المستكبرة؟ وقد عهدتكم من بيت عزة وثروة، فاعرورقت عيناه بالدموع وأخذته رعدة المحموم. وقال بصوت خافت متهدج: قد تبدلت عزتى شقاء وثرائى فقراً، فسأله: وكيف تبدل حالك، وساء مآلك؟ قال قضى والدى رحمه الله تعالى، وقد كنت لذلك العهد ملازماً للتعليم: كما تعلم، وكنت مصادقاً فئة من أبناء الأغنياء أمثالى، فزينوا لى أن أهجر قراءة العلم، وأقطع جبل الدراسة، وقالوا مالك ولهذا العناء الوافر المتواصل، أتبغى أن تحرز شهادة أو منصباً من المناصب، وعندك من المال ما تعيش به عيشة الأمراء المترفين، وما زالوا يوسوسون فى صدرى، حتى جنحت إلى رأيهم وأجبت داعيهم، فأصبحت متعطلا لا عمل لى ولهم غير الاختلاف إلى القهوات والمنتديات، ولا هم لنا سوى المرح فى ميادين الملاهى والملاذ، فمن حانة خمرة إلى مائدة قمار، إلى بيت فجور، إلى مجلس غناء، إلى دار تمثيل هزلى، وكل ما أعمل فيه فكرى وأكد فيه ذهنى، مظهر بهى، ومنظر طلى، ومأكل شهى، وملبس فاخر، ومركب باهر، وترف وافر، وهكذا طفقت أبعثر أموالى ذات اليمين وذات الشمال، وغفلت عن ضياعى وأملاكى، وتركت زمامها بيد وكيلى معتقداً فيه الأمانة والنزاهة، فجعل يختلس من دخلها ما شاء، وشاء له طمعه الأشعبى، إذ لا رقيب يناقشه الحساب، ولا مطلع يكشف عن جناياته النقاب، وما هى إلا دورة الفلك حتى استيقظت من سباتى، فرأيتنى فى بحار الديون غارقاً وبأغلال الحجز مكبلاً. ولم يلبث الدائنون أن انتزعوا منى كل ما أملكه جميعاً. فأصبحت صفرا اليدى لا أملك فتىلا ولا قطميراً، وظللت أتكفف

إخوانى الذين كنت أغدق عليهم بالأمس، فضنوا على اليوم بالبخس، وجعل متلطفهم يعتذر بضيق ذات يده ويعدنى إلى مسيرة مواعيد عرقوب، لولا أن قيض الله لى صديقا من أصدقاء والدى رق لما نابنى، فجعل يمدنى آونة أخرى بمنحة أسد بها وجوه فقري وأصلح بها شأنى، وها هو ذا يسعى فى إيجاد عمل لى أقتات منه. وهنا عاوده البكاء ثانية، وقال صدق القائل: صنعة فى اليد أمان من الفقر.

فقال له عبد الباسط أكفف دموعك، ولا تأس من روح الله ولا تقنط من فرجه - فإن مع العسر يسرا - وبعد الشدة فرجا، وخذ بأسباب أى عمل منه تعش، فلا عار فى عمل يصون صاحبه عن التبذل، وإراقة ماء المحيا على أعتاب المسألة.

ولعلك تستفيد من هذا الدرس القاسى موعظة تنتفع بها فى مستقبل حياتك إن قدر لك أن تعيش عيشة اليسر والرخاء. ثم تركناه، ومشينا.

وإذا بنيت أمامنا فى سن الرابعة عشر من عمرها متبرجة فى أكمل زيتتها، متشامخة فى محاسنها، ضاربة الأرض برجليها، غامزة بعينها، بادية زينتها للحوزى والحضرى، ولقطاع الطريق، وللكافر والمسلم، وللقوادين والقوادات، ورأينا الأعين متجهة إليها من صوب وناحية، يشيرون إليها بالبنان.

فالتفت الشيخ عبد الهادى إلينا وقال: يا لله من هذه العادات التى مزقت معها ثياب الآداب، إنى لأخشى أن الزمن على تواليه يحسن القبيح ويقبح الحسن، إن نساء زماننا هذا قد بلغن فى التهتك والتبرج أقصى غايتهن وغاض ماء الحياء من وجوههن، وكادت العفة تطير من قلوب جميعهن،

وإنى ليحزننى أن أرى انتهاك الحرمات والانغماس فى الشهوات مع وجود علماء الوقت بين أظهرنا.

ولا شك أن هذا الفعل سائق إلى مهاوى الهلاك، ومن الثابت فى التواريخ أن كل أمة فشت فيها الفحشاء تضمحل وتأخر، ثم تسقط، والعكس بالعكس.

فالتفت إليه عبد الباسط وقال: والله يا مولاي لو أخبرتك بما يقع من هذا البلاء فى كل يوم وليلة لسمعت العجب. قال: وما ذاك؟ قال: إن المومسات اليم تكاثرن وانتشرن انتشاراً عظيماً فى جميع أقطار المغرب، بل وفى المشرق على ما بلغنا من الثقات، يرتكبن الفاحشة على أى حالة كن فى البيوت والحدائق والأخبية، وكثر الاختلاط بهن، والمزاحمة معهن فى جميع الحركات، وهذا شئ لامناص لنا من رده.

ثم قال عبد الباسط: ومن العجائب أن بين هؤلاء الزانيات نساء عجائز يصعبن وجوههن بأدهان أوروية، ويلبسن ثياب الرفاهية، ويخدعن من ليس له خبرة بحيلهن.

وقد أصبحت اليوم الشوارع غاصة بالعاهرات والنساء اللائى يتعاطين هذه المهنة، حتى أن بعض هؤلاء النساء يتعلقن بالرجال من غير مطالبتهم لهن بذلك خصوصاً فى الأوقات الليلية، وقل أن تجد فى هذا القطر محلاً للسكنى منعزلاً عن المومسات.

ولعل الله تبارك وتعالى يهئ فى المستقبل من تزول بسببه هذه الرذيلة والعهارة، وينهزم أهل الكبائر والفواحش والدعارة، وتخدم هذه النيران قبل أن يصل لهابها إلى البقية الباقية من أهل الإيمان.

ثم بعد هنيهة حللنا المسجد الجامع اليوسفي، وقصدنا الصف الأول، واشتغل كل منا بقراءة القرآن سرًا، وكذا الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان ﷺ، ولما حان وقت الصلاة جاء قيم المسجد، وطلب من الشيخ عبد الهادي أن ينوب عن الإمام في الخطبة والصلاة تبركًا به، فأجاب إلى ذلك وهذا نص الخطبة.

الخطبة التي ألقاها الشيخ عبد الهادي

بالجامع الموسيقي

الحمد لله الذي ارتضى لعبادة الإسلام دينًا، ورفع قدر من تمسك بأدابه، ووقف عند حد دمه، وأشهد أن لا إله إلا الله السميع البصير، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله البشير النذير. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين قاموا بواجب ما أمرهم الله به، ولم يقدموا على ما نهاهم عنه، فأورثهم مشارق الأرض ومغاربها. والله ذو الفضل العظيم. قال الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون).

عباد الله: قد آن للمسلمين أن يتدبروا أمرهم وينظروا بعين عقولهم إلى مصيرهم ويلتفتوا إلى دينهم الخفيف التفات المريض إلى دوائه، والغريق إلى ساحل نجاته، فقد كفانا ما صرنا إليه من هوان وذل، بعد ذلكم العز الأعمس والمنزلة السماء.

يا عباد الله: كانت الأمة الإسلامية في إبان شبابها وعنفوان مجدها متمسكة بدينها الخفيف، معتمدة عليه فيما تأتي وتدع، مهتدية بهديه،

مسترشدة بمناره، معتبرة بما خلا بين يديها من النذر، فكان الدين لها جنة واقية، وذخيرة باقية، فلم تطلب منالا إلا أدركته وإن عز، ولا غاية إلا وصلت إليها وإن بعدت، فلما قست القلوب بعد لينها، وانصرفت عن الدين بعد التمسك به، وقام حب الشهوات والميل مع الأهواء حاجزا بين المرء ودينه، وانصرف الناس إلى محارم الله، فاستباحوا حماها وصار المسلمون كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وفشت فيهم الأهواء، واستولت عليهم المطامع، وملكتهم محبة الملاذ، واستغرقت وجدانهم، وصار الواحد لاهياً بذاته لا يشعر إلا بنفسه التي بين جنبيه، ولا يحس إلا بما نزل بشخصه، فلما فشت هذه النقائص صرف الله القلوب عن الخير، وحبب إليها الفساد في الأرض. وياعد بين الأفراد وإن قربوا، فتنافرت قلوبهم، وتفرقت كلمتهم - وكان أمر الله قدرا مقدورا.

عباد الله: تواعد الله عبادة الذين يخالفون عن أمره: ويعرضون عن مراقبته، وينصرفون عن ذكره، ويجترئون على معاصيه. بشديد غضبه، وعظيم سخطه، وحذرهم بأسه وانتقامه، فما بال المسلمين بعد القرون الأولى، ودخولهم في هذه الأزمان المتأخرة عمدوا إلى محارم الله فارتكبوها وإلى منهياته فاستباحوها، ومأموراته فاجتنبوها، وقطعوا الأسباب بينهم وبين خالقهم ورازقهم، ثم عادوا بمر الشكوى من تغيير الأحوال، وانتزاع البركة من الأرزاق والأموال، ليس هذا بغريب، فإن الله يغار على أوامره أن تجتنب، ومحارمه أن ترتكب. كما يغار الحر الكريم على عرضه.

يا عباد الله: إن المحافظة على أوامر الله تعالى التي أمركم بها في كتابه وأرشدكم إليها على لسان نبيه محمد ﷺ بمنزلة العهد والميثاق بينكم وبينه

تعالى أن يحوطكم برحمته، ويسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يكون معكم بالعون والتوفيق، فإذا حاربتموه بارتكاب معاصيه وإهمال أوامره فقد حاربتم جبار السموات والأرض ذا القوة المتين، ولستم بمعجزيه في الأرض أن يرسل عليكم عذابه في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، فقد صرنا في زمن نرى ارتكاب أمراً عادياً، وليتنا وقفنا عند هذا الحد: بل صار من يجاهر بالمعصية محموداً بالألسنة محبباً إلى القلوب، والمتمسك بدينه ممقوتاً في أهله، بغض الطلعة، ثقيلاً على الأنفس، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله: إنا نرى من تسموا بالمسلمين الآن لم يحرزوا من الإسلام إلا اسمه، ولم يدركوا من الدين إلا رسمه، رفضوا جميع آداب الإسلام وابتعدوا عن كل خير أمرهم الله به.

عباد الله: اتقوا الله في دينكم وأنفسكم وأهليكم (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)

الحديث: عن عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرفوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عز وجل، فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك" ١ هـ.

ولما فرغنا من الصلاة جلسنا مدة بداخل المسجد نتأسف على الحالة التي عليها الناس اليوم، وقد أوجدت في نفوسنا كدرًا ما عليه من مزيد وها نحن نرى السوداء الأعظم من المسلمين وفيهم الأمراء والعلماء والأعيان كلهم

يدعى الصلابة فى دينه، والحمية لجنسه، ونراهم لا يبدون فى هذه السبيل ولا يعيدون: بل قصاراهم فيها أن يسألوا أنفسهم بأن هذه المفظعات كانت سابقاً، والحجة على السابق، وقد عدوا حملها ثقيلًا على الجادين فى إصلاحها لكثرة اختلال شئونها، وهذا عذر غير مقبول. لكن لما انقلبت المدارك فى هذه الأمة الإسلامية أصبحت تحرص على العادات الضارة وتحافظ عليها. لو كانت لا نهاية لها فى درجة التهالك.

وأما الأخلاق الكريمة التى يخرج ينبوعها من معين الشرع الصحيح فهى لا تحافظ عليها إلا كما يحافظ الغربال على الماء.

العيوب التى يرتكبها الناس يوم الجمعة

فما شاهدناه من مثالب الجمعة يوم: هو أن الناس لا يعرفون إلا إدراك الصلاة خلف الإمام، وإن فاتت فبدلها الظهر، لا يعرفون شيئاً مما لها من الحقوق. فمن ذلك تغافلهم باللهو واللعب والبيع والشراء عنها حتى إذا حان وقتها دخلوا المسجد بقدر ما يدركون الصلاة ولو الركعة الأخيرة.

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) أنه دخل المسجد يوم الجمعة فوجد ثلاثة سبقوه فتأسف على فوات فضله سبق لما كان يسمع من رسول الله ﷺ "إن الناس فى رؤية ربهم فى الجنة على حسب السبق يوم الجمعة" فقال متأسفاً "رابع أربعة، وما رابع من الله ببعيد". فانظر ما حال من لا يجىء إلا والإمام أحرم، أوفى الثانية خصوصاً؟ وقد روى الشيخان عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "من اغتسل يوم الجمعة فسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن،

ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر".

فعدنا معشر المالكية محمول على ساعة الصلاة. والمراد تقسيمها أى من جاء فى القسم الأول من ساعة الصلاة فكأنما قرب كذا، أوفى القسم الثانى وهكذا، وقد ورد وعيد كبير فى التهاون بأمر الجمعة أو تركها أورده الديلمى وغيره. من ذلك قوله ﷺ " لا يزال العبد متهاوناً بالجمعة حتى يغضب الله عليه"، ومنها ما رواه مسلم فى صحيحة عن أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره "ليستين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين" [الودع]: بفتح الواو وسكون الدال: الترك، ومنها ما رواه الطبرانى من حديث أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع إلى الجمعة، ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غنى حميد"، ومنها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال "من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة طبع الله على قلبه".

ومن مثالبهم: الغفلة عن فضائل الجمعة كالصلاة على النبى ﷺ، وما طلبت قراءته من القرآن يومها وليتها كسورة الكهف: فقد ورد عن أنس كما روى البيهقى فى شعبة أن رسول الله ﷺ قال "أكثرنا من الصلاة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كتب له شهيداً وشافعاً يوم القيامة" وقال ﷺ "من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين" رواه النسائى عن أبى سعيد الخدرى، وفى كشف الغمة: فى آداب

اليوم والحضور. قال أبو هريرة (رضى الله عنه)، وكان رسول الله ﷺ يحث كثيراً على الصلاة والتسليم عليه يوم الجمعة وليتها، ويقول "أكثروا على من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهر فإنه يوم مشهود، ما من عبد يصلى على فيه إلا عرضت صلواته على حين يفرغ منها، قالوا يا رسول الله كيف تعرض عليك صلواتنا وقد أُرمت: يعنى بليت، فقال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" [وأُرمت]: بفتح الراء وإسكان الميم وفتح لئاء المخففة: أى صرت رميمًا. قال وسيأتى فى الباب الجامع للأذكار أن أقل الأذكار سبعمائة مرة فى النهار انتهى منه بحروفه. وقد ذهب بعض العلماء إلى أفضلية الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليتها عن صلاة النافلة وقراءة القرآن إلا الكهف ويس.

ولكون إخوان العصر لا يعرفون إلا اللغو فى المساجد أو حديث الدنيا، والصالح فيهم يجلس ساكتًا لا يصلى على الرسول ولا يقرأ لأنه مشغول البال، إما بغير الله أو بغلبة النوم وقتئذ: بل لا يعرفون غسل الجمعة مع أن بعض العلماء أوجبوه، ولا الطيب ولا السواك ولا غير ذلك من آدابها، ومع ذلك هى عندهم الفرض الأهم فيحضرونها، ويفرطون فى غيرها: فلا تجد جماعة أعظم منها يمتلئ المسجد من المصلين، وبعدها قد يصلى الإمام وحده أو بجماعة قليلة ليس فيهم من التجار ولا الأغنياء إلا القليل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم أصلح حال أمة نبيك، وأزل عنهم حجاب العمى حتى يعرفوا ما عليهم من حقوق العبودية.

ومن مثالبهم: رفع الصوت فيه بتلاوة القرآن أو بالصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، ولا يخفى ما ورد من النهى فيه ما لم يشوش على نحو

مصل وإلا حرم، ومنها السؤال فيه بالقراءة وبغيرها، ولا يخفى ما فيه من الوعيد، ومنها دخول الصبيان فيه والصبيان لا تحترز عن القدر، وذلك يؤدي إلى عدم تنظيف المسجد، وقد ورد الأمر بتنظيفها، وفي الحديث "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم"، وكذا المؤذنون لا غيرة لهم على بيوت الله: بل إنما قصدهم التوصل إلى تلك الرواتب الشهرية لا غير، وسيأتى لنا مزيد كلام فى هذا الموضوع فيما بعد بحول الله.

ومن مثالبهم: التى أفسدت عليهم صلاتهم وأعمت بصائرهم كثرة نومهم حالة الخطبة فقد وجدنا أكثر أهل المسجد حالة خطبة الجمعة الإمام نائمين، ولا شك أن النوم الثقيل القصير من نواقض الوضوء، وعلامته أن تنحل حبوته أو يسيل لعابه أو تسقط السبحة من يده أو لا يتفطن لشيء من الخطبة، وكل ذلك قد كان لعدد منهم، ولا شك أن الإنصات للخطبة واجب اتفاقاً وكذا الصمت ولو لغير سامع ولو بخارج المسجد، وبالجملة فحال الناس اليوم فى هذه القرية بئس الحال.

وبينما نحن جلوس على هذا الحال: إذ وقف بإزائنا فضيلة الفقيه أبى عبد الله أحد المثربين بهذه الحضرة المراكشية فلم وجلس أمام الشيخ عبد الهادى وطلب منه أن يشرفه هو ومن معه بالقدوم لمحلته، فلبى دعوته واستصحبناه إلى أن وصلنا منزله، فتهلل وجهه سروراً، وامتلاً طرباً وجوراً. وأدخلنا إلى روض فسيح، ذى منظر بهيج وهواء صحيح، مملوء بطيور مطربة ينشيشها^(١) رافلة فى الملابس المجددة من ريشها، وفيه من الأشجار التى أكلها دائم، وحملها النفع المتعدى لازم، وورقها على الدوام غير زائل، وقدود

(١) النشيش صوت الماء وغيره إذا غلى اهد قاموس.

أغصانها تخجل كل رمح زابل، ولعمر الإنصاف لهو روض فى مطالع السرور
عالى، وقدره فى المتزهات غالى، ويدر إشراقه بالسعود متلالى، وبه الغريب
عن أوطانه سالى.

وبالجملة فهو روض أمن وأمان، وحسن وإحسان، وأنهار وجنان، وفيه
ما تشتهيبه الأنفس وتلذ الأعين، وتحار فى وصف حسنه الألسن، ولسعادة
الخط ما كاد يستقر بنا المجلس حتى دخل علينا حضرة العلامة اللوذعى
صاحب الشمائل المرضية، أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله المراكشى:
فابتهج بمجيتنا ابتهاج الكرام، وأثنى على صاحب المنزل، لكونه السبب فى
هذا الإكرام. ثم بعد هنيهة فاضت أنهار الأطعمة الفاخرة، فأكلنا مريئاً،
وبعد تناول الجميع أكواب الشاى المعبر.

بيان ما عليه المدعون للصلاح

وانتسابهم لطريق الصوفية

وفى أثناء الاجتماع طلب الفقيه المذكور من الشيخ عبد الهادى أن يأخذ
بيده فى طريق القوم، وقال منذ زمان وأنا أتطلب شيخاً عارفاً يأخذ بيدي،
ولم أجد لمعرفته حيلة، وخفت من الوقوع فى حسابل هؤلاء المدعين فى
الوقت، الكذابين الذين لا سبيل لهم سوى جمع الأموال، وادعاء حقيقة
المعرفة والوصال، حتى تخيل العلمى من ذوى الحقيقة والأحوال، بل هم من
ذوى السخط فى العاجل والمآل، ظهوروا بأشكال مختلفة وألوان متنوعة، وبدع
وأهواء، وكذب وافتراء، ظهوروا بمظهر العلماء العاملين، وفى الحال انكشف
النقاب، عما خفى من تلك التلبسات التى اصطادوا بها الجاهلين.

رأيت أحوالهم اليوم كلها مناقضة لأحوال السلف الصالح أكلاً وشرباً ولباساً وإقبالاً على الدنيا، ورغبة في الرياسة، وتهافتاً على أبواب الظلمة إلى غير ذلك مما لا يسعهم إنكاره.

رأيت طرقهم متميزة عن بعضها امتياز النوع والجنس، وكل منهم يرى أخاه المسلم بالعين التي يرى بها الأجنبي عن الدين، وصار صاحب كل طريق يعمل على حدته، ساعياً وراء خصوص مصاحه وإن أضر بمصالح غيره. حتى أنني أمعنت النظر وحققت الحال، فوجدت أنه لم يبق للوحدة الدينية وجود إلا في الخيال، وهذا غاية مرمى الشيطان ورضاه، فلا يرضيه إلا أن يتظاهر أهل كل مذهب بما يوجب الاستيلاء على غيره بكل ما يستحق من الوسائل القولية أو الفعلية.

وما هذه الطوائف الوقتية إلا تلوينات عوجاء، بل أفاعى رقطاع، ابتكرتها مخيلة شيطانية، ومهما أردت التفاهم من أحد منهم والتعرف إلى شخصيته وما تنطوى عليه ضلوعه من الأمنى والرغبات، وقمت تبحث عنه فى ميادين جهاده، وساحات حروبه ونضاله، وقعت على أعمال تآبها شريعة خير المرسلين.

فقال له الشيخ عبد الهادى: لقد ظهر لى من حالك أنك رجل عاقل بحاث كبير، وغاية ما أقول لك فيهم: أنهم يلعبون بالشرع الشريف ويطبقون الدين على أهوائهم، ويفسرون القرآن بغير معناه، ويجعلون ذلك مصيدة للمال، ولا جدال فى أن كثيرين من هذه الطوائف جناة على الأمة الإسلامية أما بجهلهم وجمودهم، وإما بتلاعبهم بالشرع، ومحاولتهم اصطيداد الدنيا بشكبة الدين، وإذا قرعهم إنسان بما جاء من الكتب أو السنة أطلقوا فيه ألسنتهم بالسب: بل ربما كفروه أو فسقوه أو رموه بكل شنيعة.

وبالجملة فإن الجهل الذى عليه طوائف هذا الزمان جهل هائل لا دواء له إلا التعليم والإرشاد، ولو أن هذه الطوائف توقفت إلى أن تتربى بتربية الكتاب والسنة، وتتأدب بأدابهما لاستراحت مما هى فيه من إثم وفساد ومما تعانيه من شرور وموبقات، ولكن (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

ثم قال الفقيه المذكور: للشيخ عبد الهادى، ولقد قصدتك فى هذا لما اشتهر عندى وعند غيرى من أكابر علماء هذه الحضرة المراكشية بأنك رجل من أبر الناس بالإسلام، ومن أكثرهم علمًا به، ومن قدموا على المخاطر التى تفوق الحروب الدموية، فى التوصل للسنة المحمدية، وبهذه النظرة الواسعة، والصبغة المتسعة صرت عندى أكبر آية فى ذلك.

فقال له الشيخ عبد الهادى: إن كنت قصدتني لأجل ما ذكرت فلست بصدده، وإنما مقصودى هو الرغبة فى العمل بالكتاب والسنة المحمدية اللذين عما روح الحياة الاجتماعية، وفيهما نجاح الأمة حالًا واستقبالًا كما لا يخفى، وغاية ما أوصيك به وأدلك عليه هو أن لا تهمل إصلاح دينك وإصلاح بدنك اللذين تبلغ بهما سعادة الدارين، أما إصلاح الذات فإن تبادر إلى رفع كل مرض تتوقعه بأى وجه من وجوه أسبابه، وإلى المحافظة على قوتك، وتجديد دمك باستعمال كل ما فيه صلاح لذلك، وأما إصلاح دينك فبمتابعة الكتاب والسنة المحمدية لا غير.

وأما التصوف فى عصرنا اليوم: فقد أصبح زيه حباله الدنيا وشبائه يصطاد بها قلوب من لا يعرفون من الدين إلا اسمه، وما هو إلا اغترارات بأباطيل يختلقها الجاهل. وتمسكات بخزعبلات يفترها المدعون بهذه الدعوة الفادحة.

وقديماً كشفت علماء الشريعة الغطاء عن أمر هؤلاء المتصوفة، وبينوا مثالبهم ومخالفتهم للشرع القويم من كل وجهة، وأنهم أضل الناس من كل جهة، وليعلم كل واحد أن ليس المراد بقول الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً) طريقة من هذه الطرق التي تمسك بها هؤلاء، وحملهم على التمسك بها متفقهة أهلها بالإتيان ببعض الأدلة من الكتاب والسنة في غير محلها، واستعمالهم التقية في دعاويهم المشقية. قال الإمام الحافظ الحجة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله في كتابه [نقد العلم والعلماء، أو تلبس إبليس] ما نصه: قد بالغ إبليس في تلبسه على قدماء الصوفية، فأمرهم بتقليل الطعام وخشونته، ومنعهم شرب الماء البارد فلما بلغ المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم، ورفاهية عيشهم.

ولقد زيف طرقهم من كل وجه بالنصوص الصحيحة الصريحة، وأبدى في ذلك وأعاد، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وقال الإمام الحافظ الحجة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية في كتابه [إغاثة اللهفان، في مصائد الشيطان] ما نصه: ومن كيده ما ألقاه إلى جهل المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات، وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقاً إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان، وأغناهم عن التقييد بالسنة والقرآن، فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها، وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا وأهل الرياسة، والفقهاء وأرباب العلوم، والعمل على تفرغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم، فلما خلا من

صورة العلم الذى جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفًا وعيانًا.

فإذا أنكره عليهم ورثة الرسول. قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم الفشور، ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار. ثم أحالهم فى سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها من الآيات البينات، وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات، فلا تعرض على السنة والقرآن، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان.

فلغير الله، لا له سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات وأنواع الهذيان، وكلما ازدادوا بعدًا وإعراضًا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم.

ثم قال ابن القيم: بعد كلام، ومن كيده أنه يحسن إلى أرباب التجمل والزهد والرياضة العمل بهواجسهم ووقائعهم دون تحكيم أمر الشارع، ويقولون: القلب إذا كان محفوظًا مع الله كانت هواجسه وخواتره معصومة من الخطأ. وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم. فإن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية، وشيطانية، ونفسانية، كالرؤيا، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت والشيطان يجرى منه مجرى الدم، والعصمة: إنما هى للرسول صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله عز وجل وبين خلقه فى تبليغ أمره ونهيه، ووعدده ووعيده، ومن عداهم يصيب ويخطئ، وليس بحجة على الخلف.

وقد كان سيد المحدثين الملهمين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول

الشيء فيرده عليه من هو دونه، فتبين له الخطأ، فيرجع إليه، وكان يعرض هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة، ولا يلتفت إليها، ولا يحكم بها ولا يعمل بها.

وهؤلاء الجهال يرى أحدهم أدنى شيء، فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة، ولا يلتفت إليهما، ويقول: حدثني قلبي عن ربي، ونحن أخذنا عن الحى الذى لا يموت، وأنتم أخذتم عن الوسائط، ونحن أخذنا بالحقائق، وأنتم اتبعتم الرسول، وأمثال ذلك من الكلام الذى هو كفر والحاد، وغاية صاحبه أن يكون جاهلا يعذر بجهله، حتى قيل لبعض هؤلاء: ألا تذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الملك الخلاق، وهذا غاية الجهل، فإن الذى سمع من الملك الخلاق: موسى بن عمران كلیم الرحمن .

وأما هذا وأمثاله فلم يحصل لهم السماع من بعض ورثة الرسول، وهو يدعى أنه سمع الخطاب من مرسله، فيستغنى به عن ظاهر العلم، ولعل الذى يخاطبهم هو الشيطان، أو نفسه الجاهلة، أو هما مجتمعين ومنفردين، ومن ظن أنه يستغنى عما جاء به الرسول بما يلقي فى قلبه من الخواطر والهواجس، فهو من أعظم الناس كفراً. انظر تمامه.

وقال الإمام الشعرانى رحمه الله: فى كتابه "موازين الرجال القاصرين" ما نصه: وسبب ترك العارفين فتح باب المشيخة والتسليك فى هذا الزمان شهودهم كثرة البلايا النازلة على الخلق ليلاً ونهاراً، وعلمهم بأن الأمر نازل إلى وراء، وقد اشتد الأمر، ولا يزيد الأشدة حتى تكمل الدورة وتقوم القيامة، فإذا علمت هذا علمت أن ترك العارفين فتح هذا الباب فى هذا

الزمان هو الصواب، فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته وبصره من هؤلاء المدعين للمراتب والمتنازعين عليها انتهى بلفظه .

وبهذا يظهر لك أن الصوفية الذين سلكوا على منهج السلف الصالح، فقدوا وماتت علومهم، وطمست طرقهم، واندست أذواقهم، ولم يبق على منهاجهم اليوم أحد.

نعم بقى ذوو الأباطيل والغرور والدعاوى الكاذبة: كما ترى .

وقد نقل عن الشيخ أبي العباس الحضرمي أنه قال: لو طفتم من أقصى المغرب في طلب مرید مستقيم الإرادة ظاهراً وباطناً وكل وجه ما وجدتموه، فكيف بالعارف الكامل؟ انتهى كلامه .

ومعلوم أن الشيخ لا يصل لرتبة المشيخة غالباً إلا بعد رتبة المريديية . وها أنت ترى أنه لا توجد مريديية على حقيقتها .

ذلك في وقت الشيخ الحضرمي، فكيف في وقتنا هذا الذي التبت فيه الطرق، وطمست آثارها على المرید والمراد حتى آل الأمر إلى أن من لم يكن مریداً قط لا حقيقة ولا مجازاً يدعى الشيخوخة ويخبر بالشيخوخة الجهال والضلال من جهالته وضلالته، حرصاً على انتشار ذكره وشهرته، وكثرة مريديه .

وقد جعلوا اليوم هذا الشأن العظيم لعب الصبيان، وضحكة الشيطان حتى يتوارثونه كلما مات واحد منهم يجلسون ابنه مقامه صغيراً^(١) كان أو

(١) كما حدث بمصر القاهرة: أنه منذ ٣ سنين توفي الثرى الشهير السيد عبد الرحيم باشا الدمرداش شيخ طريقة السادة المحمدية الدمرداشية فجلس مكانه بأمر مشيخة السادة الصوفية حفيده السيد مصطفى منير . البالغ من العمر ٦ سنين .

كبيراً، وينزلونه منزلة المشايخ: كما ترى فى وقتك هذا وقبله بأزمئة كثيرة. فهذه مصيبة قد عمت، والطريقة من أزمان قد تمت، فاندردت آثارها، وانمحت أنوارها.

قال أبو العباس الحضرمى: قد ارتفعت التربية بالاصطلاح فى سنة أربع وعشرين وثمانائة من جميع الأرض ولم يبق إلا الإفادة بالهمة، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

قال الشيخ زروق عقب هذا الكلام: ثم بعد كلامه هذا، يعنى الإمام الحضرمى تبعت الطرق التى بأيدى الناس اصطلاحية، فلم أجد مع أحد منهم حقيقة ولا طريقة إلا مجرد النسبة، يعرف ذلك من تأمله معتنياً انتهى كلامه. والشيخ زروق هذا تلميذ للشيخ الحضرمى رحمه الله.

وقال الإمام اليوسى رحمه الله: قد نص شيوخ الطريق على انقطاع التربية المصطلح عليها من أزمان، وكرهوا السلوك عليها والتسليك انتهى.

وقد نص الأئمة الأعيان رضوان الله عليهم: على أن التربية الاصطلاحية مطموسة لا يمكن لأحد الأخذ عليها كما قال الشيخ أبو مدين رحمه الله:

واعلم بأن طريق القوم اليوم دراسة، وحال من يدعيها اليوم كما ترى. وذلك فى زمن أبى مدين، وكان فى المائة السادسة، لأن وفاته كانت سنة أربع وتسعين وخمسمائة، فأحرى اليوم الذى هو سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وألف وقبله بأزمان.

فمن ادعاها اليوم، فالحال يكذبه، لأن أحوال السلف الصالح رضوان الله عليهم غير خفية، فنحن نرى من ادعى ذلك أحوالهم كلها مناقضة

لأحوال السلف الصالح أكلا وشرباً ولباساً وإقبالا على الدنيا، ورغبة في
الرياسة وتهافتاً على أبواب الظلمة إلى غير ذلك مما لا يسعهم إنكاره.

فلذلك قال الشيخ أبو مدين: من يدعيها، وسمى ذلك دعوى لا غير
وقال حال من يدعيها يكذب في دعواه، فلو كان عاقلاً ما ادعى أمراً وهو
يحمل منه شاهداً عليه.

وبالجمله فمسالك هذه المطالب اليوم مجاهل ليس فيها أعلام ولا موارد
ولا مناهل، هيهات قد اضمحلت تلك الرسوم وخلت من الأرواح هاتيك
الجسوم. فلا دليل لطالبها ولا رفيق، ولا مساعد ولا معين ولا شفيق:

ما في الديار أخو وجد تطارحه حديث نجد ولا خل تجاربه

بل لا تجد إلا متعاصياً للحق، مطاوعاً للهوى، متظاهراً بالوفاق، وأنت
بالعدوة الدنيا وهو بالعدوة القصوى، إذا استنصرته انخذل، وإذا ناصحته
جادل، أو جالد^(١) وعذل، وإذا استتبعته ذهب على غير سبيل، وانتسبت
لأدنى قبيل، وإلى الله سبحانه المشتكى، وإلى جنابه العزيز الاستناد وعليه
الاتكاء.

وذكرت لك هذا يا فقيه كى لا تغتر بى فى طلبك هذا منى، ولا بغيرى
من المتغربين، وأزيدك على هذا ما ذكره الشيخ العلامة المؤرخ أبو العباس
أحمد الناصرى السلاوى رحمه الله: فى كتابه الاستقصاء. ونصه: قد ظهر
ببلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة، لا سيما فى المائة العاشرة، وما
بعدها بدعة قبيحة، وهى اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ

(١) أى تصلب ولم يمثل.

الذين عاصروهم، أو تقدموهم ممن يشار إليه بالولاية والخصوصية ويخصونه بمزيد المحبة والتعظيم، ويتمسكون بخدمته، والتقرب إليه قدرًا زائدًا على غيره من الشيوخ بحيث يرتسم في خيال جهلهم أن كل المشايخ أو جلهم دونه في المنزلة عند الله، ويقولون نحن أتباع سيدى فلان، وخدم الدار الفلانية، لا يتحولون عن ذلك ولا يزولون خلفًا عن سلف، وينادون باسمه، ويستغيثون به، ويفزعون في مهماتهم إليه معتقدين أن التقرب إليه نافع، والانحراف عنه قيد شبر ضار، مع أن النافع والضار هو الله وحده. وإذا ذكر لهم شيخ آخر ودعوا إليه حاصوا حيصة حمر الوحش من غير تبصر في أحواله، هل يستحق ذلك التعظيم أم لا؟ فصار الأمر عصيبا، وصارت الأمة بذلك طرائق قدا، ففي كل بلد أو قرية عدة طوائف وهذا لم يكن معروفا في سلف الأمة الذين هم القدوة لمن بعدهم انتهى كلامه. وزد على ما ذكره هذا الفقيه المؤرخ أن كلا من هذه الطوائف يعتقد أن ما هو فيه هو الحق وغيره على الباطل. وذاك على دين، وهذا على دين. وهذا خروج بالمرّة عما يأمر به الدين - إنما المؤمنون إخوة - والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

فعليك يا فقيه أن تقى نفسك وبنيك من شرك هؤلاء الأوغاد، وإلا تعرضت لأخطار جسام. واعتقادات فاسدة عظام.

ثم أن الشيخ عبد الهادى التفت إلى الشيخ عبد الباسط وقال له: ما عندك في هذا الموضوع؟ فقال لو ذكرت ما عندي فيه لسمعت العجب العجاب: فقال له شنف أسمعنا بذلك يا عبد الباسط، فأنت بعيوب أهل زمانك أدرى. قال كنت من صغرى مشغوبا بمطالعة كتب القوم خصوصا كتب الشعرانى رحمه الله، وغالب كلامه فيها التحريض على التعلق بالشيخ

المربي الحى، واشتد شغفى بذلك، وصرت أتطلبه إلى أن ظفرت به على زعمى، وغرنى سمته وقشقة لسانه، وصاحبته زمنا طويلا وسفرا وحضرا واطلعت على مساوى ظهرت عليه عديدة يأبها الشرع المحمدى وغضضت الطرف عنها، وكنت أقول: كل ذلك تلوين واختبار، وبعد مدة كتبت له مناقب نقلتها عن بعض جهلاء طريقته، وزدتها تميما كى يخلد ذكره فى عظمة الرجال. اغترارا بظاهر الحال وادعائه على رءوس الأشهاد ما هو من قبيل المحال.

ومن أغرب ما يسمع أننى كنت أرى أن كل غضب ولو من الأم والأب لا شىء إذا رضى الشيخ، حسبما سمعته منه مرارا، ولذلك أعرف كثيرا من المغرورين بحبه عقوا آباءهم وتركوهم فى محبة طاعته مع سرورهم بذلك كل السرور، لأن عندهم طاعة شيخهم مقدمة على طاعة والديهم عملا بما يقرره هو فى غالب مجالسه الواهية العنكبوتية، وأخبرك يا سيدى بما رأيت فى هذا الرجل، ولك منى قسم بالله العظيم على صدق ما أقول:

رأيت منه الغش للمسلمين، والكذب على الحاضرين والغائبين، والعمل بدون دليل. واحتقاره المسلمين، وطعنه فى رؤساء الدين، وكل من تبعه إنما تبعه اغترارا بظاهره الجميل، ولقبه الفخيم، ودعواه الطويلة العريضة فى أنه قطب الزمان وغوثة، وكذا وكذا، ولكن فى أقرب مدة يظهر لك ما انطوت عليه سريرته، وكم من كبراء وعلماء ورؤساء أخذوا عنه. ولما تحققوا من حاله تركوه وتبرءوا منه، وكان يتفعل فى أمره كل التفعل، ويدخل على الناس بحيله الباطلة كل مدخل، ويغريهم بشأنه أنه تخلص من حظ النفوس، ودخل حضرة القدوس، وأنه من الأقطاب الواصلين، بلغ فى العرفان أعلى

عليين، وكم دخل على المرأة الباهرة الجمال وادعى أنها ابنته وزوجها ولده في طريق الرجال، وبياسطها ويلاطفها، وهى فى أكمل زيتها وأبهر حليها متبرجة تبرج الزوج لزوجها، وهى تعتقد أنها نالت البركات، وكذلك زوجها يدخل عليه السرور لتشريف شيخه بمنزلة لزيارة زوجته. يود من منحه عوائده ويغض من مل وقطع عنه فوائده. يدعى ظهور الكرامات ونفوذ السر فيمن أحبه، والغضب على من خالفه. يستهوى عقول الصغار. ويحارب الناصحين من الكبار. يتغالى فى إضافة الأفعال إليه والى الرجال. ولا تخطر بعقله ما فى ذلك من قبيح الضلال.

ولما رأيت آثاره هذه آثار مرض فى العقل لا آثار رجال عالم مرشد، وإن كل ما عليه بدع وضلالات، يجب على كل مؤمن أن يتوقاها، ويتوقى أهلها لئلا يصبح من عدادهم مبتدعا، تبرأت منه، وانسلخت من أفعاله وأقواله وأحواله: كانسلاخ الشهر من سننه، والرجل من ثيابه، والحية من قشرها، والنهار من الليل.

وأزيدك مما شاهدت مرارا: أنه مهما تكلم معه أحد كلمة تؤلمه، أو عامله معاملة لا يرتضيها، أو إهانة بأى نوع من أنواع الإهانات، أو انسلخ من طريقته يجعل حضرته يترقب الدواهي والمصائب من أجل ما فرط منه فى حقّه، فإذا اتفق وحدث لذلك المهين لحضرته أى حادث من الحوادث التى تؤلمه، فهنا يوم العيد الأكبر عنده، ويوم السرور الذى لا يعادله سرور، والنعمة التى يعتقد أن الله لم ينعم عليه بمثلها، ويأخذ من فرحه وسروره يذكرها بين مريديه غرورا وفخرا وإعجابا، ويقول: الأولياء عطايون، من تعرض لعم عطبوه، ويمثل بذلك الذى أهانه، ويقول انظروا ماذا حل بفلان،

وسترون ما يحصل له غير ذلك من أنواع البلايا والمصائب، ولا يسأل القارئ عما يحصل من حضرات المريدين بعد أن يسمعوا من فم حضرته تلك الحادثة، يحصل في أوراق من زيادة ونقص وتصرفات يصل بها إلى حد المعجزة، كمعجزة عصى موسى وأمثالها، وقد يشافهون المصاب بأنه ما أصيب إلا من أجل سيدنا الشيخ، وهذا جهل عظيم، وغرور يأبى أن يعادل بغرور، وذلك أن هذا ينطق بأن حضرة الشيخ يفهم في نفسه أنه عند الله تعالى عظيم وله مكانة بها يتتقم له، ممن يتعرض له بإيذاء، وهذا بعينه الرضا عن النفس الذى قالوا أنه لا يوجد فى مرید ويفلح بحال، وإذا كان هذا قولهم فى المرید، فليعجب القارئ من اتصاف جناب المرشد به الذى انتهى من التلمذة، وأصبح يتربع على سجادة المشيخة يأمر بلسان الشرع وينهى، وهو والله إنما يأمر عن هوى نفسه، ثم إن ذلك أيضاً نوع من الشماتة، بل أستطيع أن أقول أنه أفبح تظهر فيه الشماتة.

وقد ورد النهى عن إظهار الشماتة لئلا يعاف المصاب ويصاب بالبلاء الشامت فيه، ولكن حضرة المرشد لا يعرف هذا، ولو عرفه لا يعرف العمل به، على أن الذى يأمرنا به ديننا المحمدى أننا نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا من الخير، ونكره لهم ما نكره لأنفسنا من الشر.

وقد أشرت لك يا سيدى بهذا، واختصرت فى الإشارة لتزداد علماً بأن زماننا فيه عجائب وغرائب تظهر على يد من يزعمون أنهم هداة الناس وأدلاء العباد.

فقال له الشيخ عبد الهادى: وأى شىء بلغنك منه ومن أصحابه بعد هذا. قال أما تناول الفحش ومنكر القول بحضرته، على رءوس الأشهاد فذاك

طبيعته وديدنه كل يوم خصوصًا عند المائدة، ولكن أعذره هو وأتباعه في الكلام في شأني ومهما قالوا وكذبوا، فأنا لا ألومهم، لأنني كتبت ما جر عليهم تلك الولايات، وأسقطهم من أعين الناس: كسقوطهم من أعين الله، فأنا لا أغضب من شتائم رجل، وقد ذبحته بيدي، فهو يأكل الأرض بأسنانه ويحفرها بيده ورجليه، ومن ألم الذبح يشتم ويسب. ومن هذا حاله ظلم أن يغضب منه ذابحه، بل وأن يلتفت لظعنه وسبه. سيما والناس لا يتهيبون الزور من القول فيمن يخالف مشاربهم كائنًا من كان.

حكم من يدعى أنه من أكابر علماء الإسلام

والمرشدين وهو مرتكب لما يخالف الشرع

ثم إن عبد الباسط التفت إلى الشيخ عبد الهادي وقال له: ما رأيك فيمن يزعم أنه من أكابر علماء الإسلام ومرشديه، وهو يتلذذ بسماع هذه الآلات الوقتية، ويقطع جل حياته لذة وطربًا بها حتى أداه شغفه به إلى أن وضع فيه مؤلفًا احتج فيه بدلائل عنكبوتية. وخرافات واهية تمجها الأسماع، وتنفر منها النفوس السليمة.

فقال الشيخ: لم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر من سلوك سبيلهم. واقتفاء أثرهم من جميع طوائف الأمة، ويكفي فيه قول الإمام مالك (رضى الله عنه) لما سئل عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال إنما يفعله عندنا الفساق.

وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب، وكذلك مذهب أهل الكوفة: سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك، ومذهب أبي حنيفة في ذلك أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال،

وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهى كلها كالزمار والدف حتى الضرب بالقضيب، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة، وأبلغ من ذلك ما قالوه: أن السماع فسق والتلذذ به كفر، هذا لفظهم.

وأما الشافعى فقال: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه، وأنكروا على من نسب إليه حله.

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشى المالكى رحمه الله بعد كلام فى هذا الموضوع، ولا ينبغى لمن شم رائحة العلم أن يتوقف فى تحريم ذلك: فأقل ما فيه أنه من شعائر الفساق وشاربى الخمر، وكذلك قال أبو زكرياء النووى فى روضته.

وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذى جمع الدف والتشابه فقال فى فتاويه: وأما إباحة هذا السماع وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله فى الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع، والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعى إنما نقل فى الشبابة مفردة والدف منفرداً، ومن يتبع ما اختلف فيه العلماء وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد.

قال: وقولهم فى السماع المذكور أنه من القربات والطاعات: قول مخالف لإجماع المسلمين ومن خالف إجماعهم فعليه ما فى قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً).

ورضى الله عن سفیان بن عیینة إذ يقول: احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل: فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، ومن تأمل الفساد الداخلى على الأمة وجدته من هذين المفتونين .

وقال فى " القول الوثيق " فى الرد على أدعاء الطريق " ما نصه: ذكر العلماء فى كتب الفقه: أن الطبل والزمر لا يسوغ فعلهما ولا استماعهما إلا فى بعض الولايات الشرعية كولىمة النكاح لمصلحة دينية، لا لمجرد اللهو واللعب: فلا يسوغ اتخاذهما فى الذكر الذى هو أفضل الأعمال والطاعات التى يتقرب بها إلى الله تعالى: على أنه مهما رخص فى استعمال آلات اللهو فى مواطنها المشروعة، فذلك إنما هو إذا استعملت منفردة فى مكان على حدة بعيدة عن مجالس الذكر والعبادة التى لا يسوغ للداخل فيها أن يتشاغل من مناجاة الحق سبحانه بأى نوع من أنواع السوء فضلاً عن استعمال آلة الطبل والمزمار والتصفيق ورفع الأصوات بالألفاظ الساذجة ونحو ذلك مما لا يستطيع أحد أن يفعله بحضرة من له شوكة وبأس من الخلق، وإن فعله عد مستخفاً أو ماجناً أو مجنوناً فكيف يفعل فى ساحة الذكر، والذاكر جليس الحق يناجيه بأسمائه الحسنى وصفاته المقدسة: إلى أن قال: وأما التصفيق بالأيدى كما يفعل هؤلاء الجهلة فى الذكر فهو من البدع المنكرة التى ليس لها أصل فى الدين، بل ذلك من بقايا الجاهلية الأولى. قال تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصديّة) على أن مثل هذا الفعل إذا صدر من أحد فى غير حالة الذكر لام عليه الناس وعدوه مجاوزاً حد الكمال والأدب. فكيف به فى حالة الذكر التى ينبغى أن يكون الإنسان فيها على أكمل الحالات.

حكم الرقص فى حالة الذكر

فقال عبد الباسط : وما رأيك فيما عليه هؤلاء الطوائف من الرقص والتواجد .

فقال الشيخ : ألم يبلغك ما كتبه علامة زمانه ، وأحد محدثيه ، الشيخ محمد الخضر الشنقيطى فى هذا الموضوع ، وسماه [تصوف السعادة والنجاح ، والرد على متصوفه الرقص والصياح] . قال بلغنى : وكفى به حجة . قال هل تريد زيادة على ذلك . قال نعم : قال سئل الإمام أبو بكر الطرطوشى المالكى عن مذهب الصوفية واجتماعهم على الذكر والصلاة على النبي ﷺ ويوقعون بالقضيب على آلة ، ويقوم بعضهم برقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا رحمكم الله .

فقال : مذهب هؤلاء بطالة وضلالة وجهالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار . فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجل ، وأما التوقيع فأول من اتخذ الزنادقة ليشتغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وكان النبي ﷺ يجلس مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار اهـ .

وقال الإمام الغزالي : الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب وقال ابن عقيل ، وهل شئ يزرى بالعقل ويخرج عن سمت الحلم والأدب . أقبح من ذى الحية يرقص : فكيف إذا كانت شبيهة ترقص وتصفق على توقيع الألمان والقضبان .

فقال عبد الباسط عند هذا : وهذه إحدى المساوىء التى كنت أكرهها من

الشيخ المحدث عنه، وهو أنه كان يرقص على توقيع الألحان بجميع آلات الملاهى كلها، ويبغض من لا يوافقه على ذلك، وكان كثير الإنشاد بنينى وأنا أنا. وإنى والله فى عجب شديد من هذا الرجل لكونه يدعى أن له القدم الكبير فى متابعة السنة المحمدية، وحاله ما أرى.

فقال عبد الهادى: أما الذكر بنينى وأنا أنا فأقل مراتب هذه المقالة الشنيعة الحرمه لأنه إن أريد بها أن ذات القديم عين ذات الحادث: فذاك نوع من الاتحاد والحلول الذى ذهب إليه النصارى، وبعض غلاة الشيعة، وأن أريد غير هذا مما يصح به المعنى فلا يسوغ ذكره شرعاً ولذلك أفتى العلماء بقتل الحلاج، ولفى أبى يزيد البسطامى حينما صدر عنهما مثل هذه المقالة.

حكم تحريف أسمائه تعالى عند الذكر بها

ثم قال عبد الباسط للشيخ عبد الهادى: وما رأيك يا سيدى فى السماع عند هؤلاء القوم ومزجه بالذكر حسب الأوضاع الشعرية واختلال نظام الأذكار وقطع أوصالها.

فقال الشيخ: ومما يجب الالتفات إليه تصحيح ألفاظ الأذكار والإتيان بها على ما يطابق قانونها الشرعى من مد الممدود وقصر المقصود وغن ما تجب فيه الغنة وتوفية كل كلمة ما تستحقه من ذلك، فإن الإخلال بشيء من تلك الأحكام يؤدى إلى عدم اعتبارها شرعاً وعدم الإثابة عليها كذا قال علماء الدين المقتدى بهديهم. وفى "القول الوثيق، فى الرد على أذعياء الطريق" للشيخ محمد العدوى المالكى المصرى ما نصه:

أجمع المسلمون على حرمة الإلحاد فى أسمائه تعالى والتحريف فى آياته وعلى حرمة ذكره على وجه ينافى الإعظام والإجلال. قال تعالى (وذو الذين

يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) ولا ريب أن اللحن فى الكلمة المشرفة الحاد وتحريف فى الاسم الشريف وذكر له تعالى على وجه لا تسبيح فيه ولا تقديس، ولم يسمع عن أحد من الصحابة والتابعين ومن يعول عليه من أئمة الدين أنه ذكر الله تعالى أو قال بجواز الذكر على غير الوجه المشروع الوارد كتاباً أو سنة المتلقى من أفواه الرواة والشيوخ بالكيفية المعروفة بين أهل الأداء المضبوطة فى الكتب، وقد نصوا على أن أسماء الله تعالى توقيفية وضعاً وكيفية إلا بكتاب أو سنة صحيحة، وأن الكلمة المشرفة من القرآن والزيادة فيها كالتقص حرام، وممن نص على حرمة ذلك العلامة الأمير فى رسالته: [نتائج الفكر، فى آداب الذكر] عند ضبطه للكلمة الشريفة، والولى الشهير سيدى عبد الرحمن الأخصرى بقوله فى منظومته:

ومن شروط الذكر أن لا يسقطا	بعض حروف الاسم أو يفرطا
فى البعض من مناسبات الشريعة	عمداً فتلك بدعة شنيعة
فواجب تنزيه ذكر الله	على اللبيب الذاكراً الأواه
عن كل ما يفعله أهل البدع	ويقتدى بفعل أرباب الورع
لقد رأينا فرقة أن ذكروا	تبدعوا وربما قد كفروا
وصنعوا فى الذكر صنعاً منكراً	صعباً فجاهدهم جهاداً أكبراً
خلوا من اسم الله حرف الهاء	فألحدوا فى أعظم الأسماء
لقد أتوا والله شيئاً إذا	تخر منه الشامخات هذا

وكذا نص على هذا العارف بالله السيد محمد الغمري فى كتابه:

[الجواهر الخاص، فى أجوبة مسائل كلمة الإخلاص] ومثله فى شرح الخريدة

لأبي البركات سيدى أحمد الدردير، ومثله فى [تحفة السالكين] ليسدى محمد المنير خليفة الشمس الحنفى، ومثله فى [النفحات القدسية] ولأبى المواهب الشعرانى وغير هؤلاء بكثرة.

وجملة القول أن هذا الحكم مما تضافرت عليه أكابر الصوفية وأهل السنة والجماعة، وكما لا يجوز اللحن فى أسمائه تعالى لا يجوز قصر لفظ الجلالة وهو نقصه عن المد الطبيعى الذى لا وجود للحرف إلا به لأنه من جملة اللحن، وقد نص الفقهاء على أن الإتيان به مقصوراً إلا يعد ذكراً ولا تعتقد به يمين وتفسد به الصلاة فى تكبيرة الإحرام، وذكره الفخر الرازى وأبو السعود فى تفسيرهما، والمحقق الأمير فى [نتائج الفكر].

ثم قال بعد كلام: وأسماء الله توقيفية ولم يرد فى الكتاب أو السنة قصرها هذا الاسم الشريف، وما يتعلل به بعض القاصرين لتجويد الذكر بالاسم الشريف مقصوراً، وبغيره على أى كيفية وقع من قوله عليه الصلاة والسلام "إنما الأعمال بالنيات"، وما ينقله مشايخهم من أن هذا الذكر بهذه الهيئة كان فى عصر فلان وفلان من آبائهم وأسلافهم الغابرين فمردود بهذه النصوص الواضحة، وبأن النية لا تقتصر بالعمل على الوجه المشار إليه فى الحديث إلا إذا تمت صورة العمل وهيئته المبنية فى الشرع، وإن تشبههم بما أقره وأسلافهم وتركهم أوامر الدين فى ذلك كتشبه اليهود والنصارى بقولهم: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وما أحسن قول الأستاذ أبى المعارف فى نصيحة الذاكرين: وماذا علينا إذا وفقنا الله والرسول، وتركنا ما عليه الأسلاف والأصول. فإن الشرع حجة عليهم كما هو حجة علينا، وليسوا حجة على الشرع، فإنه يحتج به، لا عليه، فالاحتياج بالأسلاف، لا فائدة فيه ولا إسعاف، وإنما هو ذكر مساويهم، وإظهار لمعاصيهم اهـ.

قال الشيخ عبد الهادي: وقد فشا في هؤلاء المتصوفة والمتسبين لهم هذا الداء فترى الواحد منهم لا يمر على كلمة من الأذكار النبوية إلا وقد أدخل بنظامها وقطع أوصالها خصوصاً كلمة التوحيد، واللحن فيها محرم بالنصوص الشرعية، فتفطن لهذه الدسائس والمهالك التي بهؤلاء الطوائف المحدثه خصوصاً في حالة الذكر المعروفة عندهم بالعمارة، وحق لها أن تسمى بالخسرة، فليحذر الذاكر بلا إله إلا الله من قلب الهمزة ياء من إله فيقول: لا يلاه إلا الله، وما إشباع فتحة الهاء من إله أيضاً حتى تصير ألفا فيقول: لا إله إلا الله، ومن إشباع ضمة الهاء من الاسم العظيم حتى تصير واوا فيقول لا إله إلا الله - قال الله سبحانه وتعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وبهذا جاءت الأحاديث من غير زيادة ولا نقص، وهذا التحريف المذكور في كلمة التوحيد كله موجود على ما صورنا في حال سماع هؤلاء المتصوفة، ولا يستقيم لهم السير على حسب الأوضاع الشرعية إلا بوجود هذا التحريف المذكور في الكلمة المشرفة، ومن جهلهم المركب محافظتهم على قوانين الأطباع الشرعية، ولا عليهم في ارتكاب هذا التحريف المؤدى إلى الانسلاخ عما جاءت به الشريعة المحمدية، وكذلك تحريفهم لقولهم: محمد رسول الله حالة سماعهم من إشباع ضمة الميم الأولى من محمد حتى تصير واوا فيقولون موحد، ومن إشباع فتحة الحاء حتى تصير ألفا فيقولون محامد. قال الله تعالى: (محمد رسول الله).

وبالجمله: الذكر إذا كان ممزوجاً بالسماع لا يخلو من فساد بل لا بد من إخراجه عن قوانينه الشرعية كما ترى وتسمع في مجموعات هؤلاء القوم الليلة والنهارية، وهم ع هذا التلاعب يعتقدون أنهم على شيء، وليسوا على شيء.

وبهذا يتحقق لك ما نقله العلامة الشيخ الطالب ابن الحاج الفاسى فى حاشيته على الشيخ ميارة على شرح ابن عاشر عند ذكر السماع ما نصه .

قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة وفى القواعد: أكثر من يعتذر به من مشايخ المتأخرين على منعه لفساد الزمان . حتى قال محى الدين بن العربى الحاتمى: السماع فى هذا الزمان لا يقول به مسلم، ولا يقتدى بشيخ يعمل به انتهى كلامه .

وقال فى النصيحة: الصواب فى هذا الزمان تركه لما فيه من الفساد إذ أهله اتخذوا دينهم لهواً ولعباً . قال الحسن بن سالم لا أنكر السماع، وإنما أنكر ما أحدث فيه ا هـ .

ومن جملة ما أحدث فيه تصيير الأذكار النبوية بل والقرآنية على مقتضى الأطباع الشعرية، ولا يصدر هذا إلا من ذوى العقول الساقطة السافلة، وبهذا الاعتبار صارت جموع هؤلاء تلعبانه ونفوسهم لهم قاتلة .

قال فى " القول الوثيق، فى الرد على أدعياء الضريق " ما نصه: استماع الأذكار المحرفة لا يختلف حكم الاستماع والفعل فى هذه الأذكار المحرفة لأن للسماع حكم المسموع كما أن للنظر حكم المنظور حسبما تقرر فى كتب الفروع إلى أن قال: فيحرم استماع هذه الأذكار المحرفة، ويجب على السامع إنكارها والنهى عنها وبذل المجهود فى نصح الذاكرين بها وإرشادهم إلى تصحيحها جهد المستطاع ا هـ .

وإذا أردنا أن نأتى على جميع المناكر التى تشبث بها هؤلاء القوم وما تولد منها لعجز القلم عن الإلمام بكنهها .

مقدار المد الشرعى الجائز فى كلمة التوحيد

وعند هذا التفت عبد الباسط إلى الشيخ عبد الهادى : وسأله عن قدر المد فى كلمة التوحيد . فأجابهُ بأن المد فى كلمة لا وهى أداة النفى التى بعدها همزة إله لا يجوز فى الأصح نقصه عن ثلاث حركات ، وتجاوز الزيادة فيه إلى ست حركات وما بين هذين أمر واسع أربع حركات أو خمس حركات كل جائز ، هذا هو الذى تواتر عليه نقل كلام رب العالمين أفصح كلام وأشرفه ، وتسميه القراء منفصلا لانفصال الهمزة عن كلمة حرف المد ، والحركة مقدار ضم الإصبع أو فتحه بسرعة مثلا ، ويكفى فى ذلك التقريب والتخمين ، ولا يشترط فيه التحقيق والتعيين . أما مد كلمة الجلالة فلا يجوز نقصه عن حركتين ، وهو المد الطبيعى الذى لا تتحقق طبيعة الحرف بدونه ، وذلك أن الألف تقدر عندهم بحركتين . ثم إذا وصلت كلمة الجلالة بشيء : كأن تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو تكرر كلمة التوحيد مرارا متصلة من غير وقف على كلمة الجلالة فلا تزد على حركتى المد الطبيعى ، وأما إذا سكنت هاء الجلالة ووقفت عليها فتجاوز لك الزيادة فى المد إلى ست حركات لأجل السكون العارض لأجل الوقف ، ويجوز التوسط بين ذلك ، هذا ما تواترت عليه أشرف العبادات الإسلامية .

وذكر بعض أهل العلم أنه إذا مد كلمة الجلالة فى تكبيرة الإحرام للتعظيم أو استحضار النية أو غير ذلك فلا تضره الزيادة إلى أربع عشرة حركة ، وهى أقصى ما نقل عن القراء : أى ولو فى الوجوه الشاذة .

فضل لا إله إلا الله

وأحببت أن أزيدك على هذا الجواب بيان فضها اعتناء بهذه الكلمة الشريفة وتبركاً بخدمتها وتحذراً لأهلها عما ابتدع فيها.

فاعلم أنه ﷺ قال: "أفضل ما قلته أنا والنيون من قبلى لا إله إلا الله" وهو ﷺ أفصح الفصحاء، فلتقلها كما كان نبينا ﷺ يقولها بلسانه الفصيح، وذلك بمعرفة صفة النطق بها ومخارج حروفها، فيتحقق لك بالتوحيد كمال التسديد.

واعلم أن جميع حروف كلمة التشریف مرققة فلا يفخم منها إلا لام لفظ الجلالة فيها، وأما مخارج حروفها. فقد انحصرت حروفها فى أربعة: اللام والألف والهمزة والهاء، فمخرج اللام من طرف اللسان يوضع فى أصول الشاىا العليا، ومخرج الألف من أصل الجوف خارجه من محصن النفس، ومخرج الهمزة والهاء كلاهما من الحلق غير أن الهمزة أشد من الهاء وأيسر.

ونهى العلماء عن السكوت على لا إله لما فيه من إيهام التعطيل، بل يصله بالاستثناء والإثبات بقوله إلا الله بسرعة خلافاً لما سمعته من بعض هؤلاء الذين يتسبون إلى الصوفية، وما هم منهم ولكنهم قوم لا يفقهون، بل ربما انقسموا فرقتين: فرقة تقول لا إله، والأخرى تقول إلا الله، ويتواجدون فى ذلك ويستفزههم الشيطان، وليحذر مما يقع لبعضهم من تفخيم النفى، وربما مال بألفها لجهة الشفتين فتصير كالواو ووجهة وسط اللسان وما فوقه فتصير كالياء، أو يبدل همزة إله ياء، أو يشبع الهمزة فتتولد منها ياء، أو يزيد فى ألف الله على الطبعي، أو يسكت هناك سكتة، أو يشبع همزة إلا فتتولد

منها ياء، أو يثبت ألفها، فإنه لحن، بل يجب حذف الألف الأخير لالتقاء الساكنين.

وهؤلاء الجهلة يثبتونها ويمدونها ويفتون في مداها وبعضهم يمد هاء إله فيتولد من إشباعه ألف، بل سمعت بعضهم يثبت همزة الله ويمدّها حتى تصير كالاستفهام، وكل هذا مخالف لما نطق به رسول الله ﷺ وأمر به.

إذا أحطت بهذا خبراً ظهر لك بهذا خبراً ظهر لك أن جموع هؤلاء المتسبين للطريق إذا كانت معمورة بالأذكار المزوجة بأسماع على حسب الأوضاع الشعرية التي تقتضى الخلل فى الأذكار ولا بد ليست على شىء. بل كلها مناكر وبدع ياباها الشرع المطاع، فاعلم هذا واعمل به تسلم بحول الله.

السبيل لمن أراد سلوك طريق الصوفية

ثم التفت الفقيه أبو عبد الله المراكشى المذكور إلى الشيخ. وقال: يا سيدى كيف السبيل لمن أراد طريق التصوف اليوم، والتوجه إلى الله تعالى بها.

فقال الشيخ: يدرك هذا بأمرين: الأول الصدق والإخلاص، فمن اتصف بهما، فقد أدرك غاية التصوف، وعلامة صدقه ملازمة ذكر الله والزهد فى الدنيا إلا الضرورات، وشاهد إخلاصه: رفض الجاه والصيت فمن وفق لهذا القدر لا يحتاج معه لشىء.

الأمر الثانى: إن الصلاة على النبى ﷺ تقوم مقام الشيخ الحى المربى، وذلك لما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله. ففى الصلاة

على رسول الله ﷺ ذكر الله ورسوله ﷺ، وليس كذلك عكسه، فلذلك يحصل الانحراف بالذكر دون الصلاة والسلام عليه ﷺ.

وقد قال العارفون: من أراد الوصول إلى شيخ في هذا الوقت ولم يجد حيلة في معرفته، وخاف من الوقوع في حبائل الكذابين، فعليه بكثرة الصلاة والسلام على النبي ﷺ بالتأدب والحضور، واستحضار القلب أنه جالس بين يديه ﷺ وليداوم على ذلك، فإن من داوم على ذلك وكان اهتمامه بالوصول إلى الله تعالى اهتمام الظمان بالماء أخذ الله بيده وجذبه إليه، لأن الصلاة على النبي ﷺ من أعظم الوسائل إلى الله تعالى في الوصول إليه، وما لازمها أحد قط في طلب الوصول إلى الله تعالى وخاب.

وقال الشعراني في العهود المحمدية: إن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبي ﷺ من أقرب الطرق.

وقال العارف العيدروس في كتاب مرآة الشموس: يعدم المريون في آخر الزمان. وبصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبي ﷺ.

قلت: وهذا هو ذلك الزمان المشار إليه، ومن كانت له خيرة تامة بأهل زمانه تحقق له أن ادعاء المشيخة في هذا الوقت محض كذب.

وقد قدمنا لك كلام الشعراني أن ترك العارفين فتح هذا الباب في هذا الزمان، يعني باب ادعاء المشيخة هو الصواب، ولا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته وبصره من هؤلاء المدعين للمراتب، والمتنازعين فيها.

بيان الطوائف المتصوفة بالمغرب على الترتيب

ثم إن الشيخ عبد الهادي قال: لعبد الباسط: أحسبت منك أن تخبرني عن عدد الطوائف التي بأرضكم هذه، وزمن كل طائفة منهم، ومن السابق واللاحق، وصفة كل طائفة منهم كأني أعينها:

فقال عبد الباسط: أول هذه الطوائف الطائفة القادرية، وتنسب للشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى بمدينة بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة وكانت طريقته معانقة الكتاب والسنة، لكن أدخل فيها اليوم ما ليس منها وتغالب أتباعه في محبته، حتى أحقوا به ما لا يستحقه، ونسبوا إليه من الكرامات ما كاد أن يعادل المعجزات. ثم إن هؤلاء الأتباع افرقوا على فرقتين. فرقة على الأسلوب المعتاد من كونهم يجتمعون على الأذكار الممزوجة بالسماع حسب الأَطْبَاع، وذلك بعد فراغهم من قراءة الأوراد بلسان واحد، وفرقة اتخذت آلات اللهو والسماع، من تلك الآلات آلة يوقع بعضهم عليها بقضبان. ثم يقوم البعض الآخر ويرقص على حسب الأَطْبَاع ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه كالذي يتخبطه الشيطان من المس، ويجتمع على هذه الفرقة عدد من النساء في كل عيشة جمعة، وربما حضر بهذا المجتمع من النساء ما كان من الجمال بمكان، ولو نظرت في حلقة هذا الذكر على زعمهم الفاسد، كيف تهز النساء أعطافهن، ويكشفن عن وجوههن وصدورهن بين هؤلاء الغافلين لرأيت منكراً عظيماً تقشعر منه الجلود، ولا مسند لهذه الفرقة في هذه إلا اتباع الهوى، والميل عن جادة الهدى، والتوصل لأكل أموال الناس بالباطل.

ثم الطائفة التباغية: وتنسب للشيخ عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباغ المتوفى سنة أربع عشرة وتسعمائة، ولم يبق لهذه الطائفة اليوم أثر، إلا أن الذي يعمر زاويتها اليوم النساء خصوصاً عيشة الجمعة.

ثم الطائفة الغزوانية وتنسب للشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد الغزوانى المتوفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، ولهذه الطائفة اصطلاحات وأعمال غريبة، وغاية القول أنهم يلعبون بتلك النسبة ويجعلونها مصيدة للمال، ومن قبيح مثالبهم قولهم: الفاتحة فى نظير ما يوهب لهم من الناس، وذلك عند جلوسهم للراحة، فكلما أعطى أحد من الناس شيئاً قالوا: الفاتحة، وهكذا حتى يمل الناس، ولا تسأل عن تلك الألفاظ الوحشية التى تصدر منهم حالة بيع ما تحصل فى أيديهم من الشمع والخيزر، ودفع تلك النذور، ولكن هذا زمان أصم الفساد فيه أسمع أهله، وأعمى بصائرهم لا يفقهون عظة واعظ.

ومن هذه الطائفة قوم يعرفون بأصحاب الناقة. هى الناقة التى تضرب فى كل سنة على أصحاب الحرف وهم الدباغة والدلالة والكرازة، وقد جعلوا هذه الضريبة لأجلها فرضاً محتمماً حتى على الفقير والمسكين، وكل من أبى عن دفع ذلك القدر المرتب عليه من قبلها قوبل بأنواع من العذاب، وذلك لأجل النفع الحاصل لرؤساء هذه الحرف المذكورة بسببها، فإذا جاء أوانها. وهو العشرة الأولى من شهور ربيع الأول النبوى دفعوها للطائفة الغزوانية، ويعرفون بالعلامة بتشديد اللام الثانية لكون كل واحد منهم بيده علم. ثم إن هؤلاء يزينون الناقة بأحسن زينة ويدورون حولها، والنساء يطلقن أصواتهن بالزغاريت، ولا تسأل عن الازدحام الذى يقع فى هذا الموقف الهائل، والناس يصدونها من كل جهة، وكذا النساء والصبيان. ثم يخرجون بهذه الناقة على هذه الحالة المذكورة صباح الخامس عشر من ربيع الأول، ويستمرون فى المشى نحو اليوم أو اليومين لا يعرفون فرضاً ولا سنة على ذلك الاختلاط الكثيف

من الرجال والنساء إلى أن يصلوا لأعلى الجبل الذى به الشيخ المولى إبراهيم بن أحمد أمغار فهناك تذبج، ولا تسأل عما يحل بالناقة فى نفسها من العذاب، وذلك بنتف وبرها من أول خروجها إلى أن تصل للجبل، وهى تقطر دمًا بسبب ما حل بها من النتف.

ولو رأيت النساء فى تفاخرهن حالة الظفر بشيء من وبرها لرأيت حمقًا فادحًا وخرقًا واضحًا، وكل هذه الأضاليل غاية إبليس اللعين، وذلك لبعد غالب أهل هذا العصر نساء ورجالا عن الدين، وماذا بعد الحق إلى الضلال.

وضف إلى هذه المناكر الشنيعة الداهية العظمى، ألا وهى اجتماع النساء بهذا الجبل الذى به الشيخ المذكور لأجل النزوح من هذا المحل، فترى الأجلاف من أهل البوادي، ومن لا إيمان لهم من أهل الحواضر يتسابقون لأجل هذه الرزية التى زينها لهم الشيطان الرجيم، فيمر الرجل منهم على النساء مع كثرتهم صغارًا وكبارًا، وهن فى أكمل زينتهن وأبهر حليهن متبرجة تبرج الجاهلية الأولى، بل أشد من ذلك من صدور عارية، وأيد مخضبة، ووجوه محسنة أو مشوهة بالأصباغ والمساحيق، وسيقان عارية أو مستورة بتقشير يزيدا جمالًا، فيختار منهن ما أراد. ثم يأخذ بيدها فتتبعه، ويجعل لها قدرًا من المال ولو قميصًا باليًا عوضًا عن الصداق ومقصوده الأهم مها الزنى المحض، وهذا حال غالبهم، ومنهم من يعتقد أنه تزوجها بهذا المسلك الشيطانى الذى أسسه لهم الشيخ النجدى فى هذا العصر الذى هو شر العصور، وإن سموه عصر الحضارة والنور.

نعم إن أهل هذا الزمان بشر من أهل الجاهلية الأولى عبدة الأوثان والأصنام، فأهل الجاهلية بعث فيهم رسول الله ﷺ فقاوموه بكل أنواع

المقاومة، وبذلوا أنفسهم وما يملكون لصدده عن دعوته، فإنه كان يقول باله واحد، وهم يعجبون من هذا، ويقولون (أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب) فلذلك بذلوا لصدده رقابهم وما يملكون.

أما أهل هذا العصر، فقد عاش بينهم من رفض الدين بالكلية واقتصر على خرافات وافترافات ما أنزل الله بها من سلطان.

وبالجملة فغالب أهل هذا العصر بعيد أن يرجى صلاحهم، ولكن مثلنا معهم على حد قوله تعالى - وقالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً. قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون - .

أما اعتقادنا في هؤلاء فهو أنهم لا يصلحون للمخاطبة لموت قلوبهم فإنها مقبورة في غلاف غليظ من مقت الله وخذلانه ومن انغماسهم في معاصيه وتعدى حدوده، والله يقول - وما أنت بمسمع من في القبور. إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء.

هذا النفر لا تنفع فيهم موعظة، ولا يوفق المصلحون لهدايتهم - وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم - رجع، وغائب هؤلاء النساء أنهن لازلن تحت عصمة أزواجهن، وإنما فررن لهذا المحل المذكور لأجل أن تتوصل لشهواتها بأى وجع كان إلى غير ذلك من المساوئ التى تكدر صفو راحة قلوب أهل الإسلام.

وهذا الموسم أحد المواسم السبعة التى تقام فى هذا اليوم الثامن عشر من ربيع الأول، ولا تسأل عن المناكر الفظيعة الشنيعة التى تقع فى هذه المواسم على كثرة طرقها صباح مساء، وتجد غالب أهل هذه الأرض فى هذا اليوم كأنهم لم يبق معهم عقل، ولم يوهب نعمة التفكير والنظر.

وأشنع من هذا ما يقع فى موسم الشيخ الغزوانى، ويكون فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول النبوى هذا، وهذا الموسم قل من يتخلف عنه من الرجال والنساء، وتعطل فيه الحركات كلها، وتتنافس الأوباش فى تقريب القربات، فمنهم من نذر له بدنة، ومنهم من نذر له بقرة أو ثوراً، ومنهم من نذر كبشاً أو معزاً، ومنهم من نذر دراهم كثيرة خصوصاً رؤساء الوقت، فلا تجد واحداً منهم سالماً من هذا، وربما سول له شيطانه أنه ترك هذا النذر كان سبيله فى الانسلاخ من تلك الرتبة المطوق بها.

فلهذا تجد غالبهم إذا أراد سوق هدية لهذا الضريح، أو غيره من تلك الأضرحة يجعل بهرجة عليه كبيرة من تزيينه بلبس الحرير وضرب الطبول والشبابت، ورفع الأعلام على رأسه، وغير ذلك من اختلاط النساء بالرجال، وما لا ينبغى ذكره، وإن لم يكن هذا كفرةً فجهل عظيم، وغباوة جسيمة، وفى صحيح الإمام مسلم عن على (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال "لعن الله من ذبح لغير الله".

قال بعض العلماء: كالذبح على أضرحة الأولياء، وهذه الذبيحة لا تؤكل لأنها مما أهل به لغير الله، ويتناول صاحبها اللعن. وما يفعله بعض الجهلة فى هذا اليوم عرقه الحيوان عند باب الضريح، ثم بعد ذلك يذكى.

ولا شك فى منع ذلك لأنه تعذيب لغير منفعة، ولا وجه مصلحة.

فالتفت أبو زيد إلى الشيخ عبد الهادى وقال له: ما رأيك فى زيارة الأولياء. التمسح بأضرحتهم، وأخذ التراب من قبورهم؟ فقال قد نص ابن العربى المعافى على أنه لا يزار قبر ليتنفع به غير قبر نبينا ﷺ.

وذكر الشيخ زروق فى شرح المباحث ما نصه: وأما زيارة الولى، فذكر ابن ليون [فى اختصار الرسالة العلمية] أن ذلك ليس من طريق القوم. وقال غيره: لا يتمسح بالقبر لأنه من فعل النصارى، ولا يدهن بالماء الذى يكون عليه، ولا يرفع منه تراباً لأنه حبس، وفى المطروح قصداً نظراً.

ثم قال الشيخ: وهنا لأصحاب الرخص أقوال. لكنها ليست بشيء عند أكابر الرجال.

ثم قال عبد الباسط: ثم الطائفة الرحالية، وتنسب للشيخ رحال الكوشى المتوفى فى آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر، ولهذه الطائفة عوائد كثيرة يأبأها الشرع المطاع، ولا حاجة لنا للأعراب عنها.

ثم الطائفة العيسوية، وتنسب للشيخ ابن عبد الله محمد بن عيسى المكتاسى فى آخر العشرة الرابعة من القرن العاشر، وهذه الطائفة جنباً على الأمة الإسلامية، ولا زالت مساوئها تزداد فى كل سنة بسبب سكوت من بيدهم الحل والربط عن مثالبها.

ومن المناكر الشنيعة التى يخجل لها وجه الدين المحمدى، ويتبرأ منها الإسلام وسائر المسلمين اختلاط النساء بهذه الطائفة حالة اشتغالهم بضرب الطبول والشبابة وغيرهما.

ومن المناكر الفظيعة أيضاً أنك ترى الكثير منهم، بل كلهم ذكوراً وإنثاء يأكلون الجيفة، ويتطلخون بدمها المسفوح، وذلك أن بعض الأغمار رجلاً ونساء يتقربون إليهم بالمعز فيفترسونها، وهى حية كافتراس الأسد لفريسته، ويسمون هذا الفعل الشيطانى بالحال، وأعانهم على هذا الافتراس الذى ليس من طاقة البشر جعلهم لأصابع أيديهم حلقاً من الحديد لها رءوس حادة

بحيث يمكن الذبح بها، فإذا كان يوم موسمهم، وهو اليوم الثالث عشر من شهر ربيع النبوى هياً لهم أصحاب النذر تلك المعز التي هي من خاصة النذر المتعلق بهم ويقفون بها فوق الأسطحة التي يمرون عليها وهم على ما هم عليه من غضب الله وسخطه ومقتته وبعده الذي أداهم إلى الانسلاخ من أوصاف البشرية والتحلّى بالمسخ المعجل لهم فى الدنيا قبل الآخرة، وإذا أراد كل واحد من أصحاب تلك النذور أن يلقى إليهم تلك المعز من فوق السطح تراهم يرفعون رءوسهم نحوه وكادوا يطيطون نحو ذلك الحيوان المسكين الذى لا ذنب له حتى يستحق أن يمزق لحمه، وهو حى ويتمنى كل واحد منهم أن يكون صاحبه فلا يصل إلى الأرض الأوقد مزق شعره وجلده ولحمه وعظمه وصار أجزاء عديدة، فالرجل منهم من يظفر بذنبه أو بعه أو تلتطخ ثيابه بدمه، ولا مفهوم للرجال فى هذا، بل حتى النساء من هذه الطائفة على هذا الحال الخبيث، وهذا حالهم فى اليوم كله وكل حيوان فى شراء شىء منه بأى وجه كان خصوصاً الرأس إلى غير ذلك مما لهم من المناكر.

وسبب سكوت ولاية الوقت ومن قبلهم عن قبائحهم هذه حسن الظن بهم: إلا أن حسن الظن بهؤلاء الأوباش أضر بالإسلام إضراراً مبيئاً خصوصاً فى هذه الأيام التى ظهر فيها سيطرة الأوروبيين على الإسلام حتى صاروا يأخذون ميزانية عقول أهله من هؤلاء الطوائف المتدعة، ويقول بعضهم لبعض: انظروا لصلحائهم كيف حالهم، وهذا هو السبب الذى صيرهم إلى وراء، وقطعهم عن الوصول إلى المناصب الرفيعة التى منها الحرية والاستقلال، ولو لم تكن الأمة الإسلامية على مثل هذه الحالة لفازت بمثل ما فاز به غيرها من الأمم الشرقية، هذا قولهم. وما هذه الطوائف اليوم إلا رزايا

عظيمة في الدين، وما هي إلا سبب انحطاطه، وحماقة هذه الطائفة كادت أن تفوق حماقة كل من في معمور الأرض، وتليهم في هذه العوائد الشيطانية الطائفة الحمدوشية. وسيأتي لنا الكلام عليها بحول الله وقد امتدت شوكة هاتين الطائفتين في المغرب كله خصوصاً في حواضره.

هذا ولو اهتم علماء الأمة الإسلامية بهذه المعضلة أيما اهتمام، وأمروا من بيده الحل والربط في الوقت بقطع هذه الطائفة وقطع نظائرها لكان يستحسن الأمر في الحال المستقبل، وقد خيل لنا الظن الحسن بهؤلاء الأئمة أنه سيكون ما أشرنا إليه مستوفى بحول الله وقوته.

ثم الطائفة الشرقاوية: وتنسب للشيخ أبي عبد الله محمد الشرقاوي المتوفى أوائل المحرم سنة عشر وألف، وأتباعه اليوم كادوا أن يكونوا في حيز العدم.

ثم الطائفة الإبراهيمية: وتنسب للشيخ أبي اسحاق إبراهيم بن أحمد بن حسان المتوفى سنة اثنتين وسبعين وألف، وزايا هذين الشيخين اليوم تغمرها النساء فقط، ولا تسأل عما يصدر منهن من المناكر التي يعجز عن إحصائها القلم.

ثم الطائفة الصادقية: وتنسب للشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الصادق السجلماسى المتوفى سنة خمس وستين وألف، وهذه الطائفة لها عوائد كثيرة، وأذكار جلها سقيمة، ومن مناكرهم أن بعضهم يقوم من وسطهم حالة الذكر فيصير ينطح الحوائط برأسه نطحاً كاد أن يمضى عليه، ويسمون ذلك التخبط وذلك الجنون القائم به بالحال. وبئس الحال.

وهذه القبائح مصادمة لطريق أهل الله الماضين، وإذا قيل لبعضهم في

ذلك يقول: نحو أهل الحقيقة غير مقيدین برسوم الشريعة، وأن الشريعة للناقصين الذين لم يكملوا، وأما من كمل فقد خرج من التقيد إلى غير ذلك من ترهاتهم غيرهم من الطوائف المغربية والمشرقية.

ثم الطائفة الناصرية: وتنسب للشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي المتوفى عام خمس وثمانين وألف، وهذه الطائفة أبعده الطوائف من البدع. غير أن فروعها ارتكبوا فيها منكر شوهت وجهها وصيروها قنطرة لأكل أموال الناس بالباطل، ومع ذلك يدعون أنهم على شيء، وليسوا على شيء.

ثم الطائفة الحمدوشية: وتنسب للشيخ المجذوب أبي الحسن علي بن حمدوش المتوفى في العشر الرابعة من القرن الثاني عشر. وقد قدمنا أن هذه الطائفة مثل الطائفة العيسوية في تلك المفاصد التي تظهر عليها، ومن جملتها اختلاط النساء بالرجال، والرقص على الدعدع والتشابه أي العطا وتراهم في هذه الحالة كأنهم سكارى. ومن عوائدهم الشيطانية أن يصبر عدد منهم يشدخ رأسه بالشواقير المهتدة. ومنهم من يفعل ذلك بقضبان غليظة الرأس، ومنهم من يشدخ رأسه بعمود غليظ مطوق بمسامير من حديد، ومنهم من يرمى بكورة من حديد إلى أعلى ثم يتلقاها برأسه.

ولقد رأيت يوما في بعض مواسمهم، وهو اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول في كل سنة أن واحداً منهم خرج من وسطهم وعليه جبة من ودع، ورمى بكورة من حديد إلى أعلى ولقبها برأسه فسقطت على أم رأسه فخرج دماغه من أنفه وسقط إلى الأرض فغطوه. وقالوا أنه غلبه الحال، والواقع أنه ليس هناك حال، وإنما ذهب التعس المجنون ضحية جهله وفريسة

فعله . فكان الأحمق قاتل نفسه، ولهم بهذه الأفعال الشنيعة شرف عظيم وفخريتهم، وجل هذه الطائفة بل كلها فساق وسفهاء وذوو عقوق لا يعرفون فرضاً ولا سنة، عليهم أثر الغضب والسخط والمسخ في الدنيا قبل الآخرة .

وبالجملة: فقد ظهرت من هذه الطوائف أشياء لا يكاد يصدقها العقل لولا وجودها، وبهذه الأشياء التي ظهرت على أيدي هؤلاء المدعين للإسلام - وهو في الحقيقة برىء منهم - استطاع أعداء الدين أو يقولوا فيه ما يقولون. وهذه إحدى المفاصد التي عم ضررها، وشاع شررها: ولا تجد نظائرها في جميع الأمم الشرقية ولا تكاد تقبل: ولكنه دار الدهر دورته وانعكست الأمور فأصبح الحال كما ترى، وصير كل شيء إلى وراء .

ثم الطائفة القاسمية: وتنسب للشيخ أبي الحسن علي بن أبي القاسم المعروف بأبي سجدة المتوفى أوائل العشرة الخامسة من القرن العاشر، وهذه الطائفة اليوم جلها نساء، ولها يوم مخصوص في كل أسبوع وهو يوم الجمعة فيتطوفن ومن معهن من الرجال على صلحاء هذه الحضرة وهن في جمع عظيم يزيد على المائتين عاريات الوجوه مع وجود مومسات فيهن .

ومن عاداتهن أن يقفن مهماً وجدن ضريحاً من أضرحة الأولياء ويسدون الطرق على المارين بها إلى أن يفرغ شيخهم ورئيسهم من تلك الأدعية وأسماء الرجال التي أنتجت له تلك الأرزاق المتنوعة من خبز وشعير وقمح وحناء وتمر وشمع وسكر وفروخ حمام وفلوس وكتان وغير ذلك من قبائحها التي لا ينبغي تلطيخ القلم بها، لأن أهلها صم بكم عمى فهم لا يبصرون، قد أعملوا يد المضرة بالإسلام حتى سخر الكفار بعقول أهل مراكش .

ثم الطائفة الغازية، وتنسب للشيخ الغازي بن العربي السجلماسي،

المتوفى فى العشرة الرابعة من القرن الثالث عشر، وهذه الطائفة مثل الطائفة القادرية التى ديدنها ارتكاب سماع آلات اللهو والرقص واختلاط النساء بالرجال وتحريف الأذكار .

ثم الطائفة البونية، وتنسب للشيخ أبى الحسن على البونى الدرعى، وهذه الطائفة لها عوائد قبيحة ومنكرات صريحة، منها أنهم يحرفون أسماء الله خصوصاً عند استفتاحاتهم واختاماتهم. فيقول فى الاستفتاح: الحامد الإلهى رابى العالمينا الراحمانى الراحيمى، وهكذا، ولا مفهوم لهذه الطائفة، بل جل الطوائف اليوم على هذا النمط بسبب فقد العلماء من هذه الطرق المبتدعة، فلا تجد فى غالب هذه الطرق الأمن هو أصم أبكم أعمى، لا يفرق بين الأرض والسماء.

ولا يخفى أن وجود التحريف فى الأذكار يمنع من ورود النفحات الإلهية، ومن هذه الطائفة من يصير يزعم ويبكى ويضرب برأسه الحائط ويدور على الحاضرين من طائفته واضعاً يده على رأس كل واحد منهم وهو يتكلم بألفاظ رواها عن شيطانه الذى حل بجسده فى تلك الحالة، ومنهم من يغلب عليه هذا الجنون حتى يطلع لأعلى رءوس النخل ويصير يتقلب عليها يميناً وشمالاً، ومن عوائدهم المزورة أنه ما وصلت يد أجنبى منهم رأس واحد منهم إلا وقامت قيامته وأخذ فى الصياح وانعكست حقيقته وصار يتخبط كالمجنون إلى غير ذلك مما هم عليه.

ثم الطائفة الطالبية: وتنسب للشيخ أبى العباس أحمد بن الطالب السجلماسى المتوفى فى العشرة الثالثة من القرن الثالث عشر، وهذه الطائفة مثل الطائفة العيسوية والحمدوشية فى اختلاط الرجال والنساء واستعمال آلات

اللهو، غير أن هذه الطائفة اختصت بشيء آخر، وهو لعبهم بالنار وجعلها تحت ثيابهم حالة اشتغالهم بتلك الملاهى الشيطانية وإذا قوى ذلك التخبط والجنون في ذات أحدهم تراه يتكلم بكلام يوهم به السامع أنه يكشف بأشياء غابت عنه: كمثل الطائفة الشيطانية المعروفة بأكتاوا، والناس ذكوراً وإنثاء يقصدون زاويتهم لأجل هذه الخرافات، ومنهم من يقصدها لأجل أن يصطاد بها بعل أو مومسة من المومسات إلى غير ذلك من التدنيسات والمفاسد والضلالات، وأمثال هؤلاء لا يخاطبون (أن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً).

وبالجملة فقد تأخر الأمر ودان جل الطوائف التي أصيب بها الإسلام بهمجيات خارجية عن الدين وانتصروا لأنفسهم وشياطينهم وحاربوا لأهوائهم أهل التقوى، ورأوا التمسك بالفساد أقوى.

ثم الطائفة الوزانية: وتنسب لأبي محمد بن عبد الله بن إبراهيم الحسنى الإدريسي المتوفى تسع وثمانين وألف، وكانت طريقته معاتقة الكتاب والسنة، لكن أدخل فيها اليوم ما ليس منها من المحدثات. من ذلك: حلقة الذكر المعروفة عندهم بالعمارة. وقد نص العلماء على أنها من البدع المحدثات المخالفة للسنة، وسيأتي لنا الكلام عليها مستوفى بحول الله.

ثم الطائفة التهامية: وتنسب للشيخ مولاى التهامى الوزانى المتوفى سنة سبع وعشرين ومائة وألف، وهذه الطريقة كانت سابقاً طريقة مثلى إلا أنها صارت منذ أزمان بارتكاب المدعين الانتساب إليها آلات اللهو والطرب واختلاط النساء بهم ملعبة للشيطان.

والمرجو ممن بيده الحل والربط اليوم أن يعين من يسعى في إخماد نار

بدع هؤلاء الطوائف التي قضت على الإسلام اليوم وفتحت للمفاسد
الشیطانية أبواباً.

ثم الطائفة التجانية: وتنسب للشيخ أبي العباس أحمد التجاني المتوفى
سنة ثلاثين ومائتين وألف، وهذه الطائفة لها عادات صيرها كالعبادات، وقد
تعالت في شيخها هذا حتى ألحقته بما لا يستحقه.

فالمقصد منهم يزعم أنه مساو للنبي ﷺ إلا أنه لا يأتيه الوحي، ومن
تغاليهم في محبته ما تقوهوا به في حقه ونقلوه عنه في كتبهم المؤلفة في
سيرته وهو كما في جيشهم وغيره. أنه قال: إن صلاة الفاتح لما أغلق تعدل
سنة آلاف ختمة من القرآن، فأى استخفاف وتحقير لكلام الله تعالى مثل هذا،
أما كفاه نسبتها إلى الله تعالى وجعلها من القرآن حتى يجاوز إلى هذه البشاعة
ولو صح ما قاله فأى فضل للقرآن معاً؟ وأى فائدة فيه مع وجودها، فكيف
يشغل عاقل به ويختمه في ليالي عديدة، وهو يجد هذه الكلمات التي يمكنه
قولها في طرفة عين، ويحصل له من الأجر ما يعدل ستة آلاف مما لم يحصله
إلا في ليال عديدة: فاشتغال العاقل به حينئذ عبث لوجود ما هو أيسر وأفضل
بشيء لا ينتهي.

فعلى كلامه لم يبقى للقرآن فضل مع صلاة الفاتح ألته، أعادنا الله من
الخذلان والطغيان، والعلو في الدين بما لم يرد به دليل ولا برهان، وإذا
اعتبرنا تلك الزيادات التي زادها النظيفي المراكشي في كتابه. [الطيب الفاتح،
على صلاة الفاتح]: فماذا يبلغ التعادل، وقد علمت سابقاً أن صلاة الفاتح
على كلام شيخهم التجاني تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن: فإذا زدت عليها
هذه الزيادات التي زادها الشيخ الطيفي وحض عليها جمعيتُه التجانيين

ورغبتهم فى قراءتها آناء الليل وأطراف النهار: فماذا يزيد على العدد السابق، ولعله تنتهى مراتب العدد من حيث هو، ولا يبلغ القدر الذى تزيد به صلاة الفاتح بسبب تلك الزيادات النظيفية.

وهاك صيغتين جامعيتين من صيغ صلواته العجيبة الغريبة التى يختم بها صلاة الفاتح لما أغلق، ولعلك لو بحثت عن نظير هاتين الصيغتين فى المشرق والمغرب، بل فى المعمورة كلها ما وجدته، ونصه:

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادى إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، صلاة تطيب لنا بها المساكن، والملابس، والمآكل، والمشارب، والأخبار.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق، والهادى إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حتى قدره ومقداره العظيم، صلاة تجعلها فى قلوبنا أحلى من الحلوى، وألذ من السلوى، وأشهى من كل شهوى، إلى غير ذلك من هذا النمط الغريب.

وقد ظهر سر هذه الزيادات فى الطائفة التجانية كظهور نار على علم، أو كالشمس فى وسط النهار خصوصاً بعض رؤساء الوقت وولاته.

وفى رواية أخرى عنه أن صلاة الفاتح خصنا الله بها كما خصنا بالنبى ﷺ، وأنها تسمو على كل العبادات، وأن المواظب عليها ينال الخير الراجح.

ومن زعمهم أن وردهم يغنى عن سائر الأوراد فى الدين والدنيا، وفى المعاد، ومن أشنع البدع التى ينسبها التجانيون إلى شيخهم من أن الشخص لو

دام على سائر الأذكار طول الدهر، وذكر صلاة الفاتح مرة واحدة كانت تلك المرة أعظم أجراً من جميع الأذكار، ومن زعمهم أن صلاة الفاتح فيها أمان لجميع الناس من عذاب الله لكل مصل بها، فعل غيرها من الطاعات أو لم يفعل، ومن زعمهم أن صلاتهم هذه حماية من الأغيار، ومن زعمهم أن صلاة الفاتح ترقى صاحبها حتى يصير موازناً بها ورد فاطمة الزهراء، ومن زعمهم الشنيع المتعارف بينهم شر ثوب وسطهم حال الصلاة. أسمعت أو علمت، أو روى لك شيخ من أصحاب الحديث أم جاء في كتاب الله أو استبطن من فعل رسول الله ﷺ أن قارئ القرآن ينشر أمامه ثوباً ليقراً عليه فضلاً عن قارئ الفاتح، ألها مزية عنه وفضل استوجب به هذا؟ ومن زعمهم أن نشر الثوب حالة قراءة الفاتح لما أغلق يأتي بالفتح المبين في أسرع من لمح البصر، وانظر كتبهم تجد ما هو أقبح وأفظع: كقولهم في شيخهم أن روحه خلقت مع روح النبي ﷺ فكان رسول الله خاتم النبيين، وكان الشيخ خاتم الأولياء. وهذه الجملة وحدها كافية في القبح إذا لم تبقى مزية للنبي ﷺ على زعمهم الفاسد، ومن زعمهم أيضاً أن الشيخ التجاني ممد لمن مضى قبله، ومن يأتي بعده، ولا يخفى أن "من" من صيغ العموم كما هو معلوم، فيدخل النبي ﷺ وأصحابه وأهل القرون المشهود لهم بالخير.

فانظر رحمك الله هذا الحمق الفادح كيف يمد رجل في القرن الثالث

عشر أهل القرن الأول؟

فقال الشيخ عبد الهادي "لعبد الباسط: هل تعلم بداية أمره؟ قال نعم:

ذكر المؤرخ العلامة الزباني في تاريخه المسمى [بالترجمان المغرب]. عن دول المشرق والمغرب] ما نصه حرفاً بحرف:

وفي عام إحدى عشرة ومائتين وألف قدم الفقيه أحمد التجاني الذي
 نفاه الباي أحمد بن عثمان صاحب ولاية وهران من تلمسان لما بلغه من سوء
 عقيدته، واشتغاله بتدليس السكة، وإخراجه من إيالته، وقصد قربه ابن
 صمغون عش الخوارج من البربر ومحل أهل البدعة، وأخذوا عنه. وأمر أمره
 فيهم، وشاع خبره في تلك النواحي، واستمر على غواية الجهلة من العوام
 فاعتقدوه، وأقام بين ظهرهم مدة، ولما مات الباي أحمد وتولى الإمارة ولده
 عثمان، وبلغه ما هو عليه من البدعة، وجه لأهل قرية ابن صمغون فيه،
 وأقسم لهم إن بقي عندهم ليطان بلادهم ويخربها عليهم، ولما سمع بذلك
 أحمد التجاني فر مع بعض تلامذته وأولاده إلى طريق الصحراء، وقدم لمدينة
 فاس، ولما بلغها وجه رسوله بكتابه لأمر المؤمنين مولانا سليمان يطلب منه
 القبول، وأنه هاجر إليه من جور التبرك وظلمهم وأنه استجار بأهل البيت
 منهم، فما وسعه إلا القبول، وأذن له في القدوم عليه والدخول بمجلسه، ولما
 اجتمع به ورأى تقشفه ومهارته في العلوم ظن به خيراً، وأعطاه داراً معتبرة
 من دوره كان أنفق في عمارتها نحواً من عشرين ألف مثقال، ورتب له ما
 يكفيه، واشتغل بما كان من إغواء الخلق، واجتمع عليه جهله الناس وطلاب
 الدنيا من التجار، ولقنهم أوراداً، وكان من يأتي إليه للأخذ عنه ينهاه عن ورد
 غيره، وصار ينهاهم عن زيارة الصالحين وعن قراءة دلائل الخيرات، وقال
 لأصحابه أنتم أفضل من الصحابة، وهذا الذي لقتكم أخذته عن رسول الله
 ﷺ مشافهة من غير واسطة، وأمرني أن أعين لكم تصليية إن قرأتموها في
 حلقة يجلس رسول الله ﷺ في وسطكم، ومن يسلك طريقي دخل الجنة،
 ومن خالف طريقي دخل النار، وطريقي تدخل على كل طريقة، ولا تدخل
 عليها طريقة غيري، ومن تمسك بطريقي، فهو آمن في الدنيا والآخرة،

وعلمهم سننا بدعية ونوافل خارجية: إلى أن قال: ولما شاع عنه من هذه الأباطيل والأناجيل المؤذنة بزندقته، وانكشف حاله، وبلغ أمير المؤمنين مقالاته وكذباته لم يسمعه إلا الأعراض عنه، ووكل أمره إلى الله تعالى.

وقد ذكرنا جميع مقالاته التي بلغتنا في رحلتنا المسماة "بالترجمانة" بأبسط من هذا. قال: وأشرت فيها أيضاً للمبتدع الذي خلفه بعد موته إلى أن قال وقد بلغني أنه ألف كتاباً مشتملاً على عقيدته، وتكلم فيه على صفات الذات العلية، ووجهه مع بعض تلامذته لمصر، فاتصل بيد الفقيه العلامة أبي الحسن علي بن أحمد الملي: فكنت عليه تأليفاً حسناً حله عروة عروة وذندقه وكفره وفضحه بنصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، وقوانين عقلية، وحجج سنية، ولم يترك له فيه مسألة يعتمد عليها إلا مجرد زندقته واعتزاله وكفره. نسأل الله السلامة والعافية.

وسمى هذا التأليف الذي رد به على التجاني [الصوارم والأسنة. في نحر من تعنف على أهل السنة] إلى أن قال: ولا زالت هذه الطائفة التجانية معتكفة على ضلالها مستغرقة الأوقات في وبالها. مكيين على ما خدعهم به ذلك الشيطان الرجيم الشقى الزنيم، إلى أن يكبهم ملك الموت في الجحيم اهد حرقاً بحرف.

وانظر "مشتهى الخارف الجاني. في رد زلقات التجاني الجاني" لعلامة زمانه الشيخ محمد الخضر الشنقيطي، "وانظر كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع" للعلامة المولى عبد الحفيظ العلوي: إلى غير ذلك من الكتب التي زيفت مفتريات أهل هذه الطريقة:

ثم اعلم أن هذه الطريقة اليوم افتقرت فرقتين: فرقة تزهد¹ عن السماع

المعروف، وما يتعلق به. وفرقة لا زالت على ما هي عليه من الرقص على توقيع الألحان حسب الأوضاع الشعرية، وكل منهما يكفر الآخر ويزنقه كقضية اليهود مع النصارى.

فعند هذا التفت الشيخ عبد الهادي إلى عبد الباسط وقال: لقد زل بسبب الاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين - واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل - فمن ذلك رأى متأخرة هذا الزمان، فتراهم إذا أرادوا الدخول في أى طريق من طرق هؤلاء المتصوفة يعمدون إلى ما نقل عنهم فى الكتب من الأحوال الجارية عليهم، أو الموزرة عنهم، أو الأقوال الصادرة منهم، فيتخذونها دينا وشريعة، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتب، أو السنة، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصالح لا يلتفتون معها إلى فتيا مفت ولانظر عالم، بل يقولون أن صاحب هذا الكلام ثبت ولايته، فكل ما يفعله أو يقوله حق، وإن كان مخالفاً، فهو أيضاً ممن يقتدى به، فتراهم يحسنون الظن بتلك الأقوال والأفعال، ولا يحسنون الظن بشريعة مولانا محمد ﷺ، وهذا غاية الجهل والقيح.

ثم قال الشيخ عبد الهادي: هل بقى شىء عندكم من الطوائف غير ما ذكرت؟ قال نعم، قال أتمم، قال:

ثم الطائفة المختار له، وتنسب للشيخ أبى عبد الله المختار الكنتى المتوفى فى العشرة الخامسة بعد المائتين والألف، وهذه الطائفة أبعد الطوائف فى الجملة من البدع إلا أن منهم من تعالى فى محبته، ونسب له ما ليس من طريقته.

ثم الطائفة الدرقيّة، وتنسب للشيخ مولاي العربي بن أحمد الدقوى المتوفى عام تسع وثلاثين ومائتين وألف، وطريقته هذه تفرقت منها طرق عديدة، ولنذكر ما عندنا منها بهذه الحضرة المراكشية، وهى الطريقة البدوية، وتنسب للشيخ أبى العباس أحمد البدرى المتوفى عام خمس وسبعين ومائتين والألف.

ثم الطائفة العمريّة: وتنسب للشيخ أبى حفص مولاي عمر بن البخارى المتوفى عام سبعين ومائتين وألف.

ثم الطائفة المهدوية: وتنسب للشيخ مولاي المهدي بن محمد المتوفى سنة ثمانية بعد الثلاثمائة وألف.

ثم الطائفة الفركليّة: وتنسب للشيخ أبى عبد الله بن على الدرعى الفركلّى المتوفى عام ست وعشرين وثلاثمائة وألف.

ثم الطائفة السوسية: وتنسب للشيخ أبى الحسن الحاج على بن أحمد السوسى المتوفى عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف.

ثم الطائفة الفتحيّة: وتنسب للشيخ فتح الله البنانى، ولا زال بقيد الحياة وقته.

وهذه الطوائف كلها لو أردنا أن نأتى على جميع البدع والمفاسد التى تشبث بها عدد منهم، وما تولد منها لاحتاجت المجلدات. وبكثرة هذه الطوائف وتباينها، انحط العرب فى أيامنا هذه وفيما قبلها بكثير، وسجل له على صفحات أيامه خرق وحمق ما بعده من خرق وحمق.

وقد عانى علماء الدين الدافعون لهذه الداهية الدهماء مشاق جسيمة

عرفها من عرفها، وأنكرها من لم يقف عليها، ولكن تغلبت الأحوال .
اقتضت فساد الأعمال .

وإذا أمعنت النظر في تعدد طرق القوم، واختلاف أحوالهم، وتباين بعضهم بعضاً، علمت أن سبب هذا الاختلاف، وكثرة المناكر، وتطرق البدع، إنما هو من جهة قوم تأخرت أزمته عن عهد ذلك السلف الصالح وادعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعى، ولا فهم لمقاصد أهلها وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صارت كل طريقة فى هذه الأزمنة الأخيرة كأنها شريعة أخرى غير ما أتى به، مولانا محمد ﷺ .

وأعظم من ذلك أن كل طريقة من هذه الطرق نتاهل فى اتباع السنة وترى اختراع العبادات طريقاً للتعبد صحيحاً .

من ذلك عمل هذه الطائفة الدرقلية حلقة الذكر، وهى المسماة عندهم بالعمارة، وهى عبارة عن ذكر اسم الجلالة باللسان والصدر على حسب المراتب الشعرية، وتشبيك الأيدى، حتى تكون كسلسلة، ثم يرسمون لأنفسهم من يقوم وسطها، يسرون قوة وضعفها، ويرقصون ويتمايلون جميعاً يميناً وشمالاً، ومنهم من يحرف أسماء الله تعالى، فلا يسمع من لسانه فى هذه العمارة التى حق لها أن تسمى بالخسارة، إلا اللهو اللهو هكذا، أو هو هو، أو هبلا هبلا، أو حوا حوا، أو أخ أخ، أسماء تجدها إلا عند الشياطين، ومنهم من يزعم، ونهم من يصير بيكى إذا قوى شيطانه، ومنهم من يقفز قفزاً شديداً كأنه يريد الطيران .

فبالله ويا للمسلمين ماذا يجنى المبتدع على نفسه مما لا يكون فى حسابه وما هذه والله طريقة الرسول ﷺ ولا طريقة السلف الصالح .

فيا ليت شعرى كيف قدم هؤلاء على مثل هذا العمل الذى يظنون انهم به يتقربون إلى الله، ويدعون أنهم على جادة العرفان، ولهم القدام الكبير فى متابعة سيد ولد عدنان.

نعم: ولكنهم على قدم الشيطان.

قال الإمام الشاطبى: فى كتابه الاعتصام ما نصه: وقع سؤال عن قوم يتسمون بالفقراء يزعمون أنهم سلكوا طريق الصوفية، فيجتمعون فى بعض الليالى، ويأخذون فى الذكر الجمهورى على صوت واحد. ثم فى الغناء والرقص إلى آخر الليل، ويحضر معهم بعض المتسمين بالفقهاء يترسمون برسمة الشيوخ الهداة إلى سلوك ذلك الطريق هل هذا العمل صحيح فى الشرع أم لا؟

فوقع الجواب: بأن ذلك كله من البدع المحدثات المخالفة لطريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان اهـ كلامه.

والحاصل من هؤلاء أنهم حسنوا الظن بأنهم فيما هم عليه مصيبون، وأساءوا الظن بالسلف الصالح، أهل العمل الراجح الصريح، وأهل الدين الصحيح، وهل سمعت أو رأيت من كلام النبى ﷺ أو عمله المنقول فى الصحاح أو عمل السلف الصالح أو أحد من الأئمة الأربعة فعل مثل فعلهم هذا، وكلا والله لا تسمعه.

فكل من تعبد بشيء لم يكن عليه ﷺ ولا عليه السلف الصالح ليس بشيء، وإنما هو غاية فى الجهالة وتلف فى تيه الضلالة.

وقد قال إمامنا مالك (رضى الله عنه): من أحدث فى هذه الأمة شيئاً لم يكن عليها سلفها، فقد زعم أن النبى ﷺ خان الرسالة.

فالواجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ، وهو الرسول ﷺ أو السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وكان الصوفية في القديم هم المشهورون باتباع السنة، المقتدون بأفعال السلف الصالح، المثابرون في أقوالهم وأفعالهم على الاقتداء التام والفرار عما يخالف ذلك.

ولذلك جعلوا طريقتهم مبنية على أكل الحلال واتباع السنة والإخلاص وهذا هو الحق، لكن لما دار الدهر دورته وانعكست الأمور أصبح حال القوم كما ترى، ولو أن هذه الطوائف أذعن أن تتربى بتربية الكتاب والسنة وتتأدب بآدابهما لأراحت غيرها من هذه التزيفات والتقولات، واستراحت هي مما فيه إثم وفساد، ومما تعانیه من شرور وموبقات.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الاعتصام: السماع في طريقة التصوف ليس منها لا بالباطل ولا بالتبع، ولا استعمله أحد من السلف من يشار إليه حاذياً في طريق الخير انتهى لفظه.

وفيه قال الجنيد: إذا رأيت المرید السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة
اهـ.

وقد زاد شيخ الطائفة الفتحية في الطين بله، وفي الطنبور نغمة: فلو رأيت حاله وتلامذته في هذه العمارة التي قدمنا أن الأولى بها أن تسمى خسارة، ما هم فيه من ضرب الأقدام على الأرض على وزن إيقاع الكف حالة استعمال آلات اللهو كلها من صنع ذى أوتار وعود ورباب وجنك وكمنجة ومزمار وشبابة وموافقة رقصهم للنغمات خصوصاً الموالاة ولو كانت من وضىء الوجه لرأيت حمقاً واضحاً وانحطاطاً في النسبة وشناعة بيته، وهذا شيء لا يصدر من عاقل فضلاً عن فقيه صوفى عامل.

وكان بعض الناس يظن به أن له إماما بطريق القوم فإذا هو بعيد عنها، وأعظم من هذا أنك لا تجد مجلساً من مجالسه سالماً من منكر وبدع، بل كل مجالسه منكر إلا أنه بعض الأوقات يجمع بين خبز وقتل عثمان ومغفرة، من باب غسل الدم بالعدرة، وتغطية لطح النجاسة بثوب حرير شفاف، ولو أردنا أن نذكر ما شهدناه من المناكر والبدع لطال بنا المقام، ولكن في الإشارة ما يكفى عن العبارة.

مجالس الذكر عند السلف الصالح

قال الشاطبي في الاعتصام: كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم حتى يتعلم بعضهم من بعض. ويأخذ بعضهم من بعض فهو مجلس من مجالس الذكر الذي جاء في مثلها حديث أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي ﷺ " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"، وهو الذي فهمه الصحابة (رضى الله تعالى عنهم) من الاجتماع على تلاوة كلام الله. قال: وكذلك الاجتماع على الذكر فإنه اجتماع على ذكر الله.

وفي رواية أخرى أية قال " لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة" الحديث المذكور. لا الاجتماع للذكر على صوت واحد، وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله أو التذاكر في العلم إن كانوا علماء أو كان فيهم فجلس إليه متعلمون، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضاً بالعمل بطاعة الله، والبعد عن معصيته وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله ﷺ في أصحابه وعمل به الصحابة والتابعون.

فهذه المجالس كلها مجالس الذكر. وهى التى جاء فيها من الأجر ما جاء كما يحكى عن ابن ليلى أنه سئل عن القصص. فقال أدركت أصحاب محمد ﷺ يجلسون، ويحدث هذا بما سمع، وهذا بما سمع: فأما أن يجلسوا خطيباً فلا. وكان كالذى نراه معمولاً به فى المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن، أو علماً من علوم الشريعة، أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمر دينهم، ويذكرهم بأسه، ويبين لهم سنة نبهم ليعلموا بها، ويبين لهم المحدثات التى هى ضلالة ليحذوا منها، ويتجنبوا مواطنها، والعمل بها.

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة. وهى التى حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف، وقل ما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة فى الصلاة إلا على اللحن فضلاً عن غيرها، ولا يعرف كيف يتعبد ولا كيف يستنجى أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة، وكيف يعلمون ذلك، وهم قد حرموا مجالس الذكر التى تغشأها الرحمة وتنزل فيها السكينة، وتحف الملائكة، فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا فاقتدروا بجهال أمثالهم، وأخذوا يقرأون الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم، لا على ما قال أهل العلم فيها، فخرجوا عن الصراط المستقيم إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته المذموم. ثم يقولون تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم، ويذكرون ذلك الذكر مداولة، طائفة فى جهة، وطائفة فى جهة أخرى على صوت واحد يشبه الغناء، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها وكذبوا، فإنه لو كان حقاً لكان السلف الصالح أولى بإدراكه وفهمه والعمل به، وإلا فأين فى الكتاب أو فى السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد

جهرًا عاليًا، وقد قال تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)، وفي التفسير المعتدون: هم الرافعون أصواتهم بالدعاء، وعن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير. فقال النبي ﷺ: "اربعوا على أنفسكم أنكم لا تدعون أصم لا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم"، وهذا الحديث من تمام تفسير الآية. ولم يكونوا (رضى الله عنهم) يكبرون على صوت واحد، ولكنه نهاهم عن رفع الصوت ليكونوا ممثلين للآية، وقد جاء عن السلف أيضًا النهي عن الاجتماع على الذكر والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المستدعون انتهى منه بالحروف.

والشاطبي هذا كان في القرن الثامن. وقال في موضع آخر: وفقراء الوقت قد تخيروا بآيات، وتميزوا بأصوات، هي إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة، أقرب منها إلى اعتدادها قرينة وطاعة. وقال في موضع آخر: وأما إنشاد الشعر فجائز للإنسان أن ينشد الشعر الذي لا رث فيه، ولا يذكر معصية، وأن يسمعه من غيره إذا أنشد على الحد الذي كان ينشد بين يدي رسول الله ﷺ أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء اهـ.

وها أنت ترى تصميم هؤلاء على اتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق.

ذكر وجه مما كان عليه الصوفية في القديم

ولنذكر لك وجهًا مما كان عليه الصوفية في القديم.

قال الشاطبي في الاعتصام: يحكى عن محمد بن حنيف قال دخلت

يوماً على القاضي على بن أحمد فقال لى: يا أبا عبد الله، قلت لبيك أيها القاضي قال ههنا أحكى لكم حكاية تحتاج أن تكتبها بماء الذهب. فقلت أيها القاضي أما الذهب فلا أجده ولكنى أكتبها بالخبر الجيد. فقال: بلغنى أنه قال لأبى عبد الله أحمد بن حنبل: أن الحارث المحاسبى يتكلم فى علوم الصوفية ويحتج عليه بالآى. فقال أحمد أحب أن أسمع كلامه من حيث لا يعلم. فقال رجل أنا أجمعك معه، فاتخذوا دعوة ودعا الحارث وأصحابه، ودعا أحمد، فجلس بحيث يرى الحارث، فحضرت الصلاة فتقدم وصلى بهم المغرب وأحضر الطعام فجل يأكل ويتحدث معهم. فقال أحمد هذا من السنة فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس الحارث وجلس أصحابه. فقال من أراد منكم أن يسأل شيئاً فليسأل، فسئل عن الإخلاص وعن الرياء ومسائل كثيرة فاستشهد بالآى والحديث، وأحمد يسمع لا ينكر شيئاً من ذلك فلما مضى هدى من الليل أمر الحارث قارئاً يقرأ شيئاً من القرآن على الحدو فقرأ فبكى بعضهم وانتحب آخرون، ثم سكت القارئ فدعا الحارث بدعوات خفاف، ثم قاموا إلى الصلاة، فلما أصبحوا قال أحمد قد كان بلغنى أن هنا مجالس للذكر يجتمعون عليها فإن كان هذا من تلك المجالس فلا أنكر منها شيئاً.

قال الشاطبى بعد هذا: ففى هذه الحكاية أن أحوال الصوفية توزن بميزان الشرع، وأن مجالس الذكر ليست كما زعم هؤلاء: بل ما تقدم لنا ذكره، وأما ما سوى ذلك مما اعتادوه فهو مما ينكر.

والحارث المحاسبى من كبار الصوفية المقتدى بهم اهـ.

ثم قال بعد كلام على الزوايا والربط ما نصه: أن اتخاذ الزوايا والربط

لا يصح إلى أن قال: ويكفى المسكين المغتر بعمل الشيوخ المتأخرين أن صدور هذه الطائفة المتصفين بالصوفية لم يتخذوا رباطاً ولا زوايا، ولا بنوا بناء يظاهون به أهل الصفة للاجتماع على التعبد والانقطاع عن أسباب الدنيا كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، والجنيّد. وإبراهيم الخواص، والحارث المحاسبي، والشبلي وغيرهم ممن سابق في هذا الميزان، وإنما محصول هؤلاء أنهم خالفوا رسول الله ﷺ وخالفوا السلف الصالح، وخالفوا شيوخ الطريقة التي انتسبوا إليها، ولا توفيق إلا بالله انتهى بلفظه.

ثم قال عبد الباسط: ثم الطائفة الكتانية: وتنسب للشيخ سيدي محمد ابن عبد الكبير الكتاني المتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف.

وهذا الشيخ له دعوى عريضة في مقام الولاية. منها أنه ختم الأولياء وأنه قطب الأقطاب، وغوث الأغوث، وأنه أخذ مشافهة عن رسول الله ﷺ من غير واسطة، وأنه يجتمع به ﷺ يقظة، ويتلقى منه مباشرة، وأن أصحابه هم المراد بالحديث "طوبى للغرباء من أمتي"، وإن صلاته الأتمودجية تعدل "بدلائل الخيرات" للإمام الجزولي بثمانين ألف مرة، هذا مع ما في دلائل الخيرات من الصيغ المروية عنه ﷺ، وعن الصحابة والتابعين وتابع التابعين، ولو لم تكن فيه إلا الصلاة الإبراهيمية لكفاه بذلك شرفاً، وكيف يتصور العقل أن تكون صلاة ملفقة من ألفاظ يقتضى ظاهرياً الحلول والاتحاد والتجسيم أن تكون أعظم من أربعمائة صلاة وست وعشرين صلاة المحتوى عليها مؤلف الجزولي، وفيها من الصيغ الجامعة ما لا يخفى على من له مسكة من العقل والعلم، ومن أعظمها الصيغ الإبراهيمية على اختلاف رواتها، وكيف يقدر مؤمن متصف بالحياء يحب الله ورسوله ﷺ وبِعظمه

فضلا عن صالح، فضلا عن عارف تصدر منه صلاة مثلا على أى وجه كان صدورهما أن يجترئ فيقول صلاتى هذه قد تعدل ثمانين ألف صلاة من الصلاة الواردة عنه ﷺ ولو مرة واحدة. وكيف يمكن أن تكون أرجح منها وأكثر ثواباً وفضلاً، وهى خرجت من بين شفتى سيد المرسلين أنصح الناصحين الذى لم يأل جهداً فى نصيحة أمته ﷺ ولم يدع طريقاً للرشد والفلاح إلا بلغها وبينها لهم: إذ لا أعز عنده من نجاتهم وفلاحهم مع أن الله تعالى أخبر بكمال الدين وإتمام النعمة وحصول رضاه بالإسلام ديناً فى حياته ﷺ. وفى المعيار عن ابن الماحبشون أنه سمع مالكا يقول " من أحدث فى هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة " لأن الله يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً اهـ.

وبسبب هذه الدعوى إلتجأ إليه الناس وفقراء الطوائف وفزعوا إليه من كل جانب ومكان بهذه الأقطار المغربية: بل حتى المشرقية يستمطرون رحمته. ويرجون نعمته.

وهذا هو السبب الأعظم فى امتحانه أيام السلطان المولى عبد العزيز وكان ذلك سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف، وذلك أن السلطان مولاي عبد العزيز أمر بتوجيهه لمراكش لأجل امتحانه لما ادعى ما ادعى وجمع عليه أعيان علماء مراكش، وألقوا عليه مسائل عجز عن الجواب عنها، ولم ينفعه إذ ذاك إلا التبرى من دعوى المشيخة، وجميع ما كان عليه، وشهدوا عليه بذلك.

من فصول قضيته مع العلماء ما نصه: وأجاب سيدنا أعزه الله من إيصائك على ولدك الفقيه المذكور بأن الأمر كذلك: معناه أن والده البركة

سیدی عبد الکریم الکتانی لما توجه ولده المذكور صار يستعطف حضرة السلطان فى الرفق به واحترامه . قال وقد أجنبناك عنه بما تطيب به نفساً، وأعلمناك بأنه اجتمع مع من عينوا معه للمذاكرة والمناظرة بأمر شريف من العلماء، وكان مثال ذلك الجمع إلى انتقاد أقوال صدرت منه لم يقبلها الشرع المطهر . فمنها أنهم احتجوا بأدلة عقلية وشرعية وذوقية على أن الله تعالى خلق عالم العلويات بغير بناء على الأسباب وخلق العالم السفلى مبنياً على الأسباب فجعل عمارته منوطة بها والتكاليف الشرعية وأحكامها مؤسسة عليها، ولما سلمت هذه المقدمة ترتبت عليها مقدمة أخرى، وهى أن من سعى فى تعطيل الأسباب، وأوهم بناءه على الحقيقة فهو منازع له فى حكمته، وسعى فى خراب العالم وانقطاع عمارته من حيث أنه يستدعى الناس للتجريد مع إقامة الله إياهم فى الأسباب، وخارق لنظام الحكمة الإلهية، ولا يقال أن الاستدعاء لم يحصل تعميمه لأن عدم حصول التعميم غير مقصود، والعبرة بالقصد فلو فرضنا الانقياد من الجميع لتحقق الخرق المذكور، ولا بد لهذا المستدعى للتجريد عموماً من دليل . فقال ولدك المذكور: أن دليله الإذن الذى عنده بالإلقاء من الحق، والإذن من النبى ﷺ .

فهذه أول مقالة لم يوجد لها علاج لوجوه قررت له بضيق عنها المقام ولما احتج العلماء بالنصوص النبوية، والقواعد الدينية . والضوابط الشرعية، واللطائف الذوقية على أبطال هذه المقالة، وبينوا ما فيها وما يلزم عليه شرعاً وتحقق به الولد المذكور أجاب أن مراده بالإلقاء من الحق مجرد الإلهام، وإنما عبر عنه بمصطلح الصوفية: فاستدلوا عليه بالنصوص الواردة بالنهاى عن ارتكاب الألفاظ الموهمة مطلقاً، لا سيما ما أوهم انتهاكاً لحرمة الربوبية أو

حرمة النبوة فأجاب بأنه اقتدى فى ذلك بمن نقلت عنهم مثل تلك الإلهامات من أصحاب الأحوال، واحتجوا عليه بأن الحال الذى سلم لصاحبه هو ما يكون به فاقداً للتميز الذى هو شرط جريان القلم التكليفي ومستغرقاً فى الغيبة حتى أنه إذا أفاق لا يدرى ما صدر عن لسانه وإذا ذكر له ربما ينكره، وأما فى حال الحضور فلا يسامح فيه، وإنما يعد جهلاً أو فتنة، وكذلك ما عثر عليه بعض فى قصائده من الإبهامات فادعى أنه إنما نظمها على لسان حضرة النبوة، لا على لسان نفسه فأجيب بأنه لم يبين ذلك فى تراجمها، وعدم البيان دليل على قصده، وأيضاً فكلام صاحب الحضور على لسان النبي ﷺ هو غاية سوء الأدب إذ لا يتكلم بذلك حتى يتخيل تنزيل نفسه منزلة من تكلم على لسانه، والتخييل المذكور هو عين انتهاك الحرمة إلى غير ذلك من الأدلة الشرعية والنظرية فتراجم ذلك المذكور من العود لذلك، والتزم إحصار ما أبعد فى اصطلاحات القوم التعبيرية لتطالع بها علم مولانا أيده الله.

وفى أثناء ذلك وقعت بينهم وبينه مذاكرات فى بعض خواص أسرار التوحيد، ومن جملة ذلك ورقات أتى بها ولدك المذكور وسردها عليهم إلى أن قال فيها ما نصه: ومنها أن الله تعالى لا يريد الظلم إلى آخره، ومنها أن الله تعالى لا يخلق الباطل إلى آخره، فردوه عن ذلك الاعتقاد وبينوا له اعتقاد أهل السنة فى عموم الإرادة القديمة لسائر الممكنات وقرروا له محمل الآية التى أخذ المعتزلة بظاهرها، وأن المنفى هو الرضا دون الإرادة بدليل (ولا يرضى لعباده الكفر) إلى غير ذلك من الأدلة التى يضيق عنها المقام، ولما تبين له الحق، أجاب بأنه لم يقصد ذلك، فأجيب بأنه لا يجوز الإقدام على شيء

بدون قصد، لا سيما العقائد التوحيدية التي هي أول ما يظهر بها الموفق نفسه، فاعترف بذلك كله وتاب إلى الله توبة نصوحاً مصرحاً فيها بأنه رجع عما كان عليه إلى عقائد أهل السنة المحررة، وأن ما كان يعتقد قبلها اعتقاد باطل، وأثنى على أهل العلم وحمد عاقبة الجمع المذكور وتبرأ جانبه من الالتباسات بالأشهاد عليه بذلك حسباً ما وجهنا نسخة منه لذلك على يد القضاة إظهاراً لبراءته وتعريضاً برشده وهدايته وتدارك توفيقه ووقايتة وأعد سيدنا نصره الله أن براءته من مرضاة الله تعالى، وبعد ذلك وعد مولانا أيده الله بتوجيهه إليكم مجبور الخاطر طيب النفس كما تحب، وسيرد عليكم إن شاء الله على المحبة والسلام.

نسخة من الإشهاد الواقع على المذكور

الحمد لله، هذه نسخة من الأشهاد: الواقع على الشرف سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، ونصه: الحمد لله بعد أن حضر الشريف سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي لدى حضرة سيدنا الفقيه الأعظم الوزير الأعظم سيدي أحمد ابن الوزير سيدي موسى بن أحمد عن الأمر الشريف أسماء الله، وحضر معه جملة العلماء المعينين للحضور لأجل اختباره فيما كان يبلغ عنه من ادعاء ما ينافي الشرع والعقيدة.

كقوله في أمور أنه وقع له فيها الإذن بالإلقاء من الحق سبحانه.

وكقوله في ورقات جمعها - إن الله لا يخلق الباطل ولا يريد الظلم - كما قاله المعتز له، تعالى الله أن يكون في ملكة مالك يريد.

وكقوله في قصائد له ما يشعر بانتهاك حرمة الربوبية والنبوة.

ووقعت المناظرة بينهم وبين المدعى المذكور اختباراً له وتحذيراً من إبقائه على زلته مما صرح به أئمة السنة بتكفير قائله .

وتكررت المناظرة بينهم، وبينه في مجالس حتى تبين الحق وانجلي واعترف الشريف المذكور أن تصريحه بذلك محنة وبلاء حيث تبين له أنه يباين العقائد السنية المحررة، ويحرف الضوابط الشرعية المقررة، واعتبر واعتذر عن إقدامه على ذلك، وإنما اتبع فيه أناساً من الصوفية في ألفاظهم الإيهامية المصطلح عليها بينهم كابن عربى والحلاج . وأنه لم يقصد مداولتها الحقيقة، وإنما عبر بالإلقاء عن الحق عن الإلهام، وأن عبارته في القصائد المصرحة بالإيهامات، والتشريك في الخصائص النبوية، إنما نطق بها على لسان النبي ﷺ متبرئاً من نسبه مدلولاتها لنفسه، وردة العلماء عن ذلك بأدلة الكلام التفصيلية .

وأن الشرع المطهر لم يقبل العذر في ذلك إلا بالتوبة منه بعد أن بينوا له ما ينبنى عليه من الفقيه والإضلال وإغواء العوم والجهال، وأن التفويض فيما يثبته ذلك، إنما يكون فيمن صدرت منه كلمات حان الغيبة بعد بلوغه مقامها، وتخلقه بحصول ثمراتها، ومع ذلك ينكرها قائلها حال صحوه، وأما تكلف استعمالها في التعبير بطريق الاصطلاح، إنما هو إضلال وتليس واغترار من وساوس إبليس حتى ظهر له الحق وعاد على نفسه بالعتاب . ورجع إلى الله بالتاب بعد أن ألقيت عليه مسائل من أصول الدين، ومن التفسير فلم يجب عنها، وكان مآل الحضور إلى أن أشهد على نفسه أنه برىء من كل ما ينافى الشرع، وأنه تاب إلى الله من الإقدام على الألفاظ الإيهامية، وادعاء ما ينافى الأحكام الشرعية والعقائد السنية، وأن ما صدر منه من ذلك لم يقصده،

وتاب منه ورجع عنه والتزم إحضار ما جمعه من التقايد ودفعها لحضرة سيدنا الفقيه الوزير أبقاء الله ليظهر به العلم الشريف ويرى فيها رأيه إسهاداً تاماً عارفاً قدره شهد به عليه شهوده الموضوعه أسماؤهم عقب تاريخه، وهو بأتمه وعرفوه أتم معرفة، فى خامس شهر ربيع الثانى عام أربع عشرة وثلاثمائة وألف، عبد الواحد بن المواز، أحمد بن المواز، العربى بن داود، محمد بن محمد الحسن العلوى، العربى بن المقدم الأمنيى، محمد بن العربى الدرعى، إبراهيم بن محمد الضرير، عبد الكريم بن سليمان، الهاشمى بن المزوار المكاسى، انتهت حرفاً بحرف.

وقد ساق نظير هذا معاصرنا الفقيه المؤرخ أبو عبد الله الحجوى فى خاتمة كتابه "الحق المتين" وزاد بعض زايادات على هذا. ونصه: ونقلت عنه مقالات منافية لأصول الدين، واستعمل تصلية جعلها ورد أصحابه إلى الآن يقتضى ظاهرها الحلول والاتحاد والتجسيم، وأنك عليه علماء الوقت إذ ذاك كخاله سيد جعفر، وابنه سيدى محمد بن جعفر الكتانى وغيرهما، كل ذلك بما يطول جلبه، وألقوا فى الرد عليه، وها هو أخوه سيدى عبد الحى الآن يضلله، وينكر عليه مقالات عظيمة، وتلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا غرض لى فى خوضها، فوجه إليه مولاي عبد العزيز إلى مراكش، وجمع له جمعاً من العلماء، واختبروه فى المعتقدات الدينية، والمسائل الفقهية والذوقية، وسجلوا عليه الخطأ الكثير فى ذلك كله، وألزموه بالتوبة فتاب، والتزم بعدم ذكر التصلية المتقدمة والوقوف عند حدود الشريعة المقدسة وإلا كتفاه بكلام الله القديم الذى تعبدنا الله به، وبقي بمراكش مدة إلى أن تشفع فيه الشيخ ماء العينين الشنقيطى، فغفا عنه السلطان وردة لفاص، وبيان هذا مسطر فى

كتاب وزيره إلى خليفة فاس مولاي عرفة رحمه الله، وآخر إلى ولد المذكور مؤرخ في شهر ربيع الثاني عام ١٣١٤ يامضاء الصادر أحمد بن موسى رحمه الله، من إنشاء صاحب حجة المنذرين تحت أيدي بيان أطول من هذا منقول في كتاب الصورة الجمالية في تاريخ أفريقيا الشمالية بلفظه، فلذلك يظن الناس أن هذا سبب تداخله في الثورة الحفيظية ضد المولى عبد العزيز والله أعلم بما تخفى الصدور، ولكن بعد ما تم خلع المذكور وتولية أخيه مولاي عبد الحفيظ، وجهت إلى الشريف الكتاني تهمة أنه يريد الملك لنفسه، وهذا عندي هذيان من القول ولم يكن المذكور إلى هذه الدرجة من انحطاط حتى يفكر فيما هو محال عادة إن لم نقل عقلا، ولما شاع عنه ذلك لأسباب أوغرت صدر مولاي عبد الحفيظ، وكثرت الوشاية كاشتراطه في عقد البيعة إلغاء مؤتمر الجزيرة الخضراء الشهير في تاريخ المغرب مع أنه باتفاق دول أوروبا، فبعد احتلاله بفاس أهمله، ولم يحن الشريف الكتاني خيراً من ثمرات أعماله، ولا حصل على شيء من آماله، ولما أظلم الجو وبين السلطان وجه عياله وأهله وخاصة أصحابه إلى أتباعه من برابرة بني مطير قرب مكناس، وخرج فاراً بنفسه، فوجه السلطان في طيبه، ولم يبذل كثير عناء في تحصيله بل كان أيسر من تحصيل عصفور، وذلك خوفاً من إضرار ثورة ونشر راية العصيان في تلك الجبال الوعرة فقبض عليه وعلى جميع من معه، وأتى بهم مصفدين، ودخلوا فاس كذلك في شر حالة يتفط لها قلب الجماد، واشتد غضب السلطان وبطشه به وبوالده وأخيه سيدي عبد الحى ومن معهم، ثم بعد شفاعات عفا عن الكل عدا الشريف سيدي محمد الكتاني فإنه قتله صبراً، وقيل مرض فمات رحمه الله وعفا عنه وجعل كفارة له وطهوراً ١ هـ منه .

هذا وحال هذه الطائفة في العمرة واستغراقها جل الأوقات الليلية والنهارية غريب جداً لا يكاد يصدقه العقل لولا وجوده، فلا تسمع منهم حالة الاستغراق والتخبط وقوة الجنون السارية في تلك الأجساد سريان الدم في العروق التي اقتضت أن ترفع بها الأقدام عن الأرض نحو الذراع إلا لفظ أح أأح أح أو لفظه كخ كخ كخ فلا تسمع غير هذين اللفظتين، وقد استولى في هذا الذكر الغريب العالم والجاهل، والعاقل والغافل، فانظر لهذه الأسرار التي ادخرت لهؤلاء المتصوفة من أهل القرن الرابع عشر ظنوا أن الاشتغال بهذه العمارة من أعظم القربات التي توصلهم لحضرة الحق.

نعم وصلوا لجحيم الانقطاع، وهاوية الانفصال، وسعير الحرمان، ونار البعد، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ثم الطائفة الشنقيطية، وتنسب للشيخ ماء العينين الشنقيطى المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف.

وهذه الطائفة متباعدة عن هذه المناكر التي أخذ بها هؤلاء الطوائف وجعلوا يدينون لمولاهم بها حتى كادت أن تخرجهم عن سبيل المؤمنين غير أنهم يحرفون كلمة التوحيد تحريفًا قبيحًا لا يكاد يسمع لغيرهم، وهو أنهم يقولونها بهذه الألفاظ. وهى ليله يله بفتح اللام وسكون الياء وفتح اللام الثانية هذا فى أداة النفى، وهى لا إله، وأما الخلل الذى يصبرون عليه أداة الإثبات، وهى إلا الله، فيقولون يله.

وهذه الصفة هى هجيرا هم آناء الليل وأطراف النهار سواء كانوا بين يدي شيخهم، أو انفراداً عنه، وقد خالطتهم أياماً عديدة مع شيخهم وهذا حالهم لا يخرجون عنه، وينطقون بها على هذا الوصف جهراً بسرعة، ولكن لا

ينطقون بها جماعة بلفظ واحد، بل كل واحد يصير يذكرها على الوصف المذكور من غير مشقة ولا تعب، ولا يخفى أن الخلل في الأذكار الذي يخرجها عن قانونها الشرعى يعطى تخفيف المشقة والرغبة فى العمل، بخلاف ما إذا لحظ فيها ما يطابق قانونها الشرعى من مد الممدود، وقصر المقصور، وغن ما تجب فيه الغنة إلى غير ذلك مما قدمناه على كلمة التوحيد، فإنه يعطى الكسل والمشقة ولا بد.

ثم إن شيخ هذه الطائفة امتاز بأشياء لم تكن لغيره: مها أنه كان لا يتورع عن مخالطة أهل الانقطاع عن الله. وذلك لأجل اختلاس ما فى جيوبهم إلى جيبه، ومنها فلنسوته طولاً، يعهد به نظير كأنها سلة من قصب، ومنها لباسه للحريير الساذج، ومنها اشتغاله باستخدامات روحانية أعانته على أمره، وكانت أكبر وسيلة إلى السيطرة على قلوب ملوك وقته، وذوى النفوس الأبية، ومنهم الصدر أحمد بن موسى، وحسبك ما كان يقابله به إذا دخل حضرة مراكش، فإنه يأمر أهل البلد، وأعيانها بالخروج للاحتفال به، ويكون لدخوله أبهة عظيمة لا تكون إلا للملك، وإذا حل بالبلد ضربت الضرائب على اختلاف أنواعها على أهل الحرف كلها، وأصحاب الأملاك، ولا يسلم منها شريف ولا مشروف، وترى الناس - حينئذٍ من أجل هذه الصواعق الأرضية التى حلت بها، والوباء الممدود من هذه الصحارى التى عم ضررها، وشاع شررها - سكارى وما هم بسكارى، وليس لهم إلا الابتهاج والتضرع إلى الله فى تنفيس هذه الكربة التى زادت بها الأمة تعقدها، وحين يستقر قدمه هو وأصحابه بهذه الأرض تهيأ له بغال عديدة نحو المائتين بسروج عجيبة، وثياب فاخرة، وغير تلك الضرائب زيادة على إلزام الرعية بمؤنته

اليومية مع كثرة ذلك الجيش المصحوب معه لأجل امتلاء بطنه . وستر سواته، ولعله يزيد على الألف، وهكذا الحال معه مهما حل بهذه الحضرة، وتكرر مجيئه إليها مراراً بعد موت السلطان المقدس المولى حسن، وأما فى خال حياته، فكان لا يطمع فيها لعلم المقدس بترهاته .

وأما الصدر أحمد بن موسى، فكان يحتفل به هذا الاحتفال العظيم لأجل ما يعتقد فيه من المهارة فى علم الأسماء حتى إنه وضع له تيممة، وأمره بوضعها تحت قلنسوته، فكان كلما وضعها على رأسه يرى كل من واجهه كأنه يهودى بين يديه هكذا أخبر من كان له اتصال بالصدر المذكور، والله أعلم .

وبهذه المزية التى حصلت له منه بنى زاويته هذا البناء الهائل، وحيث علمت سبب البناء ما هو؟ فلا تستغرب ما حل فيها الآن . هذا وأصحابه كلهم أو جلهم على هذا النمط من المهارة فى الاستخدامات الروحانية، وكتبه تشهد بذلك، وكنت أرى أصحابه وبأعماقهم التمايم الكثيرة نحو العشرة فأزيد، وكان ممن يعظمه لهذا المعنى، وطمعاً فى الملك المولى عبد الحفيظ، فى إبان خلافته .

وبالجملمة فهؤلاء القوم لا تستريح قلوبهم حتى يظهروا أسرارهم للناس ولو تصنعاً ليقبلوا عليهم بالدراهم، فهل تكون ولاية ورغبة فى الدنيا؟ لا يكون ذلك أبداً . إذا أول قدم للمريد فى الطريق: التوبة والزهد، فإذا كان المدعى لم يحصل على أول قدم فى الطريق، فكيف يدعى النهاية، وأنه أصح من أهل القرب؟ نعوذ به من الخذلان .

ومن عادة هذا الشيخ أنه كان يقدم صلاة العشاء على الوقت المعتاد

الذى حدده أكابر الموقتين، واتفقوا عليه، وهو المعول عليه، ولا عبرة لمن جوز خلاف ذلك.

انظر فى هذا الموضوع تقويمنا المراكشى، والله الموفق.

ثم الطائفة البوعزاوية: وتنسب للشليخ أبى عبد الله محمد بن الطيب البوعزوى الشاوى المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف.

وهذه الطائفة تغالت فى محبته حتى ألحقوه بما لا يستحقه، وأعانهم على ذلك الهمجية الخارجة عن الدين التى تربوا عليها، ونشئوا فيها، ولقد رأينا من حماقتهم وما هم فيه من التعالى فى محبته ما لا يكاد يصدقه العقل لولا وجوده بينهم.

وبالجملة فأتباعه من الشاوية كادوا أن ينزلوه منزلة الرسول أو أعظم، والبلاء فى هؤلاء المتفجرة قديم.

وذكرنى هذا ما حكاه الإمام الشاطبى فى كتابه الاعتصام، ونصه: حدثنى بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق فى القول أنه قال: أقمت زماناً فى بعض قرى البادية، وفيها من هذه الطائفة المشار إليها كثيرة. قال: فخرجت يوماً من منزلى لبعض شأنى، فرأيت رجلين منهم قاعدين، فظننت أنهما يتحدثان فى بعض فروع طريقتهم، فقربت منهما على استخفاء لأسمع من كلامهم، ومن شأنهم الاستخفاء بأسرارهم، فتحدثا فى شيخهم وعظما منزلته، وأنه لا أحد فى الدنيا مثله، وطربا لهذه المقابلة طرباً عظيماً. ثم قال أحدهما للآخر: أتحب الحق؟ هو النبى: قال نعم. هذا هو الحق قال المخبر، فقامت من ذلك المكان فاراً مخافة أن تصيبنى معهم قارعة أهـ بلفظه.

وقال أيضاً رحمه الله ما نصه: ولقد حكى الفرغانى مذيل تاريخ الطبرى عن الحلاج: إن أصحابه بالغوا فى التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله، ويتبخرون بعذرتة حتى ادعوا فيه الإلهية، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وابتكر لهم صلوات وأذكاراتاً اثناء الليل وأطراف النهار. وأخرج لهم فى قضائها الكذب الخبريت الذى موضع إعجاب العلماء العاملين، وبغية الأعمار الجاهلين، وسبب هذا الجهل بحقائق الدين الإسلامى، وعدم المحافظة على آثار السلف الصالح. أما آن للحقائق أن تظهر صراحة، وأن تمحص ما دونته تلك الطوائف المحدثه، فجدير بالأنظار أن تتجه لهذا الحادث الذى عم ضرره، ولا سيما فى هذه الأزمنة الهائلة، وتحرض الناس على متابعة الكتاب والسنة، وتنبههم أن ينسلخوا من شبكات أصحاب هذه الحالات التعسة لكن بالنظر إلى المستقبل العاجل يستحسن الأمر، وقد أوضحت لنا التحارب الحالية، وخيل لنا أنه سيكون ما أشرنا له مستوفى.

ومن عادة هذه الطائفة العمارة المتقدم ذكرها ولا تسأل عما يحدث فيها من تحريف الأذكار زيادة على ما ذكرناه، والأمر لله الذى لا تخفى عليه خافية فى السر والجهار، ومن مثالب شيخهم المذكور حادثة الدار البيضاء، وذلك أنه أمر أتباعه بقتل بعض الخدمة من أسبانيا وفرنسا. ثم هجم هو وأصحابه على الثغر البيضاوى، فنهبوا وسفكوا وانتهكوا من الحرمات ما انتهكوا، وجرى على سيبلهم من تبعهم من قبيلهم، ووقع فساد كبير. يضيق عن تفصيله التعبير، فوجهت كل واحدة من الدولتين باخرة حربية حمية لحقها، وحماية للدور الأجنبية، فأنزلنا عدداً من العساكر وأطلقنا أفواه المدافع بسبب تلك المناكر وتوالت زمر الناهيين وترادفت طلقات الضارين على

الجائلين والذاهبين . حتى امتلأت السكك أموالاً، وأمته وأقواتاً، ولقد وقع الإحصاء فى عدد من قتل بها فكان ثلاثة وتسعين ألفاً، ولم تزل الدولة الفرنسية تواصل الإمداد، وبموت منها ومن تلك انقبائل أعداد، حتى جاست العساكر خلال ديارهم، وتمكنت من سهولهم وأوغارهم، فملت البشاوية وانطفأ لهبها .

ولما مهدت الحكومة الأرض، وأرادت أن تتصر منه تظاهر بحماية ألمانيا، فترك لأجلها إلى أن مات بمراكش، ووجد فى متروكه أربعون ألف ريال مضروبة فضلا عن ضياع كثيرة وعقار: فاتفق أنجاله على أن ينوا له بذلك القدر من المال قبة تضاهى قبة أبى العباس السبتي، فكان الأمر كذلك، والأمر لله .

إذا علمت هذا! فأين الفرق بين تمول هؤلاء المدعين للمشيخة بترهاتهم الباطلة، وحيلهم الشيطانية لاقتناص الدنيا، وبين ولاة الوقت الذين جمعوا الدنيا بجر ذبول الظلم على الرعية حتى أكلوا اللحم، وشربوا الدم، وامتشوا العظم، وامتصوا المنخ، ولم يتركوا للناس دنيا ولا ديناً .

أما الدنيا، فقد أخذوها، وأما الدين، فقد فتنوهم عنه بسبب أخذ ما بيدهم .

فأهل الدعوى خدعوا الناس بتلك البهجة، وذلك التظاهر الذى أوهم عامة الناس أنهم أولياء الله، فتوصلوا بذلك لأموالهم التى هى غاية مقصودهم من اتخاذهم لتلك الحيل المتنوعة .

والمتمولون قهروا الناس بتلك السيطرة التى لا قوة لهم على دفعها، والكل منهما زائع عن الصراط المستقيم . إلا أن أصحاب الدعوى أعظم ضرر

بالإسلام والمسلمين لكونهم طلبوا الطريق ليقبل الناس عليهم بتلك الدريهمات .

وبالجملة فالتصوف فى عصرنا اليوم وفيما قبله قد أصبح زيه حباله للدنيا وشباكة يصاد بها قلوب من لا يعرفون من الدين إلا اسمه، وما هو إلا اغترارات بأباطيل يختلقها هؤلاء القوم، وتمسكات بخزعبلات يفترها المدعون، وأمر الصدق قد قل حتى صار أندر من الكبريت الأحمر، والنصح فى الله لفساد الطوايا تعذر .

أما سمعوا قول الله تعالى - يا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على الذى فطرنى - وقوله تعالى - ويا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على الله - ومعلوم أن مرشد الخلق إلى الحق إذا كان غنيًا عما فى أيديهم كان إرشاده مظنة القبول والنفع، وإلا حامت حوله الظنون وأولت إرشاداته بتأويلات تحمر لها الوجوه، وبعد النفع فيه لحقارته فى النفوس .

ثم قال عبد الباسط: وتعدد هذه الطوائف أقبح شئ فى العصر، وكان الدين ليس واحدًا، وكان ربه لم يكن واحدًا، وكان مبلغه عن ربه لم يكن واحدًا .

وهذا التعدد يدعو إلى الشك، والشك يدعو إلى الإهمال، والإهمال يورث البغض، وعاقبه ذلك الهلاك فى دار التحصيل، وفى دار الجزاء .

ومن حق علماء الدين أن يدفعوا هذا الباطل بقدر طاقتهم وقوتهم، لأن الباطل يفسد الحياة، ولأن انتشاره يورث الهلكة .

فالتفت عبد الهادى إلى عبد الباسط وقال: قد أخبرنا الرسول ﷺ بهذا

أنه سيكون حيث قال: حسبما رواه ابن عباس "لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، وليكونن أئمة مضلون، وليخرجن على أثر ذلك الدجالون. وعن حذيفة: لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذاباً، وعن ابن عمر "إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم"، وعن العلاء بن زياد "لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً دجالاً كلهم يكذب على الله ورسوله"، وعن أنس بن مالك "إن بين يدي الساعة الدجال، وبين يدي الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر، قال ما آيتهم؟ قال أن يأتوكم بسنة لم تكونوا عليها يغيرون بها سنتكم ودينكم، فإذا رأيتموهم فاجتنبوهم وعادوهم"، وأخبر ﷺ "أن بنى إسرائيل افترت على إحدى وسبعين ملة، ولن تذهب الليالي ولا الأيام حتى تفترق أمتي على مثلها، وكل فرقة منها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة"، وروى الحاكم بلفظ "تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم: فيحلون الحرام ويحرمون الحلال".

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "تفتقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"، وفي سنن أبي داود "إن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة"، وفي رواية عن الترمذى "إن بنى إسرائيل افترت على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار: إلا فرقة واحدة. قالوا ومن هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي".

فقال أبو زيد للشيوخ عبد الهادى: فنحب منك أن تبين لنا الفرقة الناجية

من هذه الفرق. فقال الفرقة الناجية: هي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، رضوان الله عليهم، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية، ولا يجمع الشهوات بالكلية: أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد المبلغ له إلى الآخرة حسب الوارد، وليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب. وأما الشهوات: فيجمع منا ما يخرج عن طاعة الشرع وانقياد العقل فلا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة بل يتبع طريق العدل والاقتصاد ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا: بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة، ومن المسكن ما لا بد منه وهو ما يحفظ عن تطرق اللصوص، ويحميه من نكاية الحر والبرد، ومن الكسوة قدر ما يستر به عورته، ويكون به وقاية الحر والبرد حتى إذا فزع القلب من شغل البدن أقبل على الله بخالص الهمة واشتغل بالذكر والفكر والمراقبة طول العمر، وبقي ملازمًا لسياسة الشهوات ومراقبًا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى.

ثم قال الشيخ عبد الهادي بعد هذا: والغالب على عامة الناس اليوم ممن لا مخالطة لهم بالعلم ولا بالمتسكين بالشرعية والسنة المحمدية من أهل الفضل والدين، لما أعرضوا عن القيام بوظائف الشرعية، وأقبلوا على هواهم ودنياهم، توجه الشيطان إليهم على قدر إعراضهم عن الدين، وإقبالهم على غيره، فذهب بهم في طريق الضلال والجهالة والخيال: كما قال تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين).

فزين لبعضهم الانقياد لهؤلاء الذين طلبوا الطريق لاقتناص الدنيا والعكوف على أبوابهم، والخدمة لهم بكل وجه من الوجوه سواء كانت حلالاً أو حراماً، والذبائح لهم مما يكاد أن يكون شركاً بالله تعالى أو هو عينه.

وزين للآخرين خدمة أضرحة الصالحين بكثرة الهدايا والذبائح، وجمع طوائف الناس والفرجات والمنكرات وتعطيل المساجد عن إقامة الجماعة فى بعض الأوقات واختلاط الرجال بالنساء ونحو ذلك من الفواحش الواضحات، وتعطيل الناس عن معاشهم والتعرض لهم. والذهاب إليهم فى ديارهم لأخذ أموالهم غصباً وكرهاً لإقامة تلك المنكرات، وهم يعتقدون فى عملهم ذلك أنهم يتقربون إلى ذلك الولى، ويقضى حوائجهم بذلك الفعل الذمى، وربما طلب منه ما هو من خصائص الربوبية، وربما سجد بعضهم بين يديه وقبل الأرض، وبما دخل وقت الصلاة وخرج والناس غرقى فى ذلك الشغل القبيح لا شعور لهم بالصلاة التى فرضها الله تعالى ولا تعريج لهم عليها (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا) حاشا وكلا أن يرضى ذو علم بذلك أو يجب من فعل شيئاً من ذلك، وكيف يرضى ما لا يرضاه الله ورسوله أو يحبه وكيف يجب أن يخدم ويعظم بانتهاك حرمان الله ونبذ أوامره ونواهيه، ما تلك الأفعال على تلك الصفات إلا من خدمة إبليس وجنوده وكيف لأهل العلم والدين الذين أقدرهم الله تعالى السكوت على ذلك، وكيف ينكر على من نبه أو أشار إلى ذلك.

وقد قال المفسرون عند قوله تعالى (فتعم المولى ونعم النصير) وفى قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) إشارة إلى ذم المتصوفة الذين إذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور وهم فى زماننا كثيرون، فإننا لله وإنا إليه راجعون وفى قوله (لن يخلقوا ذباباً) إشارة إلى ذم المتغالين فى أولياء الله تبارك وتعالى حيث

يستغيثون بهم يف الشدة غافلين عن الله وينذرون لهم النذر، والعقلاء منهم يقولون أنهم وسائلنا إلى الله تعالى، وإنما نذر الله ونجعل ثوابه للولى، ولا يخفى أنهم فى دعواهم الأولى أشبه شىء بعبدة الأوثان القائلين (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم وإتيان مسافرهم، والظاهر من حالهم الطلب بل هو الواقع بلا شك، ورأيت كثيراً منهم يسجد على أعتاب حجر الأولياء، ومنهم من ينسب التصرف لهم جميعاً فى قبورهم لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوتهم فى المراتب، والعلماء منهم يحضرون التصرف فى خمسة وإذا طولبوا بالدليل قالوا ثبت ذلك بالكشف.

قال المفسرون قاتلهم الله ما أجهلهم وأكثر افتراءهم، ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة وعلماءهم يقولون إنما نظهر أرواحهم متشكلة وتطوف حيث شاءت، وربما تشكلت بصورة أسد أو غزال، وكل ذلك باطل لا أصل له فى الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى، وكذا لأهل النحل والدهرية.

وقد رأينا كثيراً من الناس يستغيثون بالأموات ويطلبون منهم الأغراض ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيهم ويعظمون من يحكى لهم ذلك، وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله، وينفردون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه إلى ما يكره.

وقد قلت فى شدة لرجل يوماً يستغيث ببعض الأموات وينادى يا فلان

أغشى: قل يا الله. فقد قال سبحانه (وإذا سألك عبادى عنه، فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) فغضب، وبلغنى أنه قال إن فلاناً منكر على الأولياء، وسمعت من بعضهم أنه قال: الولى أسرع إجابة من الله عز وجل، وهذا من الكفر بمكان. نسأل الله أن يعصمنا من الزيغ والبطغيان.

قال صاحب المدخل: إن كل طريقة من طرق العلم يمكن اختبارها إلا طريقة التصوف فإنهم يبنوها على حسن الظن والمسألة، وإذا أراد عالم أن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله قالوا له أنت منكر أهـ.

وفى هذا يقول حاكم زمانه:

وزاد الأمر حتى لست تلقى فتى يهوى كلاماً للنبي
ولا ما قاله الرحمن طراً سوى نقل الولى عن الولى
كلاماً ليس يعلمه جليل من الصحب الأكارم فى الندى
وإن قلت الدليل يجيب شخص لأنت بذاك منكر ذا الجلى
روى ذا الحكم شيخى فى منام فعجباً للنتنع من ولى

وفى روح المعانى: عند قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) أن التوسل بغير النبي ﷺ غير جائز، واستدلال بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد، والقسم على الله تعالى بهم بأن يقول: اللهم إنى أقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا، ومنهم من يقول للغياب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين: يا فلان ادع الله تعالى ليرزقنى كذا، ويزعمون أن ذلك من ابتغاء الوسيلة فذاك بعيد عن الحق بمراحل.

وتحقيق الكلام فى هذا المقام أن الاستغائة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه لا شك فى جوازه إن كان المطلوب منه حياً، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب بل يطلب الفاضل من المفضول، فقد صح أنه ﷺ. قال لعمر بن الخطاب لما استأذنه فى العمرة لا تنسنا من دعائك، ومره أيضاً أن يطلب من أوس القرنى رحمه الله أن يستغفر له، وأمر أمته ﷺ بطلب الوسيلة له، وأن يصلوا عليه، وأما إذا كان المطلوب منه ميتاً أو غائباً فلا يستريب عالم فى أنه غير جائز، وأنه من البدع التى لم يفعلها أحد من السلف.

وقد صح أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون الخ، ولم يرد عن أحد من الصحابة (رضى الله عنهم) وهم أحرص الخلق على كل خير أنه طلب من ميت شيئاً: بل قد صح عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أنه كان يقول إذا دخل الحجرة النبوية زائراً: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت. ثم ينصرف ولا يطلب من سيد العالمين عليه الصلاة والسلام ولا من ضجيعيه المكرمين (رضى الله عنهما) شيئاً، وهم أكرم من ضمته البسيطة، وأرفع قدراً من سائر من أحاطت به الأفلاك المحيطة.

نعم الدعاء فى تلك الروضة المكرمة والحضرة المعظمة، أمر مشروع فقد كانت الصحابة تدعوا الله هناك مستقبلين القبلة، ويجعلون القبر المكرم عند اليمين أو اليسار، ولم يرد عنهم استقبال القبر الشريف عند الدعاء مع أنه أفضل من العرش، واختلفت الأمة فى استقباله عند السلام فعن أبى حنيفة

(رضى الله عنه) أنه لا يستقبل بل يستدبر وتستقبل القبلة، والصحيح أنه يستقبل وقت السلام عليه ﷺ، فإذا كان هذا المشروع في زيارة سيد الخليفة وسبب الإيجاد على الحقيقة ﷺ فماذا تباح زيارة غيره بالنسبة إلى زيارته عليه الصلاة والسلام ليزداد فيها ما يزداد، ويطلب من المزور بها ما ليس من وظيفة العباد، وقد نقل عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه المسجون بالمسجون. وقال غيره: طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه، وضلة في عقله. ومن دعاء موسى عليه السلام: وبك المستغاث. وقال ﷺ لابن عباس (رضى الله عنهما) "إذا استغثت فاستغن بالله". وقال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)، وقد أكثر الناس من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم الغائبين والأموات وغيرهم: مثل يا سيدى أغثنى، وليس ذلك من التوسل المباح في شيء.

واللائق بالمؤمن عدم التفوه بذلك، وأن لا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركاً، وألا يكنه فهو قريب أو بعيد منه، ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحى الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء، ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير، ودفع الأذى، وإلا لما دعاه ولا فتح فاه (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى الغنى القوى الفعال لما يريد، ومن وقف على سر ما رواه الطبرانى في معجمه من أنه كان في زمن النبي ﷺ مناقق يؤذى المسلمين. فقال أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المناقق فجاءوا إليه. فقال إنه لا يستغاث بى إنما يستغاث بالله تعالى، لم يشك في أن الاستغاث بأصحاب القبور الذين هم

بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه فى الجنان عن الالتفات إلى ما فى هذا العالم، وبين شقى ألهاه عذابه وحسبه فى النيران عن إجابة مناديه والإصاخة إلى أهل ناديه أمر يجب اجتنابه، ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه، ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته وتنجح دعوته. فإن ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل.

وقد يتمثل الشيطان للمستغيث فى صورة المستغاث: فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به، هيئات هيئات إنما هو شيطان أضله وأغواه، وزين له هواه، وذلك كما يتكلم الشيطان فى الأصنام ليضل عبدتها الطعام. وبعض الجهلة يقول: إن ذلك من تطور روح المستغاث به أو من ظهور ملك بصورته كرامة. ولقد ساء ما يحكمون لأن التطور والظهور، وإن كانا ممكنين لا فى مثل هذه الصورة، وعند ارتكاب هذه الجزيرة.

وقد أجاب العلماء الأعيان عما فى صحيح البخارى عن أنس أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) كان إذا قحطوا استسقى بالعباس (رضى الله تعالى عنه) فيقول اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ﷺ فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون، بأن هذا التوسل من جنس الاستشفاع، وهو أن يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة، ويطلب من الله تعالى أن يقبل دعاءه وشفاعته، ويؤيد ذلك أن العباس كان يدعو، وهم يؤمنون حتى سقوا. وأما النبي ﷺ فالتوسل به حياً وميتاً مشروع، وإنما ترك عمر التوسل به مخافة أن لا يسقى الناس فيفتنوا، فهو من سد الذرائع.

فالتفت إليه أبو زيد: وقال يا شيخ ظهر لى من هذا الكلام أنك ممن ينكر كرامات الأولياء. فقال عبد الهادى أقول: إن قلت نعم، فلقد قالها من

قبلى جماعة من أهل السنة، وإن قلت لا فقد أثبتتها كثير، وأنا منهم. وإن سألت عن عين الولاية، فأقول أما الولاية بالمعنى الوارد فى القرآن وهو (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذى آمنوا وكانوا يتقون) الآية. فلا ننكرها ولا يسعنى ولا غيرى جحدها: وأما الولاية بالمعنى المتعارف وهو أن الواحد منهم يحكم فى الكون ولا يأتى الفار لغاره إلا بإذنه ولا يقدر الله فعلا فى عباده إلا برضاه فاشهدوا أنى جاحدها ومنكرها. وما ذاك إلا أنى لم أجد ما نستأنس به من الشرع فى ثبوت تلك الزعمات عدا رؤيا من المدعى، أو من تلميذ قصده جمع بعض الدريهمات: كما أنا لا نؤمن ولا نعتقد أنه يحضر عند خروج الروح، وعند الحلول فى القبر، وعند المرور على الصراط، إذا المصطفى ﷺ أشفق الناس وأشدهم رحمة بأمته، ولو كان ما وهب الله لهم حقاً لكان للنبي، وقد قال الله تعالى فى حقه (بالمؤمنين رءوف رحيم) وفى الحديث " فأقول يارب أمتى "

فإذا كانت الأشياخ بهذه المثابة مع المريدين، فقل لى يرحمك الله أهم المعنيون بقوله (وهو معكم أينما كنتم) أم الله، (تعالى الله عما يشركون) ولئن أنكرت هذا فقد أنكره الشيخ زروق فى عدة المرید، وكثيراً ما بصارمك الواحد منهم بقول الله فى الحديث القدسى " من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ".

ولا يعلمون أن هناك فرقاً بين من عادى لى وعلى، على أن الذى يعاديك لكلام السنة شيطان لأولى، فاعرف هذا، واعمل عليه.

أوصاف الولي

ثم إن الفقيه أبا عبد الله الذي نحن عنده، انفتحت إلى الشيخ عبد الهادي وقال: يا شيدى نريد منك أن تبين لنا أوصاف الولاية التي تقتضى أن يكون المنتصف بها ولياً حتى لا نعاديه.

فقال الشيخ: أما التعريف بها على سبيل الإحاطة فغير ممكن، وأما على سبيل الإجمال فهو أن يكون مؤمناً كامل الإيمان، فكل من كمل إيمانه، فهو الولي حقاً.

ولا يكمل إيمانه إلا إذا تطهر من هذه الأوصاف الشيطانية، وهي أن لا يكون لعائناً ولا نماماً، ولا مغتاباً، ولا قتائماً، ولا حسوداً، ولا حقوداً ولا بخيلاً، ولا مختالاً، يطلب من الخيرات أعلاها، ومن الأخلاق أسماها، إن سلك مع أهل الآخرة كان أروعهم، غضيض الطرف، سخي الكف لا يرد سائلاً، ولا يبخل بنائل، متواصل الأحزان، مترادف الإحسان، يزن الحق أمله، متأسفاً على ما فاته من تضييع أوقاته: كأنه ناظر إلى ربه، مراقب لما خلق له، لا يرد الحق على عدوه، ولا يقبل الباطل من صديقه، كثير المعونة، قليل المؤنة، يعطف على أخيه عند عسرتة، لما مضى من قدمى صحته.

فهذه صفة أولياء الله، فكل من رأيناه على هذه الأوصاف نجبه ونعظمه وننصره، لأنه من أولياء الله الذين قال الله فيهم "من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب".

وهذا بمن قال الله فيهم (الله ولي الذين آمنوا) ومن هنا سمي الولي ولياً: أى تولى الله تعالى شأنه، وهذه الآية تقول إن جميع المؤمنين أولياء الله، وهو كذلك إذا كانوا مؤمنين كاملين، وإلا فولايتهم ولاية عامة، ومثل

من اجتمعت فيه هذه الأوصاف هو الذى قال الله تعالى فيه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

ولا يخفى أن الصادق عند الإطلاق من صدق قلباً ولساناً وجارحة، فلا ينطوى قلبه على كذب، ولا ينطق لسانه بكذب، ولا تتحرك جارحة من جوارحه فى كذب، بل كل أفعاله ظاهراً وباطناً حق لله تعالى.

أمثال هذا أمرنا الله أن نكون معهم بعد أمره لنا بالتقوى ليونها علينا، فإن الوسائط أكبر مؤثر فى الأخلاق.

وما أمرنا أن نكون مع من يتلبس على الخلق بزى مخصوص، وتطويل اللحي، وإمساك السبحة فى يد، والأخرى فى العنق ليعتقد فيه وكل ذلك مناف لطريق الصادقين، متباين لأغراض المخلصين.

وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب الذل يوم القيامة". وكذلك بمن يلبس المرقعات تظاهراً بحال السابقين.

وقد قال الخضر عليه السلام: لعمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) يا عمر إياك أن تكون عدواً لله فى السر، وولياً له فى العلانية.

فانظر رحمك الله إلى هؤلاء المنفقين الذين جعلوا التصوف زهواً، وافتخاراً بل رقصاً واختباطاً وغروراً واغتراراً ويرحم الله القائل:

ليس التوصف لبس الصوف ترقيه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن قد صرت مجنوناً
بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعاً لله مكتئباً على ذنوبك طول الدهر محزوناً

ثم إن الفقيه المذكور. قال للشيخ: لقد أصبح من الواجب علينا أن نثنى على همتك الشناء المستطاب في ابتكارك لهذه المسامرة الشيقة التي ألقيتها بحضرتنا، ولعلها أصل نجاحنا الحالي، وفوزنا الحاضر.

فقال الشيخ عبد الهادي: نعم وجدير بأن تتجه الأنظار إليها، ولا سيما في هذه الأزمنة الهائلة التي لا يمكن تلافى أخطارها العاجلة والآجلة، إلا بالتعاون التام على ما يرضى الملك السلام.

أغرب العادات القبيحة والبدع المتبعة بالحضرة المراكشية

ثم إن الشيخ عبد الهادي إلتفت إلى عبد الباسط المراكشي. وقال له: أحبيت منك أن تذكر لي أغرب العادات القبيحة، والبدع الشنيعة المتبعة الآن عندكم بهذه الحضرة المراكشية، زيادة في الامتناع، وتحلية للأسماع.

فقال عبد الباسط: أما ما سألت عنه فكثير، ولست فيه بصاحب الباع القصير، غير أني لا يمكنني تتبع جميعها، لما في ذلك من المساوي التي لا توجد حتى في الملل الأجنبية بأسرها.

وأى شيء أحكيه لك في عادات مدينة، عمرت قهواتها، وفرغت مساجدها، وتفرنجت شبابها، وتبرجت نساؤها، وغاض ماؤها، وفاض شرها، وانعكس شعاعها، وتغير حالها، وطبع على جل قلوب أهلها.

ثم إن الشيخ عبد الباسط أن يشرع فيما وعد به من تلك الغرائب. وإظهاره لتلك العجائب. فقال له الشيخ: مهلا حتى نفرغ من صلاة العصر، وكان وقتها قد حضر والأفكار إذ ذاك مستغرقة في كيفية تصوره لهذا الوطر.

يقول جامعه: محمد الموقت كان الله له، وهذا آخر الجزء الأول من

أجزاء ثلاثة نسأل الله أن يكون سبباً لتبديل هذه الأحوال، التي ضاق بها النطاق في الحال والمآل، وكان الفراغ من تخريجه صباح عاشر شهر ربيع الثاني عام إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

[تم الجزء الأول من الرحلة المراكشية، ويليه الجزء الثاني وأوله الكلام

على عوائد أهل الحضرة المراكشية]

فهرس الجزء الأول من الرحلة المراكشفة

الصفحة	الموضوع
٥	خطبة الكتاب
٦	ظفر المؤلف برففق
٨	ارتحالنا لمدينة أخرى والافتماع على صدفق آخر
٩	فبان ما فله فمفنة مراكش
١١	الحكمة فف أن مفنة مراكش أهلها فف سرور
١١	فبان ما فله أهلها من الصفات المذمومة
١٣	البانى لسورها
١٤	دهشتنا عند دخول مراكش
١٥	انتشار الرشوة
١٥	كلام الشفخ عبف الهافى
١٦	واجب الحكومة نحو الموظفين لفتم النظام
١٧	مقالة أخرى للشفخ عبف الهافى
١٩	الأفور المقلقة
٣١	إمساك الشفخ عن الكلام واشتغاله بالتسفح
٣٣	ملخص سفرة على بن فوسف، وعبف المؤمن، والمولى سلفمان
	كلام الشفخ عبف الهافى على ففء: من سن فف الإسلام سنة
٣٥	حسنة الفخ
٣٦	فبان أن الفذكر لفس قاصراً على اللسان
٣٨	هل فكفى عن الزكاة القفر المأخوذ ظلماً وحكم الففرار منها

الموضوع

الصفحة

- ٤٤ ما قاله ابن الجوزى فى تلبس إبليس على أصحاب الأموال
الكلام على حديث: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب
لنفسه
- ٤٦
- ٤٨ الكلام على قولهم أن الأرض على قرن ثور
- ٤٩ رحلة الناس إلى بلاد الفرنج
- ٥٢ الكلام على الحديث النهى عن الجلوس فى الطريق
حكم التختم بالذهب واستعمال أوانى الذهب والفضة ولباس
الحرير
- ٥٣
- ٥٤ حكم الإناء المحلى بالذهب أو الفضة
- ٥٥ حقوق الجار
- ٥٧ حكم قراءة الجرائد والمجلات
- ٥٨ حكم ذبيحة أهل الكتاب
- ٥٩ حكم أكل الطعام الذى صنعه الكتابى
- ٦١ حكم الأخذ بعبادات الكفار
- ٦٤ حكم الإقامة بمحل كثر فيه المنكر مع عدم القدرة على تغييره
- ٦٦ حكم بيع الإماء مع عدم ثبوت رقها
- ٦٨ بم يتوصل الإنسان إلى الكسب الطيب؟
- ٦٩ حكم تعاطى العدالة
- ٧٠ تولية القضاء
- ٧٥ شروط الحسبة وفضلها

- ٧٦ حكم البسملة جهراً فى الصلاة الفرضية
- ٧٨ حكم قبض اليدين فى الصلاة وإرسالهما
- الكلام على حديث: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، ووضع اليدين
- ٨٥ إحداهما على الأخرى فى الصلاة وتعجيل الفطر وتأخير السحور
- ٩٨ الكلام على رفع اليدين فى الصلاة
- ١٠٢ هل فى ترك غسل الجمعة رخصة.
- ١٠٤ حقيقة السعادة
- ١٠٥ ذم التقليد بالإفرنج
- ١١٧ الخطبة التى ألقاها الشيخ عبد الهادى بالجامع الیوسفى
- ١٢٠ العيوب التى یرتكبها الناس يوم الجمعة
- ١٢٤ بیان ما علیه المدعون للصالح وانتسابهم لطریق الصوفية
- حكم من يدعى أنه من أكبر علماء الإسلام والمرشدين وهو
- ١٣٧ مرتكب لما یخالف الشرع
- ١٤٠ حكم الرقص فى حالة الذكر
- ١٤١ حكم تحريف أسمائه تعالى عند الذكر بها
- ١٤٦ مقدار المد الشرعى الجائز فى كلمة التوحيد
- ١٤٧ فضل لا إله إلا الله
- ١٤٨ السبيل لمن أراد سلوك طریق الصوفية
- ١٥٠ بیان الطوائف المتصوفة بالمغرب على الترتيب
- ١٧٢ مجالس الذكر عند السلف الصالح

١٧٤

ذكر ما كان عليه الصوفية في القديم

١٨٠

نسخة من الأشهاد الواقع على المذكور

٢٠٠

أوصاف الولي

٢٠٢

أغرب العادات القبيحة والبدع المتبعة بالحضرة المراكشية